

دِرَاسَاتُ فِي الْمَنَهْجِ

بِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ /

د. سَلِيمَانُ سَلِيمُ اللّٰهُ الرَّحِيلِي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية وأستاذ كرسي الفتوى فيها سلطان
والمدرس بالمسجد النبوي ومستشار الرئيس العام للهيئات سلطان
وإمام وخطيب جامع قباء سلطان

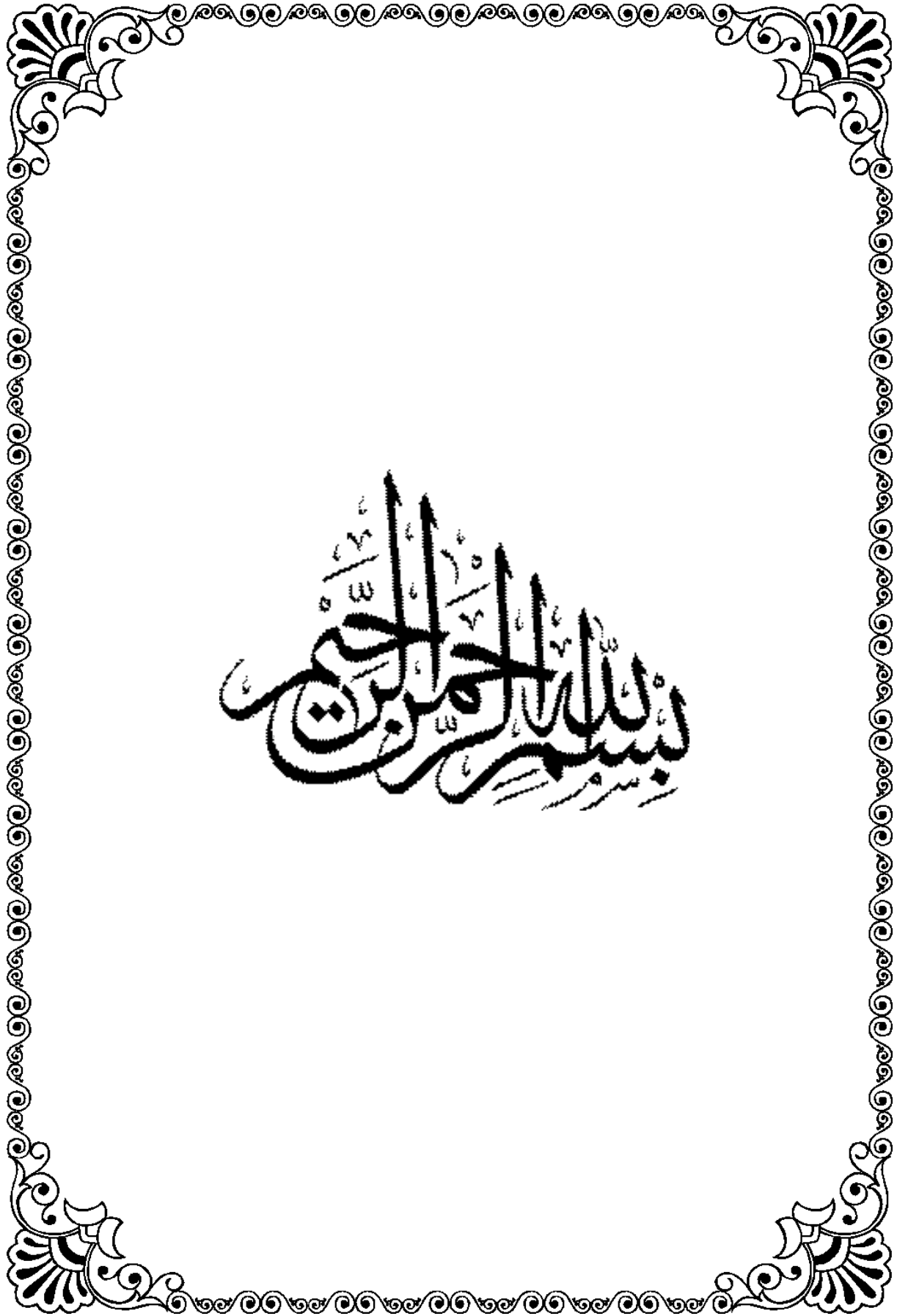
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

واتساب ٠٠٢٠١١٢٨١٦٣٨٢١

مكتب الإمام المزي للتفريغ الصوتي والبحث العلمي

gmail:ebnmaen^^@gmail.com





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[المقدمة]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ...

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ، وَكُلُّ ضَالَّةٍ فِي النَّارِ.

﴿ ثم يا معاشر الفضلاء: ﴾

إني أحمد الله - عَزَّ وَجَلَّ - على هذا اللقاء، وأسأله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن يجعل هذه الأيام نافعةً لنا في الدنيا والآخرة، ومما يسرُّنا عند لقائه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

﴿ معاشر الفضلاء: ﴾

إن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قد بعث محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رحمةً للعالمين، فأنزل عليه الكتاب المبين، وآتاه السنَّة مثل الكتاب، ليكون الكتاب والسنَّة سراجًا يُضيءُ للأمة الطريق إلى يوم القيامة، وجعل الله - عَزَّ وَجَلَّ - هذه الأمة خير الأمم، ومن خيريتها أنها أمة الوسط، فهذه الأمة خير أمة أُخْرِجَتْ للناس، وهذه الأمة جعلها الله وسطًا: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] فكانت

الوسطية كتاب الله وسنة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ ففيها الحقُّ كله، والخير كله، والبرُّ كله، والاعتدال كله.

تعلم الصحابة -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ- ذلك من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فامتلت قلوبهم بذلك، وعملوا به، وظهر الخير في الأرض، ودخل الناس في دين الله أفواجا، واجتمع الناس على الخير، واستقاموا على طريق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

ثمَّ لما تقادم الزمان حدثت الفرقة، وحدث الاختلاف، وحدث الزيغ عن صراط الله المستقيم، وعن وسطية هذه الأمة، فحدثت الفتن، وحدثت الشرور، ولكن مهما عظم الشر ومهما اسودَّ الظلام لا بد من سراجٍ مضيءٍ لا ينطفئ أبداً حتى يأتي أمر الله؛ ألا وهي: الفرقة الناجية والطائفة المنصورة التي تُحافظ على الحق في الأرض، فلا يغيب الحق عن الأرض أبداً، فمنذ أن بعث الله محمداً -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والحق لا بد أن يكون موجوداً على الأرض، ولا يمكن أن يمرَّ زمانٌ يكون الحق فيه منطمساً ذاهباً.

تلكم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم أتباع السلف الصالح الذين يأخذون الحق بسلسلةٍ من نور إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فكل من ينتسب إلى الإسلام اليوم ويُخالف منهج السلف الصالح -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ- لا يمتدُّ إسناده إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل ينقطع، فكلها محدثة إلا من كان على منهج السلف -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ- فإن إسناده يمتد إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فوجود السلفية في الأرض أمرٌ حتميٌّ لازم، وهو من حفظ الله لدينه، ووجودها نعمةٌ على أهل الأرض، ومن اصطفاه الله من بين الملايين المملينة ليكون من أهل هذا المنهج يجب عليه أن يعلم عظم النعمة، فالضالون كثر، فمن اصطفاه الله إلى معرفة هذا المنهج والسير على هذا المنهج فقد أنعم عليه بنعمةٍ عظمى.

← كما يجب عليه أن يدرك الواجب عليه من جهتين:

الجهة الأولى: المحافظة على هذه السلفية، المحافظة عليها والعمل على بقائها قوية.

والجهة الثانية: العمل بالدعوة على وفق هذا المنهج السلفي وعلى هذا السبيل المستقيم لإنقاذ الناس؛

- إما من الكفر الأصلي بدعوة غير المسلمين.
 - وإما من الشرك الذي يقع فيه بعض المسلمين وأكثرهم لا يعلمون، ويظنون أن هذا يُرضي الله، وهم يفعلون أعظم الظلم ويُشركون بالله الشرك الأكبر.
 - وإما لإنقاذ الناس من الشرك الأصغر وهو أقبح ذنب بعد الشرك الأكبر.
- والشرك الأصغر كما تعلمون ضابطه: أنه كل ما سُمي في القرآن والسنة شركًا ودلت الأدلة على أنه لا يُخرج من الملة؛

- كل ما سُمي في القرآن والسنة شركًا ودلت الأدلة على أنه لا يُخرج من الملة فهو شركٌ أصغر، هذا الضابط الأول.
- والضابط الثاني له: أنه ما يكون ذريعةً إلى الشرك الأكبر.

✦ يا أخوة مثال الأول: الحلف بغير الله، الحلف بغير الله كفرٌ أكبر وشركٌ أصغر؛

- لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سماه كفرًا أو شركًا، ولكن دلت الأدلة على أنه لا يُخرج من الملة، هذا ضابط الأول.
- والضابط الثاني الذي ذكرناه: أن يكون ذريعةً إلى الشرك الأكبر مثل: الذبح لله في مكانٍ يُدبَح فيه لغير الله، هذا ذريعة للوقوع في الشرك الأكبر فهو شركٌ أصغر.
- والضابط الثالث: اتِّخَاذُ شَيْءٍ سَبَبًا عَلَى أَنَّهُ سَبَبٌ وَلَمْ يَدَلِّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَعْنَوِيَّةِ، أَوْ لَمْ يَدَلِّ الدَّلِيلُ وَالتَّجَارِبُ عَلَى أَنَّهُ سَبَبٌ مِنَ الْأَسْبَابِ الْحُسِّيَّةِ، مِثْلُ: اتِّخَاذِ التَّمَائِمِ عَلَى أَنَّهُ سَبَبٌ لِدَفْعِ الْعَيْنِ فَإِنْ هَذَا شَرَكٌ أَصْغَرٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَدَلِّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ التَّمَائِمَ سَبَبٌ يُدْفَعُ بِهِ الشَّرُّ وَتُدْفَعُ بِهِ الْعَيْنُ.

هذه الأمور الثلاثة هي ضوابط الشرك الأصغر.

الشرك الأصغر خطيرٌ جدًّا، وهو يلي الشرك الأكبر في القبح، حتى أن بعض السلف يرون أنه لا يغفره الله لصاحبه إن مات عليه، بل سيُعَذَّب يوم القيامة به، ولذلك يجب على الدعاة على منهج السلف أن يهتموا به، وكذلك لإنقاذ الناس من البدع التي هي شرُّ الذنوب بعد الشرك بنوعيه، ثم لإنقاذ الناس من المعاصي ودعوتهم إلى الخيرات.

فالواجب على من أنعم الله عليه بالسلفية: أن يقوم بالواجب عليه من هاتين الجهتين، ونحن نرى الدعوة السلفية في كل مكان بحمد الله في هذا الزمان قد آتت ثمارًا يانعة، وانتشر العلم، وانتشر التوحيد، وانتشر التمسك بالسنة، وكثرت أعداد الناس الذين يُحِبُّون السلفية فضلًا عن الناس الذين يعتنقون السلفية.

اليوم يا أخوة: نُدرِكُ جَيِّدًا أن هناك كثيرًا من العوام أصبحوا يُحِبُّون السلفية ويُحِبُّون السلفيين وإن يعتنقوا السلفية بعد، بمعنى أنهم أصبحوا مهياًين لاعتناق السلفية، فقط يحتاجون بعد توفيق الله - عَزَّ وَجَلَّ - إلى دعوة رشيدة.

﴿ نقول: هذه الدعوة السلفية بحمد الله موجودة وبقوة، إلا أننا لاحظنا في الفترة الأخيرة كسلًا عند بعض إخواننا، وتأولاتٍ عند الآخرين من أمورٍ تُضعف الجانب السلفي، وتُضعف الدعوة السلفية كمخالطة أهل البدع أو التعاون معهم، فبعض الأخوة مثلاً يدخل عليهم التأويل أننا نتعاون مع أهل البدع في المصالح العامة وفيما نرى أنه خير، ونجتنبهم فيما عدا ذلك.

✦ وهذا مع كونه مخالفاً للأصول السلفية كما سيتضح إن شاء الله فإنه يُسبب أمرين ومرضين لا بد منهما:

▪ أما الأول: فهو ابتعاد القلب عن الأخوة السلفيين، فالذي يسير في هذا الطريق لا بد أن يبدأ عنده بُعد عن إخوانه.

▪ والأمر الثاني ضده: وهو حُب أهل البدع والبدعة وأنها قد تُحقق المصالح، وقد يوجد منها خير، وقد تُثمر خيراً للأمة، ونحو هذا، إلى غير ذلك من الأمور.

ونحن نعتقد أن من نعرفهم من إخواننا ويتأولون هذه التأويلات ونحوها أنهم يريدون منهج السلف ويسيروا عليه، ولكن حصلت هزة، حصلت تأويلات، وهذه حتى خطر على الصف السلفي، فرأينا أننا بحاجة إلى تذكير والتعليم بالمنهج، فكانت هذه الدورة المتخصصة لأناسٍ متخصصين من إخواننا في المنهج، وهي الدورة الأولى، فرأينا أن نبدأ فيها بمهمّات الباب.

✦ ولذلك إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- ستكون الدروس في هذه الدورة في أربعة أمور كليّة:

▪ الأمر الأول: في منهج السلف، وهذا في أربعة مجالس تقريباً إن شاء الله.

▪ والأمر الثاني: في فِرَقٍ عَصْرِيَّةٍ مخالفة وبيان خطورتها، وهذا أيضًا في أربعة مجالس إن شاء الله.

▪ والأمر الثالث: في أصول السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، وهذا مكمل للأول ولا بد من إدراكه وضبطه.

▪ والأمر الرابع: في شخصياتٍ شوَّهت الإسلام، شخصيات معاصرة بارزة يُلمَّع لها وتُلمَّع، وهي في حقيقتها قد شوَّهت الإسلام وأضرَّت بالإسلام، ونُبِّئ هذا إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالأدلة والبيان من كلامهم، وهذا أيضًا في أربعة مجالس.

✦ وسيكون المنهج إن شاء الله في التدريس:

أن المجلس تكون مدَّته ساعةً ونصف، فتتكلَّم إن شاء الله لمدة ساعةٍ وعشر دقائق، ثم يبقى عشرون دقيقة للمداخلات والأسئلة في نفس الموضوع، مَنْ كان عنده تعقيب، من كان عنده تعليق، من كان عنده سؤال في نفس الموضوع الذي نتكلَّم فيه، وهكذا في جميع المجالس إن شاء الله؛ لأن هذا أنفع، ويكون في إن شاء الله إجابات عن بعض الأمور التي نحتاج أن نُجيب عنها، ويكون في إضافات وفوائد إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

ولا شك أيها الأخوة أن هذا الأمر كما ترون من مهمات العلوم، ومن مهمات الأمور، ينبغي أن نتعلَّمه وأن نُعلِّمه، وأن نتذكره وأن نُذكر به بكل وقت حتى لا تختلط الأمور، فنسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُعيننا عليه، وأن يُعيننا جميعًا على الصبر.

✦ ومثل هذه المجالس فيها أسباب الفلاح الأربعة، فأسباب الفلاح الكلية أربعة:

١. الإيمان.

٢. والعمل الصالح.

٣. والتواصي بالحق.

٤. والتواصي بالصبر.

كما قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ [العصر: ١-٣].

فمثل هذه المجالس فيها الإيمان من جهتين:

- الجهة الأولى: أنها من الإيمان، فالعلم من الإيمان.
- والجهة الثانية: أن الإيمان يزداد بها؛ لأن الإيمان يزداد بالطاعات، والعلم من أشرف الطاعات وأكملها وأجملها.

وهذه المجالس أيضًا: من العمل الصالح، وتعرفون أن جمعًا من المحققين يرون أن رأس النوافل ما كان نافلةً من العلم؛ لأن العلم:

- قد يكون فرضًا فهو في ضمن الفرائض.
 - وقد يكون نافلةً فرأس النوافل عند جمع من المحققين من العلماء هو العلم.
- ومثل هذه المجالس: فيها التواصي بالحق، فنحن نتواصى بمنهج السلف الذي هو الحق الذي يجب اتباعه ولزومه، ولا تجوز الحيدة عنه، ولا الميل عنه يمينًا ولا شمالًا.

وفيها: التواصي بالصبر، فنحن بحاجة لأن نصبر ولا سيما في هذا الوقت الذي توجه فيه السهام إلى المنهج السلفي رجاء أن يبرك الجمل الذي قام، فنحتاج أن يوصي بعضنا بعضًا بالصبر والثبات، ونحتاج إلى صبر أيضًا في المدارس فالعلم ثقيل، لا أثقل من العلم، هو ثقيل في ذاته، ثقيل في أجره، وثقيل عليك أن تطلبه، ثقيل عليك أن تصبر على طلبه ولكنه ثقيل في الميزان، أجره عظيم، فنحتاج أن نصبر عليه صبرًا عظيمًا.

✦ وأختم أيها الأخوة بوصية:

فأنتم معاشر طلاب العلم دُعاة إلى الله، والدعاة إلى الله يحتاجون إلى وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لدُعائه إذا أرسلهم، وقد بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهما- إلى اليمن داعيين يُعلِّم الناس القرآن والدين واليدين، وأوصاهم بالوصية التي كان إذا بعث أحدًا أوصاه بها، فقال: «يَسِّرًا وَلَا تُعَسِّرًا، وَبَشِّرًا وَلَا تُنْفِرًا، وَتَطَاوَعًا وَلَا تَحْتَلِفًا»، والحديث في [الصحيحين] وهو بتمامه عند مسلم هكذا.

فأوصي نفسي وإخواني بالتيسير وعدم التعسير، والتيسير له صور أو كليات:

الكلية الأولى: التمسك بما في الكتاب والسنة، والله من تمسك بما في الكتاب والسنة فهو على اليسر وميسر ولو قال من لا يعلم غير هذا، فإنه ما جاء في الكتاب والسنة إلا يسر، وكيف لا يكون كذلك والله -عز وجل- يقول: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ يعني يريد بكم شرعاً اليسر ولا يريد بكم العسر، فكيف يتصور إنسان أن يقول الله لنا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾ ويأتينا بشيء في الكتاب والسنة فيه عسر، لا والله ما كان. فهذه الكلية الأولى: أن نتمسك بالكتاب والسنة.

الكلية الثانية: أن ما كان فيه سعة شرعاً نميل فيه إلى اليسر، فما دمنا لسنا ملزمين فإن الأصل هو الميل إلى اليسر لا سيما في التعامل مع الآخرين، قد يكون الإنسان في نفسه يختار طريقاً لكن في التعامل مع الآخرين يميل إلى اليسر، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

والكلية الثالثة في اليسر: مراعاة العوارض التي تعرض، فلا بد من النظر إلى بساط الحال في أي بلد أنت، وفي أي مدينة أنت، وما قوتك وما ضعفك، فلا بد من مراعاة الأحوال، ولذلك في شرع ربنا مراعاة الأحوال؛ إذا سافر الإنسان خفف عنه، إذا مرض خفف عنه، وهكذا.

﴿يَسْرًا وَلَا تَعْسْرًا، وَبَشْرًا وَلَا تَنْفَرًا﴾ فالبشارة هي الإخبار بالخير، ويُفسرها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «(وَلَا تَنْفَرًا)» فقدم للناس ما يُرغّبهم لا ما يُنفّرهم من غير مخالفة للشرع.

يا أخوة: هنا الفرق بين السلفي وغيره؛ أن السلفي الميزان عنده الشرع في هذا الباب، وغيره الميزان عنده هواه وما يُريده الناس فهو يُيسّر الناس بما يُريدون، ولذلك سيأتينا أن هناك من الجماعات من وضعت من أصولها ألا يُقال للناس ما لا يُحبون؛ لأنهم ينظرون إلى الهوى.

أما عند السلفي فهو يُيسّر من غير مخالفة لشرع الله -عز وجل-، يُيسّرهم بما في كتاب الله وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويُيسّرهم بالخيرات ولا يُنفّرهم، وقد يكون هذا من ناحية المضمون، وقد يكون من ناحية الأسلوب، فيُخاطب الناس بما يُيسّرهم، حتى في التوحيد عندما تدعو الناس إلى التوحيد تستطيع أن تُخاطبهم بما يُيسّرهم ويجعل قلوبهم تتعلّق بالتوحيد وهكذا.

﴿وَتَطَاوَعًا وَلَا تَحْتِلَفًا﴾ الاختلاف شر فينبغي أن نحصر على عدم الاختلاف، ومن أسباب السلامة من عدم الاختلاف: التشاور والمطوعة، المطوعة مفاعلة بين طرفين يميل كل واحد منا إلى أخيه ونتطوع، وإذا حدث أمر نتشاور فيه ونتطوع.

﴿والتطوع يكون إلى ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: إلى الحق، فإذا كانت المسألة بين تمسك بحق أو تنازل عنه أو عن بعضه، فإننا نتطوع بالرجوع إلى الحق والتمسك بالحق.
- والأمر الثاني: الرجوع إلى الأصلح، فإذا لم تكن المسألة حقًا وباطلاً لكنها في طريقين، فإننا نتطوع إلى الأصلح ونأخذ الأصلح ونترك الصالح، فإن لم يكن ذلك فهو:
- الثالث: وهو الرجوع إلى قول الأقدم والأقدر أو الأكثر؛ يعني ليست المسألة حقًا وباطلاً، وما ظهر أن هذا صالح وهذا أصلح واختلفنا في المسألة، نرجع إلى قول الأكبر منا والأقدم منا فإن لهم حق الإجلال وهم أسبق منا، أو نرجع إلى قول الأكثر فإن الجماعة أقرب إلى الحق ما لم يوجد دليل لمن كان الأقل.

الشاهد يا أخوة: يجب أن يكون عندنا مبدأ التطوع حتى لا ينشق الصف: ﴿وَتَطَاوَعًا وَلَا تَحْتِلَفًا﴾، ليست هذه وصيتي، هذه وصية رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمن يقوم بالدعوة، ولمن يقوم بالولاية، ولمن يقوم على أمر من أمور المسلمين.

✦ وكنا نكرر ونقرر أمرًا أشار إليه الأخ حكيم الآن: وهو أنه يُستحب للداعية أن يتألف الناس بالتنازل عن حقوقه لا عن دين الله، ما يتنازل عن دين الله ليتألف الناس، ما يقول: لا تتكلموا في التوحيد حتى نجمع قلوب الناس، هذا دين الله أنت لا تملكه، ولكن يتنازل عن حقه هو عن بعض ماله، عن بعض وقته، يبذل جاهه للناس، من أجل تأليف القلوب، وهذا هو طريق السلفيين من صدر الإسلام: تأليف قلوب الناس ببذل ما عند الإنسان لا لبذل دين الله والتنازل عنه وهكذا التاريخ.

وهذه الوقفة التي كانت من إخواننا السلفيين مع أهل البلاد لما نزلت نازلة الزلازل هي من هذا الفقه، وقد كان لها أثر كبير بحمد الله في نفوس الناس، بل في نفوس المسؤولين، وبيئت صدق ديانة

السلفيين، وأنهم مع الناس ويبدلون ما يبذلون لنفع الناس، فكان في ذلك خير فينبغي أن نغتنمه، ونجتهد في الدعوة وتعليم الناس التوحيد والسنّة لعل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعلنا سبباً لدخول الناس في هذا الطريق العظيم.

هذا كلامٌ أقدمه بين يدي دروسنا إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعل فيه نفعاً، وأن يجعلنا ممن يجتمعون على الحق والهدى، ويجمعون الناس على الحق والهدى، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلّ الله على نبينا وسلّم.



[مدخل دراسات في المنهج]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمرحباً بإخواني وأحبتي، وأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعل هذا الوقت وقتاً مباركاً، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة.

✦ هذا هو الدرس الأول من دروس هذه الدورة [دراسات في المنهج]، وهي الدورة الأولى التي تُعنى بالأصول الكلية المتعلقة بالمنهج، وإن كتب الله -عَزَّ وَجَلَّ- ستتلوها دوراتٌ تفصيلية حيث أن الفكرة أنا إن شاء الله في كل دورة نأخذ كتاباً منهجياً من كتب مشايخنا، فنستفيد فائدتين:

▪ الفائدة الأولى: التعريف بالشيخ وبيان منزلته وجهوده.

▪ والفائدة الثانية: قراءة الكتاب والاستفادة منه.

ونسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُيسر ما أردنا، وأن ينفعنا وينفع بنا.

✦ هذا الدرس بما أنه درسٌ وحيد بعد حفل الافتتاح في هذا اليوم يوم الاثنين ليلة الثلاثاء سنجعله مدخلاً للدروس كلها، فهذا درسٌ في مدخل لدروس الدورة، أقول فيه:

إن الله -عَزَّ وَجَلَّ- قد خلق الإنسان وجعل من فطرته أنه يحتاج إلى غيره، وأنه لا بد أن يجتمع مع غيره، ولا بد أن تكون له رابطةٌ تربطه بغيره؛ فمن فطرة الإنسان أنه لا يعيش وحيداً، بل فطرته تدعوه إلى أن يكون في جماعة، وقد كانت الرابطة بين الناس قبل الإنسان تعود إلى أمرين:

▪ الأمر الأول: القومية والقبلية فيرتبط القوم ببعضهم، وترتبط القبيلة ببعضها، فالرابط بين أفراد القبيلة هو القبيلة والقوم.

▪ والأمر الثاني: رابط المصالح، المصلحة المشتركة، وهذا كان يتمثل فيما يُسمى بالأحلاف؛ حلف كذا وحلف كذا، فيجتمع أقوام في حلف؛ لأن مصلحتهم المشتركة في هذا إلى أن أنعم الله -عَزَّ وَجَلَّ- على أهل الأرض ببعثة محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-

الذي أرسله للجنِّ والأنس كافة، وجعله رحمةً للعالمين، والمعلوم أن الإسلام لا يُخالف الفترة، ولكنه يُهذِّبها بما يليق بمكانة الإنسان.

يا أخوة: ليس في شرعنا، ليس في ديننا شيءٌ يصادم الفطرة، ولكن ديننا هذَّب الفِطْرَ.

← وأعطيكُم مثلاً لهذه الكلية العظيمة: الله -عَزَّ وَجَلَّ- جعل من فطرة الإنسان الشهوة، رَكَّب فيه الشهوة، في فطرته الشهوة، ولذلك الإسلام لم يمنع الإنسان من الشهوة ولكنه هذَّبها بما يليق بمقام الإنسان، وبما يرتفع بالإنسان، فشرع النكاح وجعله طريقاً ليشبع الإنسان شهوته، فلم يمنع الإسلام ما تقتضيه الفطرة ولم يترك الباب على مصراعيه كما يفعل غير المسلمين من قضاء شهواتهم بما يُشبهه مقام البهائم بل هو أسوأ، وهكذا في جميع الأمور؛ الإسلام هذا الدين العظيم لا يُصادم الفِطْرَ، بل هو دين الفطرة ولكنه يُهذِّبها.

ففي فطرة الناس كما تقدَّم الاجتماع والجماعة، وارتباط الإنسان بغيره، فلم يمنع الإسلام ذلك بل أكَّده، ولكنه هذَّب هذه الرابطة بما يليق بالإنسان، فكانت الرابطة في ديننا هي الإسلام الذي جاء به محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والجماعة، فالرابطة شرعاً بين المسلمين هي الإسلام، الإسلام كما جاء به محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وما دون ذلك يكون في إطاره ولا يُقابله، ارتباط الجيران ببعضهم، ارتباط القومية ببعضهم، هذا إذا كان في إطار الإسلام فهذا لا نتحدَّث فيه ولا يُمنع، ولكن أن يكون ذلك مخالفاً لأصول الإسلام فهذا ممنوع.

أن يأتي إنسان ويقول: نريد أن نجعل لكل قومٍ إسلاماً؛ فعندنا إسلام للعرب، وإسلام لجنوب شرق آسيا، وإسلام لأوروبا، هذه جاهلية ومخالفة لشرع الله -عَزَّ وَجَلَّ- وعودة إلى الروابط الجاهلية قبل مجيء الإسلام، الرابطة الأعظم والتي يُرَدُّ إليها كل شيء هي الإسلام كما جاء به محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن ذلك: الرابطة الأخرى التي تنبع من الإسلام وهي الجماعة، فيربط الناس الجماعة.

✻ والجماعة -وهذا افهموه جيِّداً؛ لأنه غاب عن كثيرٍ من الناس ويحلُّ إشكالات كثيرة-: الجماعة الشرعية يا أخوة نوعان، جماعتان:

▪ الجماعة الدينية.

■ وجماعة الأبدان.

والجماعة الدينية معناها: أن يكون الناس على دينٍ واحد من غير اختلافٍ في عقائدهم وأصولهم، وأما الفروع فيقع فيها الاختلاف، فهذه الجماعة هي جماعةٌ واحدة لا جماعات، ليس في الدين جماعات وإنما هي جماعة واحدة لا تحدُّها حدود، بل الواجب على أهل إندونيسيا أن يدخلوا في هذه الجماعة، والواجب على أهل السعودية أن يدخلوا في هذه الجماعة، والواجب على أهل مصر أن يدخلوا في هذه الجماعة، وأن يكون جميع المسلمين جماعةً واحدة لا جماعات.

وهذا ما أمرنا الله -عَزَّ وَجَلَّ- به كما في قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] فيبين الله لنا كيف تكون الجماعة، ثم أمرنا بلزومها، ونهانا عن التفرُّق عنها وفيها، سبحانه الله! في هذه الكلمات اليسيرة بيّن الله لنا كيف تكون الجماعة الدينية وأمرنا بلزومها، ونهانا عن التفرُّق عنها أو فيها.

﴿واعتصموا بحبلِ الله﴾ [آل عمران: ١٠٣] لا تكون الجماعة الدينية قائمة واقعةً إلا إذا كانت على كتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأن نعتصم بالكتاب والسنة، وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿واعتصموا بحبلِ الله جميعاً﴾ هذا أمر بالاجتماع على هذه الجماعة، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ في أي زمان وأي مكان لا تفرقوا.

ثم بيّن الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن هذه الجماعة هي النعمة العظمى وأن ما عداها فرقة، كل ما يخالف الاعتصام بالكتاب والسنة -وسياتي أن شرط هذا على فهم سلف الأمة- فإنه فرقة، ويخالف الجماعة الدينية الشرعية فقال سبحانه: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

يُذَكِّرهم الله -عَزَّ وَجَلَّ- بما كان مع أنهم كانوا في جماعات لكنها لم تكن جماعة شرعية، ويبيّن لهم أن ترك الجماعة الشرعية سبب للفرقة في الدنيا، وسبب للخسران يوم القيامة، ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣] يعني تهتدون إلى هذا المعنى: وهو أن ترك الجماعة الشرعية الدينية سبب للفرقة في الدنيا والخسران يوم القيامة.

ثم قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤] سبحان الله! لما أمر الله بالاعتصام وبيّن لنا كيف تكون الجماعة بيّن لنا كيف نُحَقِّقُهَا، فلا تتحقق الجماعة إلا بدعوة صادقة بأن يكون من أفراد الجماعة رجالٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف.

هنا وقفة: الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ هل هذا تكرار من باب التأكيد، ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾؛ لأن ظاهر الأمر أن الأمر بالمعروف دعوة إلى الخير؟

الجواب: لا كما قال المحققون من أهل العلم؛ فإن المقصود بالدعوة إلى الخير هي الدعوة ابتداءً إلى الخير، والأمر بالمعروف هو الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه؛ يعني أنت تدعو إلى الخير حتى لو لم يتركه الناس، تدعوهم ابتداءً قبل أن يعرفوه، وتدعوهم بعد أن يعرفوه، فالدعوة إلى الخير إرشادٌ ووقاية؛ إرشاد إلى الخير، ووقاية من ترك الخير، أنت عندما تُعَلِّمُ الناس التوحيد فأنت:

- أولاً: تدلهم على التوحيد ابتداءً، تُعَلِّمُهُمُ التوحيد.
- ثانياً: عندما تُكْرِّرُ تعليم التوحيد فإنك تدعو إلى الثبات على التوحيد وإلى الوقاية من ترك التوحيد والإخلال به.

أما الأمر بالمعروف فهو علاج، إذا ظهر ترك المعروف فإنك تأمر من تركه وغيره، ولذلك يقولون في الحسبة: إن الحسبة هي أمرٌ بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهيٌ عن المنكر إذا ظهر فعله، إذن الدعوة إلى الخير إرشادٌ ووقاية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علاج بعد وقوع الداء، إذا تُرِكَ المعروف يُأمر به، إذا فُعل المنكر يُنهى عنه، ولا تُشَدُّ أواصر جماعة المسلمين إلا بهذا: بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا وجدت طائفة من الأمة تقوم بهذا على المنهاج الشرعي فإن الأمة تكون في فلاحٍ أبداً، ولن تذلل ولن تخسر ما دامت متمسكةً بهذا.

كذلك يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] هذا الذي جاء به الأنبياء، وجاء به محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خاتمهم وسيدهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿أَنَّ

أَقِيمُوا الدِّينَ ﴿١﴾ لن تكون الجماعة الدينية الشرعية إلا بإقامة الدين، ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ فأمرونا الله -عزَّ وَجَلَّ- بهذه الجماعة.

أنا قلت: الجماعة كم يا أخوة؟ جماعتان:

- الجماعة الدينية الشرعية.
- وجماعة الأبدان الشرعية.

وجماعة الأبدان الشرعية معناها: أن يكون للناس إمامٌ يسوسهم ويقودهم، والأصل في هذه الجماعة أن تكون واحدة، لكن إذا تفرَّق الناس وتعدَّر عليهم بسببٍ من الأسباب أن يكونوا جماعةً واحدةً فإنه يكون لكل قومٍ لهم إمام جماعة، وهذا بإجماع العلماء كما حكاه جمع من أهل العلم؛ منهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ومنهم الشوكاني -رحم الله الجميع-، وكما قرره في دروسه كثيراً شيخنا الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ-.

فهؤلاء في كل بلدٍ جماعة؛ فأهل إندونيسيا جماعة، وأهل السعودية جماعة، وأهل مصر جماعة، ولا يُطلب هنا أن يترك الإنسان جماعته إلى جماعةٍ أخرى، فأتت في إندونيسيا في جماعة إندونيسيا، ليس مطلوباً منك أن تكون مثلاً مع جماعة السعودية، ونحن نتكلم يا أخوة عن جماعة الأبدان، أو تكون مع جماعة مصر، أو نحو ذلك.

وقد أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الفُرقة حاصلةٌ في الأمة، وهذه الفرقة يا أخوة حاصلة عن الجماعتين:

- فرقة عن جماعة الدين، الجماعة الدينية.
- وفرقة عن جماعة الأبدان.

وحذرننا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من هذه الفرقة، ويبيِّن لنا كيف نتعامل معها، وأنه:

- إذا حصلت الفرقة عن الجماعة الدينية فإنه يجب علينا أن نتمسك بالجماعة وأن نترك الفِرَق والافتراق، وذلك بالتمسك بأصول الجماعة الدينية.

▪ وإذا حصلت الفرقة عن جماعة الأبدان نُعالج ذلك بأن نتمسك نحن بهذه الجماعة وندعو إليها، ونُحذّر من الافتراق عنها ومفارقة أهلها، ونُجاهد من يدعو إلى الفرقة كلُّ بما عنده.

أما وليُّ الأمر وأهل السلطنة فالواجب عليهم أن يُجاهدوا من يدعو إلى الفرقة ويسعى إليها بحسب حاله؛ مَنْ كان يدعو إليها بالسلاح فنُجاهد بالسلاح؛ لأن هذا خروج ويُقاتل من يخرج، وإن كان من طلاب العلم من أمثالكم فإنه يُجاهد باللسان والقلم، فيدعو إلى الاجتماع في البلاد، ويرد على الذين يدعون إلى الفرقة، وهكذا.

✦ فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفَتَّرِقُ أُمَّنِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قالوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

أخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن بني إسرائيل افرقت على ثنتين وسبعين ملة، والمقصود ببني إسرائيل هنا النصارى؛ لأن اليهود كما جاء في التفصيل افرقت على إحدى وسبعين فرقة، فيكون المقصود هنا النصارى، وأخبر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن أمته ليست معصومةً من الافتراق، سبحانه الله! ليست معصومة، فالافتراق كونًا وقدرًا سيقع فيها وإن كانت شرعًا مأمورةً بالاجتماع، لكن أخبر أن الافتراق سيقع بل أكثر مما وقع في الأمم السابقة، فستفترق على ثلاثٍ وسبعين ملةً، ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار، والمقصود بهذه الجملة: أنها كلها فيها مخالفةٌ للشرع، وعندها مخالفةٌ للشرع، فهي تستحق دخول النار، وليس المقصود أنهم كفار على التحقيق.

ولذلك بعض المدلسين عندما نتحدث عن هذا الحديث يقولون: أنتم تحكمون على من يُخالفونكم بالكفر؛ لأنكم تقولون: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ» نقول: لسنا الذين نقول: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ» النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ» ومع ذلك نحن نفسر هذا بما يدفع التكفير عن لا يستحق التكفير، ونقول: المقصود «كُلُّهُمْ فِي النَّارِ» أن عندهم مخالفةٌ للشرع، ومخالفة الشرع تقتضي دخول النار؛ لأنها معصية، فإذا كانت دون الشرك فإنها تكون تحت المشيئة؛ إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

لكن الذي يعيننا أن مراد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من ذلك أن كل الفِرَق المختلفة إلا ما استثناه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عندها مخالفةٌ للشرع، «إِلَّا وَاحِدَةً» هي المفلحة السالمة من مخالفة الشرع، ولما سُئِلَ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عنها ذكر وصفها قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».

هنا وقفة: ألا يكفي أن يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَا أَنَا عَلَيْهِ»؛ لأن الذي عليه الصحابة هو الذي عليه الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ونحن نعلم أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوتي جوامع الكلم واختصر له الكلام -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلا يمكن أن يزيد شيئاً إلا لفائدة كبرى، وهذه الفائدة هنا: أن الفرقة الناجية توزن بما عليه الصحابة، بفهم السنّة بفهم الصحابة؛ لأن كل مسلم يزعم أن الذي هو عليه هو السنّة، ما في مسلم إلا من شذ يقول: أنا أخالف السنّة وأنا على حق والسنّة على باطل، كلُّ يقول: أنا على السنّة، لكن ما هو الميزان، أين يظهر الصدق؟ يوزن الناس بما كان عليه الصحابة؛

- فمن كان على ما كان عليه الصحابة في زمن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبعد موت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو من الجماعة المفلحة السالمة التي تجمع الخير.

- ومن خالف ما عليه الصحابة فهو من الفرق التي خرجت عن هذا الحد.

إذن هنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيّن لنا الفرقة الناجية والجماعة الناجية بوصفها بهذا الوصف العظيم: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» إذن معنا حق شرعي أن نقول: كل من خالف ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه الميامين الكرام -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- فإنه يدخل في حدّ الفرق التي تستحق النار.

♦ وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فِإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ: لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ؛ فِرْقَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

فبيّن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه في جميع أمم الأنبياء عند حصول الافتراق النجاة لفرقة واحدة؛ ففي اليهود افرقوا إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً سَبْعُونَ فِي النَّارِ وواحدة هي التي تمسكت بما عليه

الأنبياء في الجنة، وكذلك النصارى، وكذلك أمة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لكن هنا لما سُئِلَ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن هذه الفرقة قال: **«الْجَمَاعَةُ»** وهذا يشمل الجماعة بنوعيتها:

▪ الجماعة الدينية.

▪ وجماعة الأبدان.

فالفرقة الناجية هي المتمسكة بالجماعة، الداعية إلى الجماعة، المنافحة عن الجماعة، فتدعو إلى جماعة الدين التي قلنا: إنها جماعة واحدة لا جماعات، لا تختلف في مكانٍ عن مكان، وتتمسك بها وتعض عليها، وتدعو إلى جماعة الأبدان بحسب الأصول الشرعية.

✦ وقال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»** رواه أبو داود وصححه الألباني.

فأخبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن الاختلاف في الأمة والافتراق في الأمة كثير؛ **«فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»** ما قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: تعاونوا فيما تستطيعون وليعذر بعضكم بعضًا فيما لا تستطيعون، ما قال: فيما اتفقتم عليه وليعذر بعضكم بعضًا فيما اختلفتم فيه، وإنما قال: **«فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»** الفاء هذه للتفريع؛ يعني إذا رأيتم الاختلاف الكثير فماذا تصنعون؟ **«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»** تمسكوا بالسنة ويلزم من هذا أن تكونوا مع أهل السنة.

«تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ» سبحان الله! هل سيأتي الخلفاء بما يخالف السنة؟ الجواب: لا، ولكن المقصود أن نفهم السنة بفهم الخلفاء الراشدين المهديين وهم مثال للسلف الصالح - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ -؛ لأن عندهم رشدًا وهداية.

«تَمَسَّكُوا بِهَا» الزموها، **«وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»** يكفي أن يقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«تَمَسَّكُوا بِهَا»** لماذا يقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: **«وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»**؟ ليُعَلِّمَنَا أَنْ دُعَاةَ الْفِتْنَةِ كَثُرَ، وَأَنْهُمْ سَيُحَاوِلُونَ أَنْ يَتَخَطَّفُونَا عَنْ هَذَا الطَّرِيقِ، مَعْلُومٌ يَا أُخُوَّةَ أَنْ الْإِنْسَانَ لَا يَعْضُ عَلَى الشَّيْءِ بِأَسْنَانِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ يُسْحَبُ مِنْهُ، لَا يَعْضُ عَلَيْهَا بِأَسْنَانِهِ بِقُوَّةٍ إِلَّا إِذَا كَانَ يُسْحَبُ مِنْهُ.

فالمقصود أنك إذا تَمَسَّكَ بالسنة بفهم السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- ستجد من يريد أن يجذبها منك فتمسك بقوة، ولن يتم لك ذلك حتى تجتنب المحدثات، لا يستقيم لك الأمر بأن تقول: أنا متمسك بالسنة لكن أنا مع أهل البدع، ما يمكن، لا بد من الشرطين:

▪ التمسك بالسنة.

▪ ومجانبة البدع.

«وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» لن تجني من البدع خيراً أبداً، وأهل البدع مثل الحيوان المفترس، قد تأتي بحيوان مفترس وهو صغير تربيته، وتُعْطِيهِ الحليب، وتُعْطِيهِ الأكل، وتُعْطِيهِ، وتُعْطِيهِ، وتُعْطِيهِ، في يوم من الأيام سيفترسك ولا بد، لا يؤمنون على السنة أبداً، ولذلك لا يتم الأمر إلا بمجانبة البدع وأهلها كما هو أصل السنة والجماعة الذي سيأتينا إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

إذن مات النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والناس على خير، وكانوا على الجماعة، ثم حصلت الفرقة، يقول أبو بكر البغدادي في كتابه [الفرق بين الفرق]: "كان المسلمون عند وفاة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه، غير من أظهر وفاقاً وأضمر نفاقاً"، يقول: (كان المسلمون عند وفاة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على منهاج واحد في أصول الدين) فكانوا في أصولهم واعتقادهم عللاً منهاج واحد، (وفروعه) أي في الأصول، في أصول الفروع، وإلا فالمعلوم أن الصحابة كانوا يختلفون في مسائل الفقه لكن منهجهم واحد وهو الرد إلى الكتاب والسنة إلا من أظهر وفاق المسلمين وهو في الحقيقة منافق.

ومعنى هذا: أن الواجب هو التمسك بما كان عليه المسلمون عند وفاة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وقد ظهر الأمر وظهر الخير واستمر الأمر هكذا على ما كان عليه الصحابة عند وفاة النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أن ظهر في الإسلام أناس لم يأخذوا العلم عن الأكابر، وظنوا جهلاً أنهم أعلم بدين الله من صحابة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأغبر على دين الله من صحابة رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فظهرت الفرق، وأول ما ظهر القدرية والخوارج.

انتبهوا يا أخوة لما أقول: هذا أساس الشر في الأمة، أساس الافتراق، عدم أخذ العلم عن الأكابر، وإساءة الظن بالأكابر، والغرور بالنفس، إذن وجدت هذه الأمور الثلاثة فلا تنتظر إلا فرقة أبداً، عدم أخذ العلم عن الأكابر، هؤلاء كان عندهم صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما أخذوا العلم من الصحابة وإنما صاروا يجتمعون فيما بينهم ويُقرّرون فيما بينهم ولذلك ظهرت الفرق.

ولذلك ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - لما ذهب إلى الخوارج يُناظرهم ويُقيم عليهم الحجة قال: "جئتكم من عند ابن عمّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وليس منهم فيكم أحد" يعني يقول: أنا جئتكم من الأكابر سنّاً وعلماً: ابن عم الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأما أنتم فأصاغر ليس فيكم من الصحابة أحد، يُشير إلى هذه القضية: أنهم ما أخذوا العلم عن الأكابر عن الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -، وأساءوا الظنّ بالصحابة وأحسنوا الظنّ بأنفسهم، واستغلّ أعداء الدين هذا فكان عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أظهر الإسلام ليُفسد على المسلمين دينهم يستغلّ هذه القضية، فكان عبد الله بن سبأ اليهودي أصلاً لفرقتين مختلفتين ولكن يجمعهما الابتداع:

▪ كان أصلاً للخوارج؛ يعني من الأصول التي ترجع إليها الخوارج.

▪ وكان أصلاً للروافض.

أزّ هؤلاء وأزّ هؤلاء، وهكذا في كل زمان: أعداء الدين وأعداء السنّة يستغلون وقوع هذا لإحداث الفرقة في صفّ المسلمين، هذه الفرق التي حدثت ولا زالت تحدث هي سهمٌ في خاصرة الأمة.

يقول الشاطبي - رَحِمَهُ اللهُ - في كتابه [الاعتصام]: "ثم استمر تزايد الإسلام واستقام طريقه على مدّة حياة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن بعد موته، وأكثر قرن الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ - إلى أن نبغت فيهم - يعني في الناس - نوابغ الخروج عن السنّة، وأصغوا إلى البدع المضلّة - انتبهوا: الخروج عن السنّة ففتح الأسماع للبدع المضلّة، هذا أساس الشر - كبدعة القدر، وبدعة الخوارج، وهي - أي بدعة الخوارج - التي نبّه عليها الحديث بقوله: يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم" قال: "يعني لا يتفقهون فيه، ولا يعملون به، ولا يدعون إليه". هذا كما قلنا سبب قوة الجماعة وبقاء الجماعة: الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

قال: "ثم لم تنزل الفرق تكثر حسب ما وعد به الصادق -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قوله: «افترقت اليهود» فذكر الحديث، قال: "وكل صاحب مخالفة -انتبهوا لهذا الكلام فهو دقيق جدًا في وصف القضايا-، يقول: "وكل صاحب مخالفة فمن شأنه أن يدعو غيره إليها" أصحاب المخالفات يدعون إلى ما هم عليه، وينشرون ما هم عليه، ولذلك ما يصلح أن نقول: نحتويهم بل نعالجهم وندعوهم إلى السنة.

قال: "ويحُصُّ سواه عليها" ثم قال كلامًا طويلاً قال في آخره: "فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفة السنة عادةً وسمعةً" يقصد أن الحق والسنة لا تختفي من الأرض في زمنٍ من الأزمان كما قلنا في الكلمة قبل في الافتتاح، لا بد أن تكون السنة ظاهرةً باقية، لكن في زمنٍ من الأزمان قد تظهر البدع وتكثر البدع ولكن تبقى السنة باقية وظاهرة.

فيقول: "فلا تجتمع الفرق كلها على كثرتها على مخالفة السنة عادةً وسمعةً، بل لا بد أن تثبت جماعة أهل السنة حتى يأتي أمر الله، غير أنها -أي جماعة أهل السنة- لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء" وهذا شأن الفرق الضالة في كل مكان: يختلفون إلا على أهل السنة والجماعة يجتمعون، هم قلوبهم شتى، وأفكارهم شتى، وآراؤهم شتى، ولكن يجتمعون على عداوة أهل السنة والجماعة.

يقول: "غير أنها لكثرة ما تناوشهم الفرق الضالة وتناصبهم العداوة والبغضاء لا يزالون في جهادٍ ونزاع" هذا شأن أهل السنة والجماعة: مجاهدون حتى يأتي أمر الله، مجاهدون باللسان والقلم، يُقرِّرون الحق ويردُّون الباطل، ويردُّون على البدع وأهلها، يقول: (لا يزالون في جهادٍ ونزاع) يعني مع مخالفيهم "ومدافعة وقراع آناء الليل والنهار، وبذلك يضاعف الله لهم الأجر الجزيل ويشيهم الثواب العظيم"، وهذا شأن أهل السنة والجماعة.

ولذلك أنا دائماً أقول للأخوة: إذا لم يتكلم فيك أهل البدع ففتش في نفسك عندك خلل، من أدلة سلامة المنهج: أن يتكلم فيك أهل البدع، بل قلت مرةً وقلبت القضية وقلت: إذا رضي عنك أهل البدع ففتش في نفسك، نعم قد يرضى عنك بعضهم لشيء أو هدف، لكن أن يرضى عنك أهل البدع

ففتش في نفسك، عبر التاريخ لم يرَضَ أهل البدع عن عالم من علماء السنَّة إلى يومنا هذا، ولكن أهل السنَّة يُجاهدون ويثبتون ويصبرون.

✦ وأهل السنَّة والجماعة كما سيأتي إن شاء لكن أذكره بالمناسبة باختصار يتميزون بالعلم والعدل والعقل، يتميزون عن غيرهم بالعلم والعدل والعقل، فأهل السنَّة أهل علم على وجه التفصيل، كما يقول بعض الناس:

▪ الرجل من أهل السنَّة مثل الكتاب تجده مليئًا بالعلم، فهو حريص على العلم وتجد عنده علمًا.

▪ والرجل من أهل الأحزاب والفرق مثل الطبل، تجده كبيرًا ولكنك لا تجد عنده شيئًا. وهذا حال أهل البدع يُكبِّرون أنفسهم؛ المفكّر الإسلامي الكبير، العلامة كذا، ثم إذا جاء يتكلم لا تجد إلا لسانًا، لا تجد علمًا، فهو مثل الطبل إذا نظرت إليه من بعيد ترى شيئًا كبيرًا، وإذا سمعت الصوت ترى صوتًا عظيمًا، لكن إذا شققت الجلد لا تجد إلا هوى، لا تجد شيئًا، فأهل السنَّة والجماعة يتميزون بالعلم.

ولذلك يا أخوة: عليكم بالعلم، عليكم بالعلم، عليكم بالعلم، العلم مشغلة عما يضر، دلالة على ما ينفع، الإنسان الذي يشتغل بالعلم يدله العلم على ما ينفعه ويشغله عما يضره، ولذلك يا أخوة أكثر الناس الذين يقعون في المشاكل والفتن هم الذين لا يتعلَّمون، لا يطلبون العلم، عنده وقت ويدخل الإنترنت ويرى المواقع، عنده وقت، ويضرب في كل وإد يهيم حتى يُفتن؛ فأهل السنَّة والجماعة يا أخوة من أهم ميزاتهم العلم كما سيأتي إن شاء الله؛ فعليكم بالعلم.

✦ أيضًا العدل، أهل السنَّة والجماعة أهل عدل حتى مع مخالفيهم، لا يظلمون الناس، بل ربما تجد الرجل من أهل السنَّة يذبُّ عن رجلٍ هو يتكلم فيه بحق، لكن لما نُسب إليه شيء بالباطل يذب عنه؛ يعني قد تجد شيخًا يتكلم في شخص يُحَدِّر منه؛ لأنه من أهل البدع ويُقرر... لكن لو نُسب إليه شيء بالباطل قال: لا ما أعرف هذا عنه، فأهل السنَّة والجماعة أهل عدل حتى مع مخالفيهم فكيف فيما بينهم؟ لا شك أنهم أهل عدل وأهل عقل.

✦ من صفات أهل السنة والجماعة: الحكمة والتعقل، والنظر إلى مآلات الأمور كما سيأتي إن شاء الله -عزَّ وجلَّ- بخلاف غيرهم.

✧ إذن عندنا هنا قضية مهمة جداً تتعلق بفرق بين أهل السنة والجماعة وجميع الفرق وقد أشرت إليه أيضاً في المقدمة الافتتاحية: وهو أن أهل السنة والجماعة يمتد إسنادهم إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالواقع، فهم يأخذون دينهم بسلسلة من نور بخلاف غيرهم من الفرق، فإن جميع الفرق قد حدثت بعد عهد الصحابة أو في آخر عصر الصحابة وليس أهلها من الصحابة، حتى التي حدثت في آخر عهد الصحابة أهلها ليسوا من الصحابة.

حدثت هذه الفرق فانقطع ما بينها وبين رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لا يمكن أن تصل إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بإسنادها إلا بالدعوى؛ فالصوفية يكذبون يعكسون القضية يقولون: نحن عندنا إسنادهما أما أنتم ما عندكم إسنادهما، يأتي واحد منهم ويقول: العمامة هذه أنا أخذتها بالسند، ويزعمون يقولون: عن رسول الله عن جبريل عن الله، وهم لا يستطيعون أن يصلوا إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أصلاً، أبداً، إسنادهم ينقطع دون الصحابة لو كان لهم إسناده.

☞ فهذه مسألة مهمة في قضية أهل السنة والجماعة مع الفرق: أهل السنة والجماعة إسنادهم بالواقع الذي يمكن إثباته يصل إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أما غيرهم من الفرق فإنها لا تصل إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل لا بد من انقطاعها.

هنا سؤال وهو: هل يجوز الانتفاء إلى الجماعات والفرق؟

هذا السؤال قام عليه كتاب هذبته الشيخ سعد الحصين في حكم الانتفاء للفرق والجماعات الإسلامية، أصل الكتاب للشيخ بكر أبو زيد -رَحِمَهُ اللهُ- كان عضو هيئة كبار العلماء في المملكة، ولكن الكتاب هذبته الشيخ سعد الحصين -رَحِمَهُ اللهُ-، والشيخ سعد الحصين معروف عندكم، ولعلي إن شاء الله إذا كتب الله لنا دورة نختار دورة من كتبه المنهجية ونُعرِّف به حتى يعرف السلفيون أعلامهم، ونشرح كتابه إن شاء الله -عزَّ وجلَّ-، وله كتب عظيمة الشيخ الحصين -رَحِمَهُ اللهُ-.

فكان الجواب عن هذا السؤال: أنه عُلِمَ بالضرورة من دين الإسلام أنه لا دين إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمعٍ وطاعة، قال: "وهذه الثلاثة متلازمة" لاحظوا يا أخوة: ذكر الجماعة الدينية وجماعة الأبدان؛ لأنه قال:

- (لا دين إلا بجماعة) هذه الجماعة الدينية.
- (ولا جماعة إلا بإمامة) هذه تشمل جماعة الدين وجماعة الأبدان، لا بد من إمام، لا بد من علماء بالنسبة لجماعة الدين، ولا بد من إمام وولي أمر بالنسبة لجماعة الأبدان.
- (ولا إمامة إلا بسمعٍ وطاعة) ولذلك العلماء يقولون: يُسَمَعُ للعلماء فيما جُعِلَ لهم شرعاً، ويُسَمَعُ لولاية الأمر فيما جُعِلَ لهم شرعاً.

"وهذه الثلاثة متلازمةٌ آخِذٌ بعضها ببعضٍ" إلى أن قال: "فالإسلام هو الأصل في تكون الجسم النامي للأمة، والإمامة وسيلةٌ لحراسة ذلك الجسم في أمر الدين والدنيا، والإسلام كلُّ لا يقبل التشطير ولا التجزئة، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصحابته -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- ومن قفا أثرهم إلى يومنا هذا يدعون إلى الإسلام كله لا إلى بعضه".

والمقصود يا أخوة: أن الدعوة الإسلامية لا بد أن تكون دعوة لكل الإسلام بدءاً من أعلى الدعوة الذي يجب أن يُبدَأَ به ويُدَعَى إليه ويُتَقَرَّرَ الدعوة إليه وهو التوحيد إلى الأخلاق والفضائل كلها يُدَعَى إليها، وسيأتي إن شاء الله بيان منهج أهل السنَّة والجماعة في الدعوة إلى الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

قال: "وجماعة المسلمين على منهاج النبوة لا تقبل التشطير ولا التجزئة" يعني هي جماعة واحدة لا جماعات، "فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من حين بعثته نبياً رسولاً إلى وفاته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم صحابته -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- فمن تبعهم بإحسان كانت دعوتهم لتكوين جماعة المسلمين حاملةً راية التوحيد لا لجماعةٍ من المسلمين؛ يعني دعوة أهل السنَّة والجماعة دعوة إلى الله، ودعوة كل الفِرَق دعوة إلى نفس الفرقة.

يعني يا أخوة: أهل السنَّة والجماعة لا يدعون إلى أنفسهم، أهل السنَّة والجماعة يدعون إلى الله على بصيرة كما سيأتي إن شاء الله، أما كل الفِرَق فإنها تدعو إلى نفسها، جماعة الإخوان المسلمين وستكلم عن هذه الجماعة ونبين خطرهما بالأدلة من كلامهم حتى لا يُجَدَّع بعض الأخوة يدعون إلى جماعة

الإخوان المسلمين، ولذلك عندهم من كان معهم فهو الصالح ولو كان فيه ما فيه، ومن خالفهم فهو الفاسد ولو كان من أتقى عباد الله وأعلم عباد الله كما يُقررون ذلك في كتبهم، وكذلك سائر الفرق، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يدعون إلى الله.

قال: "وجماعة المسلمين على منهاج النبوة لا تقبل التشطير ولا التجزئة، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من حين بعثته نبياً رسولاً إلى وفاته -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم صحابته فمن تبعهم بإحسان كانت دعوتهم لتكوين جماعة المسلمين حاملةً راية التوحيد لا لجماعةٍ من المسلمين، وقد بين -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنهم هم المسلمون، وهم الطائفة المنصورة، وهم الفرقة الناجية، وهم السلف الصالح، وهم من كان على مثل عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه في الدين والدعوة إليه، وأمر بلزومهم، ونهى عن مفارقتهم".

ثم تكلم عن الفرق وما يتعلّق بالولاء والبراء ونحو ذلك، وكانت المحصلة: أنه يجب على المسلمين لزوم جماعة واحدة، والمقصود في دينهم، ويجب عليهم الحذر من الافتراق والفرق، وأن الفرق ضلالٌ يجب أن يُنهى عنه وأن يُحذَر منه.

إذا تقرّر هذا أنه لا بد أن يكون المسلمون جماعةً واحدةً في دينهم، وأن الفرق من الضلال الذي يجب التحذير منه يتبيّن مما ذكرناه ومما سيأتي إن شاء الله أن هذه الجماعة:

- إما أن نقول: إنهم الصحابة ومن سار على طريقتهم.
- وإما أن نقول: إنهم غير الصحابة.

فإذا قلنا: إنهم غير الصحابة فهذا يلزم منه باطلٌ ومنكرٌ عظيم؛ إذ يلزم منه أن الصحابة أهل ضلال -أعوذ بالله-، لو قلنا: إن الجماعة التي يجب لزومها ديناً هي غير الصحابة وإنما الذي حدث بعد الصحابة فيلزم من هذا لزوماً يقيناً أن الصحابة أهل ضلال؛ لأن القضية حق وضلال، وهذا منكرٌ عظيم، وباطلٌ عظيم، فيتعيّن أن نقول: إن الجماعة الشرعية التي يجب لزومها هي ما كان عليه الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- هذا لو لم يرد دليل النقل، فكيف وقد ورد الدليل النقل الذي ذكرناه؟!!

فمن هنا تعلم أهمية أن نتعلم منهج السلف، وأن نلزم ما عليه السلف، وأن ندعو إلى ما عليه السلف، فإنه دعوة إلى الجماعة التي يجب لزومها، وتحقيق هذه الجماعة الدينية، وهذا ما سيكون إن شاء الله -عزَّ وجلَّ- بياناً وفرقاً في الدروس التالية إن شاء الله -عزَّ وجلَّ- تقريراً لمنهج السلف، وبياناً لأبرز المخالفين من حيث الفرق، وأبرز الشخصيات المؤثرة في الافتراق في هذه الزمان، بحسب إن شاء الله ما يكفي الوقت.

وكما ذكرت لكم في الافتتاح إن شاء الله:

▪ عندنا أربعة مجالس هي المجلس الأول كل يوم لمدة أربعة أيام في [منهج السلف

الصالح -رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-].

▪ ثم أربعة مجالس في كل يوم هو المجلس الثاني في [فرق عصرية مخالفة] والحقيقة أننا

ستتکلم عن ثلاث فرق: الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ، وداعش وهي في الحقيقة

متولدة من الإخوان المسلمين وهي من الإخوان المسلمين، ولكن لبروزها وأهمية الكلام

عنها سنُفردُها بكلام إن شاء الله.

▪ ثم أربعة مجالس أيضاً وهو المجلس الثالث في اليوم وهو الأول في المساء.

وأنا بالمناسبة اقترحت على الأخوة أن نجعل الدرس الأول في المساء يبدأ الرابعة وخمس وأربعين

دقيقة، خمسة إلا ربيع، لماذا؟ حتى ننتهي السادسة والربع من الدرس الأول، ثم يتهيأ الأخوة لصلاة

المغرب ونُصلي المغرب فتكون جاءت الساعة السابعة فنبداً الدرس الثاني، حتى لا يكون هناك وقت

طويل وفراغ طويل، وتكسبون وقتاً في البداية؛ يعني نبدأ أربعة وخمس وأربعين دقيقة إن شاء الله

تحقيقاً للمصلحة.

▪ الدرس الأول في المساء الذي إن شاء الله سيبدأ أربعة وخمس وأربعين سيكون عن:

[أصول السلف] سنذكر أصولاً كثيرة على سبيل التفصيل لأهميتها، أربعة مجالس.

▪ ثم الدرس الأخير سيكون إن شاء الله عن [شخصيات شوّهت الإسلام] كما قلت

لكم: ليس كلاماً إنشائياً، سنذكر كل شيء بالجزء والصفحة لنكون على علم وحذر

ولنُحذّر غيرنا.

▪ سيبقى اليوم الأخير فيه مجلسان في الصباح والاختتام العصر، لكن الصباح سيكون عندنا مجلسان إن شاء الله إذا بقي شيء مما نريد أن نُقرّره سنقرّره في هذين المجلسين، وإذا لم يبقَ شيء إن شاء الله نجعل فيهما شيئاً نافعاً لكم إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

فأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يوفقنا، وأن تكون هذه الدورة متميزة نافعة، وأن تكون أساساً لدوراتٍ قادمة، طبعاً اليوم ما انطبق عليه الشرط؛ لأنه مدخل، ونحن قلنا: طريقتنا إن شاء الله في كل مجلس تتكلم ساعة وعشر دقائق ونترك عشرين دقيقة للمداخلات والأسئلة في كل مجلس إلى أن نفرغ من الدورة إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

أيضاً هناك لقاءان مفتوحان، أظن غداً ثم يوم نعم ويوم لا، اليوم لا، غداً لقاء، ثم لا، ثم لقاء، هذا أيضاً للأسئلة والمباحثات، طبعاً أنتم والله الحمد طلاب علم ودعاة فتتدارس ويستفيد بعضنا من بعض إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

طبعاً سنُجيب عن الذي يكفي في الوقت والباقي سأخذه معي للقاء المفتوح إن شاء الله:

الأسئلة:

يقول الأخ في سؤال: ما هو الضابط في كون الدعاة من الأكابر أو الأصاغر؟

أول أمرٍ يا أخوة: أن الوصف هنا إنما هو وصف تفضيل وليس وصف تنقُّص، فعندما نقول: الأصاغر ليس هذا من باب الذم، وليس من باب التنقُّص، وإنما من باب التفاضل؛ فالأكابر أفضل من الأصاغر وفي كل خير، وكل صغيرٍ يكبر، وكل كبيرٍ بالنسبة إلى الأكبر منه فهو صغير، هذه قضية مهمة؛ لأن بعض الناس يتحسس من قضية الأصاغر أو فلان صغير، يقول: كيف أنا صغير، أنا طالب علم؟ هذا ليس ذمّاً وإنما هي مقامات في التفاضل، وكما قلت أيضاً: نسبة.

ثم ما ضابط الأكابر والأصاغر؟

الناظر في كلام السلف -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يجد أن الأصل في الكبير هو الذي جمع بين أمرين:

▪ كِبَر السن.

▪ وكِبَر العلم.

فهو كبيرٌ في سنه، كبيرٌ في علمه، فهذا هو الأصل في الكبير، فجمع بين أمرين يقتضيان الإجلال:

- الأول: كِبَر السن؛ فهو عَرَفَ الإسلامَ قبلك، وعبد الله قبل أن تعبدته.
- والأمر الثاني: كِبَر العلم.

كلاهما يقتضي الإجلال؛ «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ» قال العلماء: «ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ» يُجَلُّ وَيُكْرَمُ وَإِجْلَالُهُ وَإِكْرَامُهُ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ قَبْلَ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْهُ، «وَحَامِلِ الْقُرْآنِ» الْمَقْصُودُ بِهِ الْعَالِمُ، لِذَلِكَ قَالَ: «غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ» وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنَ الْعُلَمَاءِ، فَهَذَا جَمْعٌ بَيْنَ الْخَصَلَتَيْنِ الْمَقْتَضِيَتَيْنِ لِلْإِجْلَالِ.

ثم يلي هذا في الكِبَر: كبير العلم ولو كان صغير السن فإنه من الأكابر بهذا الاعتبار؛ فمن كان معروفاً بالعلم على السنّة، وشُهِدَ له بالعلم، فإنه من الأكابر ولو كان صغير السن، لكن هذا مَنْ؟ هذا الذي يشهد له العلماء ما هو الذي يشهد لنفسه، ويُكْتَبُ على كتبه العلامّة العلامّة، ويستأجر اثنين وثلاثة يكتبون في الإنترنت: شيخنا العلامّة، شيخنا العلامّة، هذا قديم قام به واحد في دولة مجاورة للسعودية يُكَبَّرُ نفسه هكذا ويكتب على كتبه ويتشر شيخنا العلامّة وهو يُخَالِفُ العلماء، لا، الذي عَرَفَ له العلماء العلم، وعُرِفَ بالعلم، وشُهِدَ له بالعلم، وأنه متبحّر في العلم كبير العلم؛ فهو من الأكابر ولو كان صغير السن.

وكما قلت لكم: قولنا: إنه من الأصاغر لا يعني أنه محتقر أو أن هذا ذم، ولذلك قد يكون الإنسان كبيراً في السن ولكنه بالنسبة للأخذ يُعتبر صغيراً؛ لأن علمه قليل مثلاً، غيره يكون أعلم منه.

↩ إذن هي في الحقيقة ثلاث مراتب تقتضي الإجلال ما دام على أنه على السنّة:

- المرتبة الأولى: كبير العلم والسن، وهذا الأصل وهو الذي يعنيه السلف بالأكابر.
- المرتبة الثانية: هو كبير العلم ولو كان صغير السن.
- المرحلة الثالثة: مَنْ كان كبير السن وهو على السنّة لكنه قليل العلم.

وفي كلٍّ خير.

[تعريف المصطلحات]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإنني أحمد الله -عَزَّ وَجَلَّ- على هذا اللقاء الذي أسأل ربي -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يجعله مباركاً، وأن يجعل ثمرته وعاقبته خيراً وبركةً في الدنيا والآخرة.

هذا المجلس الأول من مجالس يوم الثلاثاء وهو المجلس الأول في موضوع: [منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-]، نتعرّف فيه بمنهج السلف الصالح وما يتعلّق بذلك من مباحث.

✦ ونبدأ أول ما نبدأ بالتعريف بالمصطلحات وما يتعلّق بها: فعندنا المنهج، وكلمة السلف، فما هو المنهج؟ ومن هم السلف؟ وما هي السلفية؟ وما الذي نعنيه بمنهج السلف؟ هذه أمورٌ لا بد من إدراكها.

فنبداً بكلمة المنهج:

المنهج: له معنًى في اللغة، وله معنًى في اصطلاح العلماء، يقول الشيخ محمد أمان الجامي -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ- وهو من كبار مشايخ الدعوة السلفية في هذا الزمان، ومن المشايخ الذين أدركاهم يُربُّون طلابهم على المنهج السلفي وعلى آدابه تربيةً طيبةً مباركةً -رَحِمَهُ اللهُ رَحِمَةً واسعةً-، يقول:

"المنهج لغة: الطريق الواضح، تقول: (نَهَجَ يَنْهَجُ نَهَجًا)، وَ(نَهَجَ يَنْهَجُ) أي وضح، وَ(نَهَجَ الطريق) إذا اتضح، وتقول: (نَهَجَ فلانٌ نَهَجَ فلان) إذا سلك مسلكه" إذن المنهج هو الطريق الواضح، والنَهَج هو سلوك ذلك الطريق، فالمنهج طريقٌ موصوف بكونه واضحًا، والنهج هو سلوك ذلك الطريق، هذا من حيث اللغة.

ومن حيث الاصطلاح فإنه لا يبعد عن ذلك، يقول الشيخ محمد أمان -رَحِمَهُ اللهُ-: "المنهج في الاصطلاح: الطريق الواضح الذي سار عليه المسلمون الأولون في دينهم عقيدةً وشرعيةً وسلوكًا وأخلاقًا، وجميع نواحي الحياة"؛ فالمنهج في الاصطلاح: هو المسلك الواضح المستقيم الذي كان عليه

المسلمون في صدر الإسلام، ويضبطه عمومًا قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهو طريق النعمة وطريق المنعم عليهم الذي يتصف بالعلم والعمل كما في قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾

[الفاحة: ٦-٧] نحن دائمًا في كل يومٍ وليلة ندعو بهذا الدعاء وجوبًا سبع عشرة مرة وقد نزيد.

يقول قائل: نحن نصلي إذن قد اهتدينا، فلماذا ندعو بهذا الدعاء: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[الفاحة: ٦]؟

نقول: لأن هذا المنهج نحتاج فيه إلا ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: العلم.
- والأمر الثاني: السلوك.
- والأمر الثالث: الثبات.

منهج السلف الذي هو الطريق الواضح المستقيم الذي فيه العلم والعمل نحتاج فيه إلى ثلاثة أمور:

١. العلم به.
٢. والسلوك له.
٣. والثبات عليه.

فكم من مسلمٍ لم يهتد لهذا المنهج، لم يعرفه أصلًا؛ إما لأنه لم يتيسر له العلم، لم يجد من يُعلِّمه، وقد يكون العالم كبيرًا لكنه لا يتيسر له أن يعرف المنهج المستقيم منهج السلف الصالح، مثلاً: ابن حزم الظاهري كلكم تعرفونه من كبار العلماء، وهو في الفقه ظاهري يقف مع ظواهر النصوص بغلوٍ في هذا، ومع ذلك في العقيدة هو مضطرب الاعتقاد؛ ففي الأسماء والصفات تارة يُثبت وتارة ينفي وتارة يؤوّل، لما؟ لأنه لم يهتد لهذا الصراط، لم يتيسر له من يُعلِّمه منهج السلف في العقيدة، فلا بد من العلم.

- قلنا: إن الإنسان قد لا يعلم هذا المنهج؛ إما لعدم تيسر هذا العلم، ما وجد من يُعلمه.

- وإما لإعراضه، هو يُعرض ولا يرضى أن يتعلم هذا المنهج.

إذن لا بد من العلم.

والأمر الثاني: لا بد من السلوك، كما من شخصٍ علم لكنه لم يسلك، هو يعرف هذا المنهج المستقيم لكنه لم يسلكه، والسلوك يحتاج إلى الأمر الثالث: وهو الثبات، فإن الإنسان ما دام حياً لا تؤمن عليه الفتنة، وإياك أن تقول: أنا أنا، أبداً، كُنْ حذرًا في سيرك فإنك تسير في أرضٍ ذات شوك، والفتنة لا يأمنها الإنسان، ومن ذا الذي يأمن على نفسه بعد إبراهيم -عليه السلام- حيث دعا ربه: ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] لم يأمن على نفسه الفتنة فكيف بغيره؟! ولذلك عليك أن تسأل الله الثبات وأن تتخذ وسائل الثبات.

إذن هذا المنهج الذي نتكلم عنه ضابطه هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وحدوده: قول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وقلنا: لا بد فيه من العلم فإن الذي لم يعلم يكون ضالاً، ومن علم ولم يعلم يكون في طريق المغضوب عليهم، ولذلك كان في هذه الآيات في هذا الدعاء تمام الأمر: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة: ٦-٧].
هذا ما يتعلّق بالمنهج:

- عرّفنا معناه في اللغة.
- ومعناه في الاصطلاح.
- وعرّفنا ضابطه بالنص، وحدوده بالنص.

ثم نتقل إلى كلمة السلف: فما معنى كلمة السلف في اللغة والاصطلاح؟

يقول الشيخ محمد أمان -رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً واسعة-: "السلف لغة: من سَلَفَ، والسين واللام والفاء أصل يدل على تقدُّمٍ وسَبْقٍ، ومن ذلك: السَّلْفُ الذين مضوا، والقوم السلاف المتقدِّمون" طبعاً أخذ هذا من [مقاييس اللغة] لابن فارس، والكتاب مشهور عند الناس بـ [معجم مقاييس اللغة] ومعجم هذا كلمة زائدة ليست من اسم الكتاب في الحقيقة لظن طبع هكذا، وإلا فاسم الكتاب: [مقاييس اللغة].

فالسلف: هم القوم المتقدِّمون السابقون؛ لأن كلمة (سلف) تدل على تقدُّمٍ وسبقٍ، والقوم السلاف المتقدِّمون، وسلف الرجل أبأوه المتقدِّمون، والجمع: أسلافٌ وسُلَّافٌ.

وهناك في الكتب يا أخوة: السَّلَفُ والسُّلْفُ؛

- السَّلَفُ كما تقدَّم بمعنى ما تقدَّم ومضى.
- وأما السُّلْفُ أو السُّلْفُ فهو مكان، والعلماء منهم من يُنسب إلى السُّلْفُ، ومنهم من يُنسب إلى السُّلْفُ أو السُّلْفُ، فيقال: فلان السُّلْفِيُّ، ويُقال: فلان السُّلْفِيُّ، فالسُّلْفِيُّ نسبة إلى السلف، والسُّلْفِيُّ نسبة إلى الموضوع.

مثلاً: عبد الرحمن بن عبد الله السُّلْفِيُّ المحدث المعروف، إسماعيل بن عبَّاد السُّلْفِيُّ، وبينهما فرق، نذكر هذا ليتنبَّه طلاب العلم إلى الفرق في النسبة.

والشاهد: أن معاني السلف تدور على التقدُّم والمضي؛ فالسُّلْفُ هو المتقدِّم السابق عليك، كل من تقدَّم عليك وسبقك فهو سالفٌ، وكل ما مضى فهو قد سلف كما في قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣] يعني ما قد مضى وسبق قبل هذا الحكم.

وأما السُّلْفُ في الاصطلاح: فيُطلق هذا اللفظ بإطلاقات:

▪ إطلاق عام.

▪ وإطلاق خاص.

أما الإطلاق العام: فهو كل من تقدَّم وسبق من العلماء من علماء السنَّة من أهل السنَّة والجماعة، كل من تقدَّم وسبق من العلماء من علماء أهل السنَّة والجماعة يُسمون سلفاً، وهذا المعنى عام، فالشيخ الألباني -رَحِمَهُ اللهُ- سلف، الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ- سلف، الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ- بالنسبة

لنا سلف، الإمام الشافعي سلف، الإمام أحمد سلف، شيخ الإسلام ابن تيمية من سلفنا، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من سلفنا، شيخ الإسلام ابن القيم من سلفنا، فهذا بالمعنى العام. أما بالمعنى الخاص: وهو المراد بقولنا: (منهج السلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-) فإنه بالمعنى الخاص يُقَيَّدُ بِمَدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ، فبعض العلماء قصر السلف على زمن الصحابة - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- وقال: السلف هم الصحابة أما غيرهم ممن سار على طريقتهم فهم أتباع السلف.

← فالناس على هذا المعنى في الاصطلاح ثلاثة أقسام:

١. سلف.

٢. وأتباعٌ للسلف.

٣. وخلف.

أما السلف: فهم صحابة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وأما أتباع السلف: فهم من ساروا على طريق الصحابة - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- إلى يومنا هذا، اتبعوهم بإحسان.

وأما الخلف: فهم كل من خالف طريق الصحابة كلاً أو بعضاً؛ إما خالف طريق الصحابة في الكل أو في الأغلب، أو خالف طريق الصحابة في بعض طريقهم، هؤلاء يُسَمَّونَ خَلْفًا.

وقال بعض العلماء: هم أهل القرن الأول، فهم الصحابة ومن أدرك الصحابة مؤمناً، إذن هم الصحابة والتابعون، فالسلف هم من أدرك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مؤمناً به ومات على ذلك، ومن أدرك من أدرك النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مؤمناً ومات على ذلك.

وقال بعض أهل العلم: هم أهل القرون الثلاثة الأولى؛ لأنها القرون التي فضّلها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

وبهذا يكون السلف الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، ولكن يُقَيَّدُ بِمُوافقة الصحابة، مَنْ كَانَ مِنَ التَّابِعِينَ مُوَافِقًا لِلصَّحَابَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ تَابِعِي التَّابِعِينَ مُوَافِقًا لِلصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ حَدَثَ فِي آخِرِ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ، وَظَهَرَتِ الْفِرْقُ، فَهَلِ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ ظَهَرُوا فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَأَدْرَكُوا الصَّحَابَةَ

وليسوا من الصحابة هل هم من السلف؟ لا، ليسوا من السلف؛ لأنهم ما ساروا على طريقة الصحابة بل قاتلوا الصحابة -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-، وكذلك القدرية.

إذن من بعد الصحابة يُقَيَّدُ كونه من السلف بكونه موافقاً للصحابة، إذن الصحابة جميعاً من السلف بالإطلاق بدون قيد، كل الصحابة سلفٌ بالإطلاق بدون قيود، وأما التابعون وتابعوا التابعين فإن كونهم من السلف مقيّد بموافقة الصحابة -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-. وبعض العلماء زاد في التحديد فقال: كل من كان قبل الخمسمئة من الهجرة فهو من السلف، ولكن هذا في الحقيقة توسّع في المسألة. والذي يظهر لي والله أعلم: أن أصل السلف هم الصحابة -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-، وأن التابعين وتابعي التابعين هم خيرة أتباع السلف، ونقصد بهم الذين وافقوا الصحابة -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- وهم قدوةٌ لنا، وسيأتي إن شاء الله بيان المراد بمنهج السلف الصالح -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

وهذا الذي يظهر من كلام أئمة المنهج السلفي من المتقدمين والمتأخرين:

يقول الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ-: "أصول السنّة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والافتداء بهم".

ويقول السفاريني: "المراد بمذهب السلف ما كان عليه الصحابة الكرام -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- وأعيان التابعين لهم بإحسان -أي الذين يوافقونهم- وأتباعهم -يعني بإحسان-، وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة وعُرفَ عِظَمُ شأنه في الدين، وتلقَى الناس كلامهم خلقاً عن سلف".

إذن عرفنا ان السلف في الاصطلاح:

- يُطَلَقُ بِمَعْنَى عَامٍ.
- وَيُطَلَقُ بِمَعْنَى خَاصٍ.

فالسلف بالمعنى العام: كل من تقدّمنا من علماء أهل السنّة والجماعة إلى صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهم سلف، وعلى هذا يصح أن تقول: قال السلف كذا فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية كذا، يصح هذا من وجهين:

- الوجه الأول: أنه من السلف بالمعنى العام وهذا معنى اصطلاحي صحيح.

▪ والوجه الثاني: أن شيخ الإسلام ابن تيمية كعادة السلفين ينقل عن قبله، ومن قبله ينقل عن قبله إلى صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

أقول هذا؛ لأن هناك اليوم طائفة خطيرة تكتب الآن الكتب وتؤلف وتظهر الموافقة وهي تهدف إلى التشكيك في الأصول التي تعلمناها وتلقيناها في منهج السلف الصالح - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -، هم لا يظهرون مخالفة منهج السلف، لا، لكن يُريدون أن يُغيروا فكرنا عن منهج السلف إلى فكرٍ جديد، والآن لهم مؤلفات في السوق، فيكتب أحدهم عن وجوب التزام فهم السلف وحقيقة الأمر أنه يريد أن ينسف قاعدة فهم النصوص بفهم السلف الصالح - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -.

ومما يُشكِّكون فيه قولهم: إن السلفيين المعاصرين ينقلون عن شيخ الإسلام ابن تيمية وعن ابن القيم، وهؤلاء ليسوا من السلف، نقول: لا، هؤلاء من السلف من وجهين:

▪ الوجه الأول: بالمعنى العام.

▪ والوجه الثاني: بما هو معهودٌ عن السلفيين عموماً أنهم ليسوا أهل إحداث، وإنما ينقلون عن تقدمهم، وإذا نزلت نازلة جديدة فإنهم يجتهدون فيها على أصول من تقدمهم على أصول السلف الصالح - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -.

والسلف بالمعنى الخاص هم الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -، وهم الجماعة الدينية كما تقدم البارحة، ثم خير من اتبعهم بإحسان هم التابعون الذين ساروا على طريقتهم وهم بالنسبة لنا سلفٌ بالمعنى الخاص، ثم أتباع التابعين الذين ساروا على طريقتهم، وقد تقدم في درس البارحة ما يُحدد هذا في حديث الافتراق وبيان أن الجماعة والفرقة الناجية هي الجماعة وما كان عليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه، وسيأتي بيان هذا إن شاء الله في بيان وجوب اتباع منهج السلف الصالح - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -.

✦ إذا عرفنا هذا فإننا ننتقل إلى المقصود بمنهج السلف الصالح ووجوب فهم النصوص بفهم السلف الصالح - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -:

المقصود بمنهج السلف الصالح والذي يجب التزامه لفهم النصوص: ما كان عليه مجموعهم لا أفرادهم، أو ما أجمعوا عليه لا ما اختلفوا فيه، وما أجمعوا عليه له صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون جميعهم على هذا تصريحًا، فكلهم يُصرِّح بهذا، مثال ذلك: العقيدة، فإن جميع السلف على العقيدة السلفية المعروفة وكلهم يُصرِّحون بهذا، مثل مثلاً: القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، هذا عليه جميع السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، فإن جميعهم ممن عرفنا أقوالهم يُصرِّحون بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

الصورة الثانية: أن يُعرَف عن أحدهم أو بعضهم ولا يُخالفه أحدٌ منهم، (أن يُعرَف عن أحدهم أو بعضهم) يعني أن يُعرَف الشيء عن أحد السلف كالصحابه، (أبو بعضهم) ثلاثة أربعة منهم يُعرَف هذا عنهم ولا يُعلَم له مخالف.

فهذا منهجٌ يجب اتباعه وهذا هو المعروف بالإجماع السكوتي، ولا شك أنه في زمن الصحابة حُجَّة - أعني الإجماع السكوتي-، وذلك لأمرين:

▪ الأمر الأول: أن الصحابة -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- كانوا مجتمعين غير متفرقين، بخلاف من بعدهم فقد توسَّعت البلدان وتفرَّق الناس.

▪ والأمر الثاني: أن الصحابة كانوا قوَّالين بالحق، فلو سمع أحدهم باطلاً لأنكره، فإذا لم يُنقل أن أحدهم خالف علمنا يقيناً أن هذا منهجهم جميعاً بالإجماع السكوتي.

وأما ما اختلفوا فيه فإنه يُردُّ إلى الأدلة، لا يكون قول بعضهم حُجَّةً على بعض، ولكن يُردُّ إلى الأدلة؛ فما ترجح بحسب الأدلة فهو المنهج.

وبالنسبة لنا يا أخوة: ما ننظر فيه من الأمور لا يخلو من أحوال:

الحال الأولى: أن يكون الصحابة قد تكلموا فيه واتفقوا عليه، فهنا يجب علينا أن نلزم ما عليه السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- ولا يجوز أن نُحدِّث شيئاً جديداً.

أعطيكُم مثلاً: أن يكون الصحابة قد اتفقوا على تفسير آية ونحن الآن ننظر في معناها، ورجعنا إلى تفاسير السلف فوجدنا أن الصحابة قد اتفقوا على تفسيرها بشيء، هنا يجب علينا أن نلزم تفسيرهم ولا يجوز أن نُحدِّث تفسيراً جديداً يُخالف تفسيرهم، نعم قد نزيد في المعنى، نوسِّع المعنى، نوضِّح المعنى، أما أن نخالف تفسيرهم فلا يجوز، يجب أن نلزم فهمهم.

كذلك في الأحكام إذا اتفقوا على حكم فلا يجوز لنا أن نخالفه، لو حدثت عندنا صورة الآن ولكن وجدنا أن أصلها موجود عند الصحابة وقد اتفقوا على حكمها، فإننا يجب علينا أن نأخذ بحكم الصحابة، ولا يجوز لنا أن نُحدث حكماً جديداً.

هذه الحالة الأولى؛ كيف يتفقون يا أخوة، كيف نعرف أن الصحابة اتفقوا؟ بالتصريح وقول بعضهم وسكوت البعض -انتبهوا لهذا-: نعرف أنهم اتفقوا: إما بالتصريح كل من نُقل عنه قال بنفس القول، وإما بأن يكون المنقول عن بعضهم ولم يُنقل عن أحدهما أنه خالف في هذا.

الحالة الثانية: أن يختلف السلف في فهم الآية، أو في فهم الحديث، أو في الحكم على قولين أو ثلاثة، فهنا لا يجوز لنا أن نخرج عن أقوالهم -هذا أولاً- فنأتي بقول جديد يُخالف أقوالهم، ولكن يجوز لنا على الراجح أن نأخذ من كل قول أقواه بحيث لا نخرج عن أقوالهم، أو نوجه دليل هؤلاء ودليل هؤلاء بقول.

أعطيكُم مثلاً: النزول من الركوع، بعض السلف قالوا: يهوي على يديه قبل ركبته، وبعض السلف قالوا: ينزل على ركبته قبل يديه، ولكل دليله، لا يجوز لنا أن نخرج عن هذين القولين، يعني مثلاً:

- لو جاءنا شخص وقال: ينزل عليها معاً في نفس الوقت، نقول: لا، هذا حكمٌ جديد، فأنت خرجت عن أقوال السلف.

- لكن لو جاء شخص وقال: ينزل بجسمه حتى إذا اقترب من الأرض وضع يديه فلا يهوي على يديه وإنما ينزل بجسمه، فإذا اقترب من الأرض قدّم يديه، قلنا: هنا يأخذ من هذا ومن هذا بحسب قوة الدليل هذا لا بأس به، وليس من باب إحداث قول.

إذن انتبهوا إلى ما أقول: إذا اختلف السلف في فهم الآية، في فهم الحديث، في حكم؛

↔ فأول قضية يجب أن نفهمها: أنه لا يجوز لنا أن نُحدث قولاً جديداً؛ لأن الحق لا يخرج عن أقوال السلف يقيناً، فإذا جئنا بقول جديد فلا شك أن قولنا باطل؛ لأنه يُخالف الحق.

القضية الثانية: أنه لا بأس بقول يجمع بين القولين بأن يأخذ من كل قول أقواه.

القضية الثالثة: أنه يجب الترجيح عند عدم إمكان الجمع.

← طبعًا يا أخوة إمكان الجمع يكون بأمرين:

الأمر الأول: بأن يكون خلاف السلف خلاف تنوع لا خلاف تضاد، فنحمل الآية على جميع المعاني؛ لأنه لا يُخالف بعضها بعضًا، وهذا هو حال أكثر ما ورد عن السلف في تفسير القرآن أنه اختلاف تنوع، ما ضابطه؟ أنه لا يدفع أحد القولين الآخر بل يجتمعان، هذا ضابط اختلاف التنوع، فيُحمل على هذا ويُحمل على هذا، وهذا أكثر ما ورد عن السلف في التفسير، هذا الأمر الأول في الجمع.

الأمر الثاني: أن يُجمع بين الأدلة؛ يعني نجد أن الصحابة -رَضَوْنَا اللهُ عَلَيْهِمْ- مثلًا والسلف اختلفوا فقال بعضهم بقول وقال بعضهم بقول، هذا استدلال بدليل وهذا استدلال بدليل، والاختلاف اختلاف حقيقي تضاد، لكن نحن أمكننا أن نجمع بين الأدلة، فنجمع بين الأدلة، وكما يقول الأصوليون: الجمع مقدّم على الترجيح ما أمكن، فإن لم يُمكن الجمع فإنه يجب علينا أن نُرجح.

☞ إذن ما هي الحالة الثانية يا أخوة في المنقول عن السلف في الأحكام والتفسير؟

أن يختلف السلف؛ لأننا قلنا: الحالة الأولى أن يتفقوا، والحالة الثانية: أن يختلفوا.

☞ ما هو الطريق الشرعي المسلوك وجوبًا هنا؟

- أولاً: لا يجوز إحداث قول يُخالف أقوالهم.
- ثانيًا: يُمكن أن نأتي بقول يجمع بين القولين بأن يأخذ من كل قول أقوال.
- ثالثًا: إذا أمكن الجمع وجب إما بالجمع بين الأقوال، وإما بالجمع بين الأدلة، إذا لم يُمكن الجمع وجب الترجيح.

▲ لكن هنا فائدة يا أخوة: وهي أن اختلاف السلف يجعل في الأمر سعة، وهذه فائدة مهمة جدًا، طبعًا يا أخوة الحمد لله السلف لم يختلفوا في العقيدة، ولم يختلفوا في الأصول، لكن هناك اختلاف في التفسير، اختلاف في الأحكام، إذا وجدنا اختلاف السلف فهذا يجعل في الأمر السعة.

☞ ما معنى يجعل في الأمر سعة؟

يعني يجب على كل واحد منا أن يأخذ بما يظهر أنه الراجح لكن لا يعيب إخوانه الذين أخذوا بالقول الآخر، ولا يكون ذلك مجالًا للنزاع والفرقة.

← وأضرب لكم مثالين بمسألتين كبيرتين:

المسألة الأولى: الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، السلف اختلفوا فيها وإن كان الأظهر والله أعلم أن الصحابة -رَضَوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- لم يثبت عنهم الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، لكن السلف اختلفوا ونُقِلَ الخلاف، فأنا بحثت المسألة وظهر لي أن السنّة هي عدم الجهر مطلقاً، فأنا يجب عليّ أن أعتقد أن هذه السنّة، هذا الوجوب، وأعمل بهذا على أن هذا هو السنّة، لكن لا أعيب على من يجهر بسم الله الرحمن الرحيم وأجعل هذا سبباً للفرقة والنزاع والأخذ والرد.

والمسألة الثانية: القنوت الدائم في صلاة الفجر قد اختلف فيه السلف، وهناك آثار منقولة وهناك أقوال معلومة، فأنا بحثت المسألة وظهر لي أن القنوت في الفجر دائماً غير مشروع بل هو عندي أنا بدعة فلو عملته لرأيت أنني عملت بدعة لكن لا أعيب على من يقنت ممن ظهر له أن القنوت مشروع، ما أعيب عليه، ولا أترك الصلاة خلفه، ولا أجعل هذه المسألة سبباً للأخذ والرد والافتراق.

نعم البحث العلمي والردود العلمية هذا طيّب، لكن المفارقة والنزاع وهؤلاء مبتدعة وهؤلاء على السنّة هذا لا ينبغي، وهذا الذي نبّه عليه شيخنا الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه المسألة؛ أعني مسألة القنوت في صلاة الفجر، حيث بيّن أن هذا الأظهر والله أعلم أنه غير ثابت وغير مشروع، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا مكاناً للنزاع والفرقة، ما دام أن السلف قد اختلفوا في المسألة فإنه يجعل في المسألة سعة من هذه الناحية، من هذا الباب، ما ينبغي أن يكون هناك نزاع وفرقة في أمرٍ قد اختلف فيه السلف، لكن يجب على الإنسان أن يُرَجِّح وأن يأخذ بالراجح.

ذكر أن الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- سُئِلَ أنصلي خلف من يقنت في الفجر؟ يعني نحن الآن فرغنا من قضية أن الإنسان يقنت، طيب هل يُصلي خلف من يقنت في الفجر؟ فكان جواب الإمام أحمد: وهل لا تُصلي خلف الشافعي؟! الشافعي معروف أنه يرى القنوت في الفجر دائماً، فالإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- يقول للسائل: لو وجدت الإمام الشافعي يُصلي بالناس هل لا تُصلي خلفه وهو إمام من أئمة السنّة وأئمة الدنيا؟!

كون الإمام يقنت في الفجر؛ لأنه يرى أن القنوت مشروع لا يمنع من الصلاة خلفه، بل اختلف العلماء هل يقنت خلفه ولو كان لا يرى القنوت أو لا يقنت؟ يعني ليست المسألة مسألة هل أصلي

خلفه أو لا أصلي خلفه، هذه مفروغ منها؛ تصلي خلفه، لكن هل تقنت لقنوت إمامك؟ بعض أهل العلم يقولون: نعم، متابعة للإمام في مسألة قد اختلف فيها السلف.

وكان شيخنا الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ- يُقَرِّرُ هذا: أنك لو كنت تصلي خلف إمام يقنت يرى أن هذا هو السنَّة وأنت لا ترى ذلك أنك تقنت خلفه متابعة للإمام؛ لعموم قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ» وهذه مسألة قد اختلف فيها السلف فيكون فيها سعة.

- وبعض أهل العلم يقولون: لا، لا يقنت خلفه ولكنه يصلي خلفه، وإذا قنت الإمام يسكت ولا يقنت.

- وعندي أنا في الراجح: أن في المسألة تفصيلاً؛

- فإن كان المأموم يعتقد أن القنوت بدعة فإنه لا يقنت مع الإمام، يُصلي مع الإمام لكنه لا قنت مع الإمام؛ لأنه في اعتقاده أن هذا بدعة فلا يفعل البدعة حتى لو كان خلف الإمام.

- أما إذا كان يعتقد أنه خلاف السنَّة ولا يصل عنده بحسب بحثه العلمي إلى كون الأمر بدعة فإنه يقنت مع الإمام.

الشاهد يا أخوة: هذا فقه عظيم في فقه المنهج السلفي؛ إذا اختلف السلف عندنا أمران، ما الذي نعمله؟ قلنا: لا يجوز إحداث قول ثالث؛

- يجوز الجمع بين القولين بأقوى ما فيهما.

- إذا أمكن الجمع وجب.

- إذا لم يمكن الجمع وجب الترجيح.

انتهينا، اختلاف السلف يجعل في الأمر سعة من جهة القلوب والاجتماع، ومن ناحية الاتباع في العمل.

الحالة الثالثة: ألا نجد كلامًا للسلف في المسألة، نحن اتفقنا يا أخوة أن السلف هم الصحابة، ثم أتباع التابعين هم أشرف وأعلم من اتبعهم بإحسان، التابعون ثم التابعون هم أشرف وأعلم من اتبعهم بإحسان، ثم أتباع التابعين الذين وافقوا الصحابة يلون التابعين في هذا الشرف.

طيب لم نجد، نريد أن نفسر الآية فلم نجد أثرًا صحيحًا منقولًا عن الصحابة ولا عن التابعين، أو نريد أن نشرح الحديث فلم نجد ذلك، أو نريد الحكم فلم نجد ذلك، فما الواجب علينا في منهج السلف؟ أن نرجع إلى العلماء الربانيين الذين عرفوا باتباع السلف، إذا لم نجد قولًا للسلف نرجع إلى أتباع السلف الصالح - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -.

بم إذا كان ذلك كذلك فمن هو السلفي، ومن هم السلفيون؟

السلفي: هو الذي يلزم منهج السلف الصالح - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -، فيأخذ بفهم الصحابة - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -، فإن لم يجد لهم فهمًا فإنه يأخذ بفهم أتباع السلف الصالح - رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -، والعبرة بالحقائق يا أخوة، فمن زعم أنه سلفي اليوم كثير من الناس يزعمون أنهم سلفيون، بل في أوج ظهور السلفية وقوتها في زمن الشيخ ابن باز - رَحِمَهُ اللَّهُ - والشيخ الألباني - رَحِمَهُ اللَّهُ - والشيخ مقبل بن هادي الوادعي - رَحِمَهُ اللَّهُ - لما كانت السلفية هي الظاهرة على الأرض بقوة، جاء من ألف فقال: إن حسن البنأ سلفي، حسن البنأ زعيم الإخوان المسلمين قال: أنه سلفي؛ لأن السلفية هي الرائجة في ذلك الوقت وبقوة.

وتجدون اليوم من يكتب في الإنترنت: أبو عبد الله السلفي، أبو عبد الرحمن السلفي، وإذا نظرت في كلامه وجدت أنه من التكفيرين الأقحاح، وهذا كثير، فبعض الأخوة إذا فتح وجد فلان السلفي يرتاح ويقرأ، يقول: هذا كلام السلفيين، أبو عبد الله السلفي ذكر هذا، يا أخوة: ليست العبرة بالأسماء العبرة بالحقائق؛ فمن زعم أنه سلفي عرضنا قوله وفعله على ما كان عليه الصحابة، ومن ثم ما كان عليه التابعين وأتباع التابعين؛

- فإن صدق ذلك العرض قوله فهو السلفي.

- وإن كذب العرض فهو خلفي وأنت سم بالسلفي.

هذه القضية واضحة يا أخوة؟

هل تلزم النسبة إلى السلفية؟ هل يلزم الإنسان أن يقول: أنا سلفي؟ وهل يُذم إذا قال: أنا سلفي؟ يعني عندنا طرفان: هل تلزم النسبة إلى السلفية؟ يعني هل يلزمني أنا في إندونيسيا أن أقول: أنا سلفي وأنا السلفي، أو أقول في ماليزيا، أو أقول في سنغافورا، أو أقول في أي مكان أنا السلفي؟ هل هذا واجب ولازم للسلفية أو لا؟

والجواب: أن هذا لقب تشريف وتمييز وليس هذا بلازم، وإنما اللازم هو سلوك المنهج؛ فمن سلك المنهج فهو سلفي لكن لا يلزمه أن يتسمى؛ لأنه قد يكون المصلحة أحياناً ألا يتسمى، قد يكون في بلد يُشدد على السلفيين لسوء فهمٍ للسلفية، ما يلزمه أن يتسمى لكن يلزمه أن يسلك المنهج.

يدل لهذا: أنا لا نجد هذا في زمن الصحابة -رَضَوَانَ اللهُ عَلَيْهِم- ما نجد أنه في زمن الصحابة كان الصحابي يقول: سلفي أو من أهل السنة، لماذا؟ لأنهم ما كانوا يحتاجون إلى تمييز، كلهم سلفيون، وكلهم أهل السنة والجماعة، إنما صار التلقب بهذا لما وقعت الفرقة وحصلت الفتن، فاحتاج أهل الحق إلى ما يميزهم عن غيرهم، فكان من الألقاب الشريفة السلفية.

سيأتي إن شاء الله ألقاب أهل السنة والجماعة، ألقاب السلفيين الشريفة، ستتكلّم عنها ونبيّن أسبابها، كان من ألقابهم الشريفة: السلفي، فهم يتسمون بهذا ولا عيب كما سأذكر في الجانب الثاني إن شاء الله لكن هذا ليس بلازم، ليس بواجب، وإنما هو لقب تشريفٍ وتمييز.

✦ آخر عنصر أختتم به مجلس اليوم، وغداً إن شاء الله في المجلس الأول في الأربعاء نُكمل إن شاء الله هذه المباحث المهمة المفيدة؛ هل تُنسب السلفية إلى شخصٍ بعينه؟

والجواب القطعي: لا، فإنه لا تُنسب إلا إلى السلف والسنة، والسلفية واحدة عند جميع علماء أهل السنة وعلماء السلفيين، فانتبهوا يا أخوة: لا توجد سلفية بازية، ولا توجد سلفية ألبانية، ولا توجد سلفية وادعية، ولا توجد سلفية عثيمينية، كل علمائنا على السلفية التي تُنسب إلى السلف الصالح -رَضَوَانَ اللهُ عَلَيْهِم- والسنة، ونسبة السلفية إلى شخص خطأ كبير، وينسبها أناسٌ إلى أشخاصٍ أو أماكن من أجل التنفير منها.

انتبهوا يا أخوة: تجد بعض الناس الآن يقولون: هذه سلفية سعودية، وهذه سلفية أردنية، وهذه سلفية مصرية، ما يُنسب إلى الأماكن لا يخلو من حالين:

- إما أنه منهج الصحابة فهذا في نسبه إلى الأماكن خطأ عظيم؛ لأن الذي في السعودية، والذي في الأردن، والذي في مصر، والذي في أمريكا يجب أن يكون واحداً؛ لأن منهج الصحابة -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- واحد.
- وإما أن يكون مخالفاً لما كان عليه الصحابة ومن تقدّم من العلماء فتسميته سلفية خطأ.

السلفية يا أخوة كما قلنا أمس: لا تتعدّد ولا تشطّر -يعني تنقسم إلى أجزاء-، السلفية واحدة، لكن الذين ينسبون السلفية إلى الأماكن؛

- إما أنهم مغرضون يُريدون التنفير من هذه السلفية فيقولون: هذه سلفية السعودية يعني اتركها، هذا الذي يأتي عن ابن باز وابن عثيمين والفوزان والحيدان هذا اتركه؛ لأنها سلفية السعوديين، هؤلاء مغرضون يُردون ضرب السلفية وتفريق السلفيين.
- وإما أنه مخطئ في النسبة إلى المكان؛ لأنها سواء، الذي في مكة هو الذي في عمان، المنهج السلفي الصحيح هو واحد.
- وإما أنه مخطئ في تسميتها سلفية.

لو جاءنا شخص وقال: يا أخي؛ لا، أنا أرى وهذا واضح وهذا الإثبات الذي في الأردن غير الذي في السعودية، هذا موجود مختلفة، نقول: إذن واحد منهما ليس هو السلفية؛ لأن السلفية واحد، ونحن يا أخوة لا نتكلم في المسائل الفقهية وآحاد المسائل، نحن نتكلم في المنهج.

كذلك النسبة إلى الأشخاص نفس القضية بالنسبة إلى الأماكن، يقولون: هذه سلفية ألبانية، هذه سلفية بازية، نقول: الذي يقول هذا إما مغرض يريد أن يُفرّق بين السلفيين حتى يُحب الشيخ الألباني -رَحِمَهُ اللهُ- خلاص يقول: أنا ما أسير مع الشيخ ابن باز وابن عثيمين؛ لأن سلفيتهم غير

سلفية الألباني، والذي يُحب الشيخ مقبل يقول: أنا ما أسير مع الألباني ومع هذا؛ لأن سلفيتهم غير سلفية... يُريدون ضرب السلفية، هؤلاء مغرضون.

وإما أنه مخطئ في النسبة إلى الشخص؛ لأن هذه السلفية نسبة إلى السلف، الذي عند الألباني ابن باز ابن عثيمين هو منهج السلف الصالح -رَضُواْ اللهُ عَلَيْهِمْ- ولا يُنسب إلى العلماء بأعيانهم، ولكن نقول: الشيخ الألباني سلفي ووالله إنه سلفي، الشيخ ابن عثيمين سلفي والله إنه سلفي، الشيخ ابن باز سلفي والله إنه سلفي، الشيخ الوادعي سلفي والله إنه سلفي، لكن لا نقول: سلفية الألباني، سلفية ابن باز.

هل يمكن أن يكون مخطئاً في تسميتها سلفية؟

نقول: أما العلماء المعروفون بالسلفية فما يُمكن، كلهم على السلفية والحمد لله، ولكن النسبة لهم خطأ.

✦ بقي شيء خطير جداً: وهو تقسيم السلفية إلى سلفية المتقدمين وسلفية المتأخرين:

وهذا شيء جديد الآن في الساحة، ما يأتيك يُخالفك في السلفية، لا، نعم يجب اتباع منهج السلف، ويجب ويجب ويجب، ولكن هناك فرق بين سلفية المتقدمين وسلفية المتأخرين، ما ضابط المتقدمين والمتأخرين؟ أنا أتكلّم عنهم؛

- ما قبل شيخ الإسلام ابن تيمية هذه سلفية المتقدمين.

- ومن شيخ الإسلام ابن تيمية إلى يومنا هذه سلفية المتأخرين.

يريدون أن يوهموا الناس أن الذي عليه مشايخنا اليوم ومن قبلهم إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ابن القيم، هذا يُخالف ما كان عليه المتقدمون، والنتيجة ماذا؟ أن الذي نعيشه اليوم ليس سلفية، وهذا منهج خبيث موجود الآن في الساحة.

يا أخوة: كما قلت لكم البارحة: السلفية سلسلة محكمة من زمن الصحابة إلى يومنا، ليس هناك سلفية للمتقدمين وسلفية للمتأخرين، من خالف ما عليه المتقدمون فهو ليس من السلفيين، ولا أعلم أحداً

من علماء وأعيان السلفية يُخالف ما عليه المتقدمون من سلفنا الصالح -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-، بل هم مجاهدون في تقرير ما كان عليه السلف الصالح -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

لعلنا نقف عند هذا الموطن، ونحن الحقيقة ما التزمنا بشرطنا، كان المفروض أن نقف كما قلنا قبل عشرين دقيقة من نهاية الدرس، لكن لأن البحث الأخير احتاج إلى ختمه وهو مهم جدًّا؛ لأنه يتعلق بما يُثار في الساحة. طبعًا أنا لم أنس الجزء الثاني وهو قضية: هل يُعاب الإنسان بانتسابه للسلفية؟ هذا سأتكلم عنه إن شاء الله في بداية الدرس غدًّا إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، لعلنا نقف هنا.

[هل يُعاب من انتسب إلى السلف؟ مَنْ هو السلفي؟]

أما بعد...

فأرحب بإخواني في هذا اليوم الثالث من أيام هذه الدورة الأولى في جزيرة لومبوك في [دراساتٍ في المنهج]، وهذا هو المجلس الأول من مجالس يوم الأربعاء، وهو المجلس الثاني في موضوع منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-.

✦ ونبدأ بنقطةٍ انتهينا عندها في المجلس الأول: وهي هل يُعاب مَنْ انتسب إلى السلف، ومَنْ قال: إنه سلفي؟ وهل هذا مذموم؟ وهل يُعدُّ تعصُّبًا؟ وهل يُعدُّ تزكيةً فيكون منهياً عنه؟ والجواب: أن المستقر عند أهل العلم أن هذا اللقب لقبٌ شريفٌ يصح إطلاقه على الجماعة وعلى الفرد، بشرط أن يكون ذلك صادقًا، وعلى هذا صار العلماء؛ فإننا نجد في سير العلماء السالفين مَنْ كان يُسمى بالسلفي ككثيرٍ من المحدثين، ونجد في كتب التراجم إطلاق لفظ السلفي على عددٍ من العلماء وإن لم يتلقَّبوا بهذا، فيقال: فلان وفلان كان سلفياً كما ذكر الذهبي عن الدارقطني مثلاً، ونحو ذلك.

ولا زال علماءنا على هذا الأمر، فتجد لقب السلفية وإطلاق هذا السلفية دائراً على ألسنة العلماء؛ كالشيخ ابن باز -رَحْمَةُ اللَّهِ-، والشيخ الألباني -رَحْمَةُ اللَّهِ-، والشيخ مقبل -رَحْمَةُ اللَّهِ-، والشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-، فلا عيب في هذا الانتساب، بل هو انتسابٌ شريف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحْمَةُ اللَّهِ-: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه؛ فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقاً".

وهو وسئل سماحة الشيخ ابن باز -رَحْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- ما تقول فيمن تسمّى بالسلفي أو الأثري، هل هي تزكية؟ يعني هل هي تزكية للنفس فتكون مذمومة؟

فأجاب -رَحْمَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ-: "إذا كان صادقاً أنه أثريٌّ أو سلفيٌّ فلا بأس، مثلما كان السلف يقولون: فلانٌ سلفي، وفلانٌ أثري".

المهم الصدق، أما أن يتلقَّب بالسلفية وهو ليس عليها فهذا لا بس ثوب زور مذموم، ليس لأنه انتسب إلى السلفية وتلقَّب بالسلفي، ولكن لأنه يقول كذباً، هو يقول: أنا سلفي وهو في الحقيقة

ليس بسلفي كما يكتب اليوم كما قلنا سابقاً يكتب التكفيريون في معرفاتهم: فلان السلفي وفلان الأثري وهم في الحقيقة ليسوا على مذهب السلف ولا على منهج السلف الصالح -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

فيقول الشيخ: "إذا كان صادقاً أنه أثريُّ أو سلفيُّ فيُصدِّقُ منهجه نسبتَه فلا بأس، مثلما كان السلف يقولون: فلانٌ سلفي، أو فلانٌ أثري".

وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء في السعودية برئاسة سماحة الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ-: "السلفية لقبٌ صالح"، فهو لقبٌ محمود وليس لقباً مذمومًا، وهذا اللقب ليس فيه تعصُّب ولا حزبية؛ لأن السلفية تعني الإسلام سواءً بسواء، فالسلفي الذي يعتزِّي إلى السلفية كالذي يعتزِّي إلى الإسلام الصحيح الذي جاء به محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ولم يكن ذلك اللقب موجوداً في صدر الإسلام؛ لأن الجميع كانوا على هذا وكانوا على الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وإنما احتيج إلى هذا اللقب لما ظهرت فِرَق تتنسب إلى الإسلام ولكنها تخالف ما جاء به محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وما مات عليه في كثير من اعتقاداتها وآرائها؛ كالقدرية، والخوارج، والمعتزلة، والجهمية، فاحتيج إلى لقبٍ يُميِّز أهل الحق عن غيرهم، فوجد أن لقب "السلفية" صادقٌ في معناه، يُميِّز لأهل الحق عن غيرهم، فميزة السلفيين الأخذ بما كان عليه السلف ورفض ما أحدثه المحدثون من سائر الفِرَق.

✦ إذا تقرَّر هذا فإننا ننتقل إلى نقطةٍ أخرى وهي: أسماء هذا المنهج، أسماء منهج السلف الصالح -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- أو أسماء من يتمسكون بهذا المنهج منهج السلف الصالح -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-: أول اسم: هم السلفيون، وقد تقدَّم الكلام عليه، فيقال عن المنهج: السلفية، ويُقال عن أهله: السلفيون.

وثاني أسمائهم: أنهم أهل السنَّة والجماعة فيقال لهم: أهل السنَّة والجماعة، والغالب أنه يُطلق هذا مقروناً فيقال: أهل السنَّة والجماعة، ويُطلق أحياناً فيقال: أهل السنَّة، ويُقال: أهل الجماعة، فهذا اللقب يُطلق مقروناً وهذا الغالب: "أهل السنَّة والجماعة"، ويُطلق أحياناً مفرداً فيقال: أهل السنَّة، ويُقال: أهل الجماعة.

وهذا اللقب كان موجودًا في لسان العلماء المتقدمين؛ لأن السنة يُقصد بها ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو الإسلام الصحيح النقي الصافي الذي يوزن به أهل الإسلام من بعد، فكل من يتنسب إلى الإسلام نزنه بما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛

▪ فما طابق ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو الإسلام الكامل الصحيح الصافي.

▪ وما خالف فإنه يكون مخالفًا من ذلك الوجه، ثم قد يكون صاحبه مسلمًا مبتدعًا، وقد يكون كافرًا خارجًا عن الإسلام، وهذا له مجاله وتفصيله.

ولذلك يقول الإمام البرهاري -رَحِمَهُ اللهُ-: "اعلموا أن الإسلام هو السنة وأن السنة هي الإسلام" لهذا المعنى الذي ذكرناه: أن ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فهو الإسلام.

يقول البرهاري أيضًا: "فمن السنة لزوم الجماعة، فمن رغب عن الجماعة وفارقها فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، وكان ضالًّا مضلًّا" وأذكركم أنا قلنا: أن الجماعة جماعتان:

- جماعة دينية وهي جماعة واحدة لا تتعدد ولا يجوز تعددها.
- وجماعة أبدان وهي تابعة لراية ولي الأمر؛ فإذا كانت راية ولي أمر المسلمين واحدة كزمن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فإن الجماعة واحدة، وإذا تعددت الرايات كما سيأتي تقريره في أصول السلف فإنه يكون لكل بلدٍ له إمام مسلم جماعة تتبع ذلك الإمام وتحت راية ذلك الإمام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "السنة مقرونة بالجماعة كما أن البدعة مقرونة بالفرقة، فيقال: أهل السنة والجماعة كما يُقال: أهل البدعة والفرقة".

← وسبب تسمية أهل هذا المنهج بأهل السنة والجماعة: أنهم يتمسكون بسنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ويلزمونها تقريرًا واعتقادًا وعملاً، وإن شئت قل: استدلالًا واعتقادًا وعملاً؛ فهم يلزمون سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من حيث الاستدلال، فيستدلون بكل ما صحَّ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على كل شيء من غير تفريقٍ بين المتواتر والآحاد، فالعبرة عندهم بالصحة فحيثما صحَّ

الحديث استدلووا به، فيستدلون بالحديث في العقيدة ولو كان الحديث خبر آحاد كما يُقال أو كان متواتراً.

وبهذا يُخالفون أهل البدع فإن أهل البدع جميعاً لا يستدلون بالسنة كلها على كل شيء، فلا يستدلون مثلاً بخبر الآحاد في العقيدة، وإنما موقفهم من خبر الآحاد في العقيدة أنه لا يصح لأن يكون دليلاً ولكن يؤوّلونه من أجل العوام حتى لا يقول العوام: أنتم تردّون السنة وما تأخذون بالسنة، فيؤوّلون الأحاديث أحاديث الآحاد.

أما أهل السنة والجماعة فإنهم يستدلون بكل ما صحّ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولو كان آحاداً، كما أنهم يأخذون في العقيدة بما كان عليه الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، والمعلوم عنكم يا أحبة: أن العقيدة عند السلف تسمى بالسنة.

▲ إذن إذا قلنا: أهل السنة فإن هذا يدل على أمرين:

الأمر الأول: أنهم يتمسكون بالسنة إذا صحّت من غير تفريق بين الآحاد والمتواتر في الاستدلال والاعتقاد، فيعتقدون كل ما صحّ في السنة، والعمل فيوجوب السير إلى الله على طريقة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وليس عندهم في العمل والعبادة طريقة تُنسب إلى غير رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بخلاف غيرهم من أهل البدع فإنهم ينسبون أنفسهم إلى طرقٍ دون طريق رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيقال: طريقة الشيخ الفلاني، طريقة الجُنيد، طريقة كذا، طريقة كذا.

فأهل السنة عندهم في السير:

■ إما سنة.

■ وإما بدعة.

فالسنة: هي طريق رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في السير إلى الله.

والبدعة: ما خالف ذلك؛ «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

أما غيرهم فإنهم يرضون طرقاً دون طريق النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تكون محدثةً لم يكن يسير عليها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-. هذه الدلالة الأولى إذا قلنا: أهل السنة.

الدلالة الثانية: أنهم على عقيدة الصحابة -رَضَوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- لم يُعَيَّرُوا ولم يُبَدَّلُوا، والعقيدة تسمى السنَّة، ويُسمون بأهل الجماعة؛ لأنهم يجتمعون على الحق الذي اجتمع عليه صدر الأمة، فهم في كل زمان يجتمعون لا يتفرَّقون ولا يتشطَّرون إلى أجزاء، بل هم جماعةٌ واحدة، كلامهم واحد، وأصولهم واحدة، وإن اختلفت أماكنهم، وهذا وصفٌ ملازمٌ لأهل هذا المنهج إلى يومنا هذا.

لا يعني هذا أنهم لا يختلفون في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف في المسائل الاجتهادية، بل يختلفون من زمن الصحابة إلى اليوم، ولكن المسائل الأصلية التي هي العقيدة والمنهج والأصول لا يختلفون فيها، وتجدر أن تقرير علماء أهل السنَّة والجماعة في كل مكان متطابقٌ، ولذلك اليوم تجدر أن السلفية العالم إذا تكلم بكلام وتكلم غيره من علماء السلفية بكلام تجدر أنه من معينٍ واحد، وعلى سننٍ واحد. ولذلك بعض طلاب شيوخ السلفية في هذا الزمان أحدثوا فرقة وأحدثوا شيئاً جديداً لم يكن عليه المشايخ، وجاءونا بأشياء مثل ذلك الذي يقول: السلفية نحن نوسعها ونُدخل أناساً أكثر فيها، نُدخل من الإخوان ونُدخل من التبليغ في السلفية، هذا ما يقوله السلفيون ولا يقوله المشايخ السلفيون إذن هذه ليست سلفية، هذا الذي يُطرح ليست سلفية، فليس في السلفية فرقة في العقيدة والأصول، بخلاف غيرهم فإنهم أهل فرقة عما اجتمع عليه الصحابة -رَضَوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

وأيضاً يُسمون بأهل الجماعة؛ لأن منهجهم يدور على حفظ الجماعة، ويُجيبون حفظ الجماعة، ويعدُّون حفظ الجماعة فرضاً من فرائض الدين، سواء جماعة الدين أو جماعة الأبدان، ولا تُحفظ الجماعة في بلدٍ من البلدان إلا بأصول المنهج السلفي؛ لأن حفظ الجماعة بالمنهج السلفي دين ليس مصلحة، بخلاف غيرهم من أهل الأهواء فإن اتساقهم مع الجماعة مبني على المصلحة؛

- فإن كانت لهم مصلحة في هذه الجماعة قالوا: إنها شرعية وإنما وإنما وإنما.
- إذا لم تكن لهم مصلحة في هذه الجماعة قالوا: الحكم بغير ما أنزل الله، وهذه حكومة لا تحكم بغير ما أنزل الله تبعاً لأهوائهم وليس ديناً، وهذا ظاهرٌ جدًّا في الواقع اليوم.

▲ إذن ما سبب تسمية أهل السنَّة والجماعة بأهل الجماعة؟ سببه:

- أولاً: أنهم اجتمعوا على ما اجتمع عليه أهل الصدر الأول قبل الفرقة، بل حصول الفرق، فهم أهل تلك الجماعة الأولى التي ما حصل اجتماعٌ للأمة إلا فيها، ثم بعد ذلك حصلت الفرقة إلى اليوم.
- والأمر الثاني: أنهم لا يتفرقون لاتحاد عقيدتهم وأصولهم عبر التاريخ، عبر الزمن إلى يومنا.
- والأمر الثالث: أنهم يُحافظون على الجماعة ويُحبون حفظها تدينًا وتقربًا إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

يقول الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ-: "أهل السنَّة والجماعة أُضيفوا إلى السنة؛ لأنهم متمسكون بها، والجماعة؛ لأنهم مجتمعون عليها". ثم ذكر: "أن كلمة الجماعة بمعنى الاجتماع ثم نُقلت إلى القوم المجتمعين" الأصل في كلمة الجماعة الاجتماع ثم نُقلت إلى القوم المجتمعين فأصبح القوم المجتمعون يُسمون جماعةً، فيكون معنى أهل السنَّة والجماعة أهل السنَّة والاجتماع، فهم مجتمعون على السنَّة والجماعة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "ومذهب أهل السنَّة والجماعة مذهبٌ قديمٌ -يعني ليس محدثًا- معروفٌ قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقَّوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنَّة والجماعة، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حُجَّة، ومتنازعون في إجماع من بعدهم".

يقول: (مذهب أهل السنَّة والجماعة مذهبٌ قديم) مقصوده كما قلنا يا أخوة: أنه ليس مذهبًا محدثًا مبتدعًا، بل هو موجودٌ من أصل الإسلام، ولا يُنسب إلى واحدٍ بعينه بل يُنسب إلى الكتاب والسنَّة وما عليه الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، ولذلك قال: (قبل أن يخلق الله أبا حنيفة) مقصوده أن مذهب أهل السنَّة والجماعة لا يُضاف إلى شخصٍ بعينه، فلا يُضاف إلى أبي حنيفة، ولا يُضاف إلى مالك، ولا يُضاف إلى الشافعي، ولا يُضاف إلى أحمد، ولا شك يا أخوة أن الحق كان موجودًا قبل الأئمة وأن الأئمة من أهل الحق ومن أهل السنَّة والجماعة.

← ولذلك من اللطائف التي تُذكر وذكرتها عدَّة مرات:

أن شاباً أراد أن يتزوج فقال له المأذون: قل: قبلتُ زواجها على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النُّعمان، فالشاب ما استساع هذا فقال: قبلتُ زواجها، قال: قل: قبلتُ زواجها على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النُّعمان، قال: قبلتُ زواجها، قال: قل: قبلتُ زواجها على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النُّعمان، قال: يعني يا شيخ لا يصح الزواج إلا إذا قلت هذا؟ قال: نعم لا يصح إلا إذا قلت هذا، قال: فكيف صحَّ زواج والد أبي حنيفة؟! لأنه يقيناً أن والد أبي حنيفة لم يقل: على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النُّعمان، ما كان موجوداً أصلاً.

فالحق موجودٌ قبل الأئمة والأئمة من أهل الحق ومن أهل السنَّة والجماعة، لكن مذهب أهل السنَّة والجماعة لا يُنسب إلى رجلٍ بعينه، وإنما هو من أصل الإسلام ويُنسب إلى مجموع السلف الصحابة - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -.

فإن قال قائل: مشهورٌ عند الناس والعلماء قول: الإمام أحمد إمام أهل السنَّة، فهل هذه نسبة إلى الإمام أحمد فيكون مذهب أهل السنَّة منسوباً إلى الإمام أحمد؟

والجواب: لا، فإن الإمام أحمد من أئمة أهل السنَّة ولكن السنَّة لا تُنسب إليه، وإنما لُقِّب بهذا لموقفه الأعظم في قضية الفتنة، في قضية القول بخلق القرآن، فإن العلماء تأوَّلوا لما أكرههم السلطان على قول: إن القرآن مخلوق؛

- فبعضهم قال هكذا: القرآن مخلوق لأنه مكره.
- وبعضهم فعل شيئاً يوهم الخليفة أنه يقول بخلق القرآن وهو لا يقول بذلك لكن ليسلم، فكان يقول: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كل هذه مخلوقة وهو يقصد أصابعه ليسلموا.
- وبقي أربعة فأمر بهم فوضعوا في الأغلال ليلاً ونهاراً فغلَّت أيديهم إلى أعناقهم وأوثقوا بالحديد الثقيل منهم الإمام أحمد، فالثلاثة لم يحملوا هذا فتأولوا فأجابوا الخليفة إلى ما يقول وبقي الإمام أحمد.

فمن لطف الله -عَزَّ وَجَلَّ- بالإمام أحمد أنه قيَّض له سارقاً ولصّاً سُجِنَ معه، فلما دُعي الإمام أحمد إلى المجلس أمسك اللص بثوبه وقال: يا أحمد؛ أنا أُضرب على ربع دينار ونحوه فلا أُقرُّ لهم وأنت ستُضرب على الدين، فسبحان الله! شدَّ الله قلب الإمام أحمد بهذا وثبت، ضُرب جُلْدُ ثبْتِ علي هذا، ولم يُجب حتى زالت الفتنة بحمد الله فلقَّب بإمام أهل السنَّة والجماعة لهذا الموقف لا أن أهل السنَّة والجماعة يُنسبون إليه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنَّة والصبر في المحنة فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً، بل لأن السنَّة التي كانت موجودةً معروفةً قبله علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليُفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة" يعني كثير من الأئمة ماتوا قبل المحنة ومنهم بقية الأئمة الأربعة: الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة.

قال: "فلما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في أوائل المئة الثالثة على عهد المأمون وأخيه المعتصم ثم الواثق ودعوا الناس إلى التجهُّم وإبطال صفات الله تعالى وهو المذهب الذي ذهب إليه متأخروا الرافضة، وكانوا قد أدخلوا معهم من أدخلوه من ولادة الأمور فلم يوافقهم أهل السنَّة حتى هدَّدوا بعضهم بالقتل، وقيدوا بعضهم وعاقبواهم، وأخذوهم بالرهبة والرغبة، وثبت الإمام أحمد بن حنبل على ذلك الأمر حتى حبسوه مدةً، ثم طلبوا أصحابه لمناظرته فانقطعوا معه في المناظرة يوماً بعد يوم".

إذن هذه قضية مهمة في التسمية بأهل السنَّة والجماعة: أن أهل السنَّة والجماعة لا يتسبون إلى إمام بعينه، وإنما الأئمة من أئمة أهل السنَّة والجماعة.

- الاسم الأول قلنا: السلفيون والسلفية.
- الاسم الثاني: أهل السنَّة والجماعة والسنَّة والجماعة.
- والاسم الثالث: أهل الحديث والحديث.

فمن الأسماء التي يُسمَّى بها أهل السنَّة والجماعة ووردت على ألسنة العلماء المتقدمين: اسم أهل الحديث، وهذا جاء على لسان الإمام أحمد، والإمام البخاري، وشيخ الإسلام، وغيرهم من أهل العلم.

يقول الإمام الصابوني -رَحِمَهُ اللهُ-: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة حفظ الله أحياءهم ورحم أمواتهم يشهدون الله تعالى بالوحدانية، وللرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالرسالة والنبوة" والشاهد في قول: (إن أصحاب الحديث) فيُسمون بأصحاب الحديث وأهل الحديث. ويقول شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: "مذهب السلف أصحاب الحديث والسنة والجماعة" فهم يُسمى بأصحاب الحديث وأهل السنة والجماعة كما تقدّم.

وليس المقصود بأصحاب الحديث الذين تخصصوا في الحديث واعتنوا بنقله وحفظه، وإنما المقصود بأهل الحديث من تمسكوا بما كان عليه الصحابة -رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-، ولذلك أصحاب الحديث ليس لقباً لبعض أهل السنة وإنما هو لقبٌ لكل أهل السنة، أما ما حدث في زماننا من تسمية بعض أهل السنة أنفسهم بأهل الحديث فهذا احتاجوا إليه هم من أجل التمييز في بلدانهم، لكن ليس هو المراد بأهل الحديث الذين يتكلم عنهم العلماء، ولذلك ما يُنزل مدح أئمة السنة لأهل الحديث على من يتسمون اليوم بأهل الحديث إلا من جهة موافقتهم للسنة والجماعة وكونهم من أهل السنة والجماعة.

فكون الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- يقول عن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة: "إن لم يكونوا أهل الحديث فمن هم؟!!" ما نأتي اليوم مثلاً وننزله على إخواننا الذين يتسمون بأهل الحديث، وإنما أهل الحديث لقبٌ لكل أهل السنة والجماعة سواء اشتغلوا بالحديث أو لم يشتغلوا به، ولكنهم على منهج الصحابة -رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو على كتابته وروايته، بل نعني بهم كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن" وهم كما قلنا: أهل السنة والجماعة.

فالرجل قد لا يحفظ أصلاً الأحاديث ولكنه على منهج الصحابة هو من أهل الحديث بهذا الاسم؛ لأن ليس المقصود كما يُقال اليوم: المتخصصين، يعني ما يأتي واحد مثلاً في الجامعة الإسلامية ويقول: كلية الحديث، أهل الحديث، من كان منهم على السنة والجماعة هو من أهل الحديث، والذي في كلية الشريعة من كان منهم على السنة والجماعة فهو من أهل الحديث، وهكذا.

وهو وأما الاسم الرابع لأهل هذا المنهج: فهم أهل الأثر أو الأثريون وما هم عليه يُسمى بالأثر، وسبب هذا: أن منهجهم وعقيدتهم مبنية على الآثار والإسناد، طبعًا يا أخوة نحن قلنا: منهج السلف يقوم على الأخذ بما عليه صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، كيف نعرف ما عليه صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟ بالآثار، بالأسانيد إلى الصحابة - رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ -، ومن هنا يُسمى أهل هذا المنهج بأهل الأثر، وأهل الآثار، وبالأثريين.

يقول السفاريني - رَحِمَهُ اللهُ - عن معنى أهل الأثر: "يعني الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن الله - عَزَّ وَجَلَّ - في كتابه، أو في سنَّة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أو ما ثبت وصحَّ عن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين الفخام".

وقال ابن أبي حاتم - رَحِمَهُ اللهُ -: "مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه والتابعين والتمسك بمذهب أهل الأثر، مثل: أبي عبد الله أحمد بن حنبل".
وقال أيضًا: "علامة أهل البدع الوقعية في أهل الأثر" وهذه علامة ملازمة، من علامات أهل البدع: أنهم لا يرضون عن أهل الأثر، ويقعون فيهم، ويطعنون فيهم، وليس المقصود يا أخوة: من تسمَّى بالآثر فإنه كما قررنا وكررنا العبرة بالصدق والحقيقة لا باللقب، فعلمة أهل البدع أنهم يقعون في أهل الأثر.

وهو وأما الاسم الخامس لأهل هذا المنهج: فهو الفرقة الناجية، والفرقة الناجية يعني الطائفة من المسلمين التي نجت من استحقاق النار جملةً ومن الفرقة، (الطائفة من المسلمين التي نجت من استحقاق النار جملةً) ما يعني هذا أنهم جميعًا معصومون، وأنهم جميعًا من أهل الجنة ابتداءً، بل فيهم عَصَاةٌ ويستحقون النار بمعصيتهم لا بمنهجهم، وهذا معنى قولنا: (جملة) فإنه بمنهجهم على الرشاد والسداد يستحقون الجنة، أما بأعمالهم فمنهم طائعون سابقون بالخيرات، ومنهم عَصَاةٌ مسرفون على أنفسهم بالذنوب.

إذن انتبهوا لهذه القضية؛ هي الطائفة من المسلمين التي نجت من استحقاق النار جملةً، جملة كما قلنا: بالمنهج، ونجت من الفرقة فإنها الجماعة، باقية على الجماعة ما افترقت، بخلاف بقية الفرق فإنها خالفت الجماعة الأولى.

← وهذا الاسم أيضًا موجود في السنة العلماء:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في أول [العقيدة الواسطية]: "فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة" وقد تقدّم معنا أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بيّن أن الفرقة الناجية هم من كانوا على ما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه، ولا يوجد في الدنيا من هو على هذا الوصف إلا أهل منهج السلف، كل من خالف منهج السلف ليس مطابقًا لما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه بل عندهم مخالفات إلا أصحاب منهج السلف، فإنهم مطابقون لما كان عليه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأصحابه.

☞ وأما الاسم السادس لأهل هذا المنهج: فهو الطائفة المنصورة، والطائفة المنصورة هي الطائفة من المسلمين التي ضمن الله لها الظهور والنصر إلى قيام الساعة، فلا تُكسر أبدًا بخلاف الفرق، الفرق قد توجد في زمن ولا توجد في زمنٍ آخر، بل إن الفرق كلها لم توجد في زمن ثم بعد ذلك وجدت، ثم تظهر وتختفي.

نقول: إن جميع الفرق على الإطلاق لم توجد في زمن، أي زمن؟ زمن الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، طبعًا ابتداءً من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم زمن الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- لم توجد فيه تلك الفرق لا بالاسم ولا بالقول والاعتقاد، ما يوجد هذا، ثم حدثت، ثم بعد ذلك قد توجد في زمن ثم تنتهي إلا منهج السلف فإنه لم يخلُ منه زمان منذ بُعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولم يخلُ منه زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إذن الطائفة المنصورة هي الطائفة من المسلمين التي ضمن الله لها الظهور والنصر، فلم يُقَصَّ عليها في زمنٍ من الأزمان، نعم تضعف وتقوى لكنها لا تموت، كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ». طبعًا الطائفة المنصورة هي الفرقة الناجية، لكن لهذه التسمية سبب ولهذه التسمية سبب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين" نعم والله؛ من التمس السعادة في غير طريق محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإنها يضلُّ ويشقى، لن يسعد سواء بالشهوات أو بالشبهات، من التمس السعادة بالمحرمات والأموال الحرام لم يجد سعادة بل سيجد

الشقاء في نفسه وقلبه، فلا يستطيع أن ينام إلا بالمنوم، ومن التمس السعادة بأن يكون مع الأحزاب المخالفة لأهل السنة والجماعة؛ لأن عندهم نقوداً وعندهم سلطة وعندهم كذا لن يُحصّل السعادة في قلبه.

وقد ثبت عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: «مَنْ كَانَتْ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ: جَمَعَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا هَمَّهُ: فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ» إذن هذه حقيقة مطلقة: السعادة في اتباع الأنبياء، وسعادة الناس بعد بعثة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في اتباع محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قال: "وإذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك هم أعلمهم بآثار المرسلين وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم المتبعون لها هم أهل السعادة في كل زمانٍ ومكان".

باختصار شديد: سعادتك بمقدار تطبيقك للسنة، وكلما زدت في التمسك بالسنة والتطبيق والعمل ازدادت السعادة في قلبك حتى تعيش في الدنيا في جنة، مع ما فيها من أقدار تعيش قلبك في جنة وإن كان جسدك في الدنيا وتتألم من آلام الدنيا لكن القلب في الجنة.

قال: "وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملة" طبعاً الذي تقدّم معنا أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة سبعون في النار وواحدة في الجنة، والنصارى افترقوا على ثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنة، هذا الذي يقصده شيخ الإسلام ابن تيمية، "وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة".

هذه الأسماء المشهورة لأهل السنة والجماعة؛ فأهل منهج السلف الصالح يُسمون بهذه الأسماء، وهذه الأسماء تختلف عن ألقاب الفرق فإنها ألقاب شريفة ثابتة بثبوت الإسلام، وليس فيها تعصّب وتفریق إلا بين أهل الحق والباطل، فیسلك فيها كل من سلك منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-، ولم يخرج عنها زمانٌ من الأزمنة.

الصحابة تنطبق عليهم هذه الأسماء، من بعدهم الذين تمسكوا بما عليه الصحابة تنطبق عليهم هذه الأسماء، بخلاف ألقاب الفرق فإنها لا تنطبق على أهل الإسلام في جميع عصورهم، الصحابة ما هم

جهمية، الصحابة ليسوا معتزلة، الصحابة ليسوا خوارج، ولكن يصدق صدقاً أن تقول: الصحابة أهل الحديث، الصحابة أهل الأثر، الصحابة أهل السنة والجماعة.

✦ بعد هذا نتقل إلى حكم الأخذ بمنهج السلف: هل الأخذ بمنهج السلف فرض لازم، أو هو فضيلة اختيارية، أو هو بدعة؟

هل الأخذ بمذهب السلف ومنهج السلف فرض لازم يجب على الأمة أن تأخذ به ومن لم يأخذ به فهو آثم ضال، أو هو فضيلة اختيارية من اختاره فقد اختار الكمال، ومن خالفه لم يقع في الضلال؟ هل هو فضيلة اختيارية من اختاره فقد اختار الكمال، ومن خالفه لم يقع في الضلال، أو هو بدعة من أظهره وعمل به ودعا إليه يكون واقعاً في بدعة وداعياً إلى بدعة؟

لا شك ولا ريب في أن الأخذ بمنهج أهل السنة والجماعة فريضة شرعية وضرورة واقعية، لا خير للأمة إلا في الأخذ بمذهب السلف ومنهج السلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - . يقول ابن قدامة - رَحِمَهُ اللَّهُ -: "ثبت وجوب اتباع السلف بالكتاب والسنة والإجماع".

✦ ونحن نذكر بعض الأدلة التي ذكرها العلماء على فرضية اتباع منهج السلف الصالح، وأنه لا يجوز للمسلم أن يخالف منهج السلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - ، وأن من خالف منهج السلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فإنه يكون آثماً:

فمن الأدلة من القرآن: قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ﴾ معناه من يخالف النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كأنه في شقِّ والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في شقِّ، ﴿مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ يعني من بعد ما اتضح له الطريق وبانت معالمه.

﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فانظروا يا أخوة: جعل الله اتباع غير سبيل المؤمنين مساوياً لمشاقة محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإنه جميع بينهما في العاقبة، فدلَّ هذا على أن مخالفة سبيل المؤمنين حرامٌ حرمته مغلظة، كما أن مشاقة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - محرمةٌ حرمته مغلظة، قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ يعني سيقع في الفرقة واتباع الفرق.

▪ إذن ما الأمانة من الفرقة؟ أن تكون موافقاً للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - متبعاً سبيل المؤمنين، وسننهم ما المراد بالمؤمنين في الآية.

▪ وما سبب الفرقة والسقوط في الفرقة وأن تكون من أهل الفِرَق؟ مخالفة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومخالفة سبيل المؤمنين.

﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ هذا في الدنيا يكون مع أهل الفِرَق يرتكب، ﴿وَنُضِلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هذا في الآخرة.

هذه الآية عندما نزلت على النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من المؤمنين؟ هم الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -؛ فهم المرادون بهذه الآية قطعاً و يقيناً، ولا شك أنهم رأس المؤمنين، فدل ذلك على وجوب اتباع سبيل الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ -، وأن مخالفة سبيل الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ - لا بد أن تؤدي إلى الفرقة والاختلاف وهي إثم يستحق صاحبه النار.

أيضاً من الأدلة: قول الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

﴿وَأَنَّ هَذَا﴾ من المعلوم في لغة العرب (أن هذا) إشارة للقريب الموجود، فلا يصح أن أقول مثلاً: من هو زيد بن غانم؟ فتقول: هذا وهو في بيته؛ لأنه غائب ولو كان بيته بجوار المركز، فهذا يُقال للقريب الموجود.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي﴾ أي هذا الذي في زمن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وعليه الصحابة مع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو صراط الله المستقيم الذي يجب علينا أن نلزمه، ويحرم علينا أن نخالفه؛ لأن الله قال: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ وهذا أمر والأمر يقتضي الوجوب، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ فدل ذلك على أن مخالفة الصراط طرق و فِرَق ضالة، ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ولا شك يا أخوة يقيناً أن الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ - كانوا على ذلك الصراط؛ صراط الله المستقيم، ونحن دائماً نسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم، وهذا الصراط المستقيم هو الذي بينه الله

-عَزَّ وَجَلَّ- في كتابه وعلى لسان رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكان عليه صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

بمعنى الذي يأتينا ويُنازعنا في هذه المسألة نسأله سؤالاً واحداً: هل كان الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- على هذا الصراط المستقيم أو لم يكونوا على هذا الصراط المستقيم؟

▪ فإن قال: لم يكونوا على الصراط المستقيم قلنا: إنك من أهل الضلال فإنه لا يقع في الصحابة إلا أهل الضلال.

▪ إن قال: إنهم كانوا على الصراط المستقيم قلنا: وجب عليك أن تأخذ بمنهجهم؛ لأن الله أمر باتباع هذا الصراط.

كذلك من الأدلة من القرآن: قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ [لقمان: ١٥]، ﴿وَاتَّبِعْ﴾ أمر والأمر يقتضي الوجوب، والسبيل هو الطريق، فأوجب الله اتباع سبيل من أناب إليه، ولا يشك مسلم أن خير من أناب إلى الله بعد الأنبياء هم صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيجب علينا أن نتبع سبيلهم.

أيضاً: قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ هؤلاء هم الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ هؤلاء هم الذين يتبعون الصحابة، وهذا أصل في بيان المنهج، أصل للمنهج وهم الصحابة وتابعون لهم بإحسان على طريقتهم، ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ إلى آخره فدل ذلك على وجوب اتباع طريق الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-؛ لأن الله رضيهم، ورضي عن أصحابه، فوجب اتباع طريق الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-.

هذه بعض الأدلة من القرآن وليست كل الأدلة، وهناك أدلة من السنة والإجماع والواقع والحاجة وستكلم عنها في المجلس غداً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-. نقف هنا؛ لأنه بقي تقريباً ربع ساعة كما اشترطنا على أنفسنا وإذا كان هناك أسئلة نجيب عنها.

[حكم اتباع منهج السلف]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فبادئ ذي بدء أسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يغفر لأخينا المتوفى في المعهد، وأن يرحمه، وأن يُعلي درجته، في الجنة، وأن يُثبتنا وإياكم على التوحيد والسنة حتى يقبضنا عليها وهو راضٍ عنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

ثم إنني أرحب بكم في هذا اليوم الرابع من أيام هذه الدورة يوم الخميس، وفي المجلس الأول من مجالس يوم الخميس، وهو الثالث من مجالس موضوع [منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-]، فأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يوفقنا ويُفقهنا ويُعلّمنا ويرزقنا العمل والثبات على ذلك.

كنا في آخر مجلسنا السابق قد شرعنا في الجواب عن سؤالٍ من الأهمية بمكانةٍ عظمى جداً: هو حكم العمل أو حكم اتباع مذهب السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-؛ هل هو فريضةٌ لازمةٌ لا يجوز الخروج عنها ولا العدول عنها في أي زمنٍ من الأزمان، وأن من خرج عن مذهب السلف -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يكون عاصياً أثماً بذلك، أم أن اتباع مذهب السلف الصالح إنما هو فضيلةٌ اختاربه، أم أن اتباع مذهب السلف الصالح بدعةٌ محدثةٌ ما كان عليها المتقدمون.

وذكرنا أن الناظر في الأمر يُدرك جيداً أن اتباع مذهب السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- فريضةٌ شرعيةٌ محكمة، وأنه يجب على مسلم أن يلزم هذا الباب وأن يكون على مذهب السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، وألا يعدو هذا المذهب، وقلنا: إنه يدل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع كما قرّر ذلك ابن قدامة -رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ- وذكرنا بعض الأدلة من الكتاب التي من قرأها وفهمها يُدرك هذا الحكم العظيم وهو وجوب العمل بمذهب السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-.

✦ ونشرع اليوم في إكمال شيءٍ من الأدلة الدالة على هذا الحكم العظيم، فتكلّم على الأدلة من السنة فنذكر شيئاً منها:

فمنها: حديث العرباض - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- الذي تقدّم معنا مرارًا أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وله ألفاظ، وصححه الألباني.

فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَبَيِّنُ أن الاختلاف في الأمة واقعٌ ولا بد، وأنه لن يكون اختلافًا قليلًا يسيرًا، بل سيكون اختلافًا كثيرًا، وأشار إلى أن هذا الخلاف سيكون في آخر عصر الصحابة -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ-؛ لأنه قال: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي» يعني من يطول به العمر بعدي منكم يا معاشر الصحابة «فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا» وهذا الذي وقع؛ فإن الفِرَقَ ظهرت في آخر عصر الصحابة وبعض الصحابة حيٌّ.

فبيّن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن هذا الاختلاف واقعٌ في الأمة، ولا زال هذا الاختلاف واقعًا في الأمة، ولكنه يَبَيِّنُ لنا المنهج الذي يجب اتباعه، ويتبيّن من هذا أن ما خالفه يجب تركه، فقال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ» فالمنهج الذي يجب اتباعه هو منهج السنّة والصحابة -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ-.

فالمنهج الذي يُعَلِي شأن السنّة ويجعل السنّة مع الكتاب حاكمَةً على كل شيء هو الذي يجب اتباعه، ولا يُعَلَمُ هذا إلا في منهج السلف الصالح -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ-، وكذلك منهج الخلفاء الراشدين المهديين، وهذا هو منهج الصحابة؛ لأن زمن الخلفاء الراشدين المهديين كان فيه صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن تبعهم مما رآه مؤمنًا وثبت على ذلك حتى مات -أعني التابعين-، وهذا هو منهج السلف الصالح هو عين ما نقوله، فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوجب وألزم بلزوم هذا المنهج.

ومن هذا يُعَلَمُ أن كل ما خالف هذا المنهج فهو بدعة؛ لأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن قال: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، قَالَ: وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ» فعلمنا أن ما خالف هذا المنهج إنما هو من محدثات الأمور التي يجب على المؤمن أن يجذرها

حذرًا واجبًا؛ لأن معنى «وَأَيَّاكُمْ» احذروا وهو أمر والأمر يقتضي الوجوب، وأيضًا قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» يدل على ذلك.

أيضًا من الأدلة من السنة على أن مذهب السلف الصالح هو الذي فيه السلامة والصواب وأنه يجب اتباعه: قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» والحديث رواه الإمام مسلم - رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ -.

فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مفتاح الخير للأمة مغلاق الشر، فهو أمانة للأمة من الشر، أمانة لمن عاصره، وأمانة لمن جاء بعده، فمن جاء بعده ولزم سنته فإنه يكون آمنًا من الشر بفضل الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وعونه وتوفيقه، فيدل هذا على وجوب لزوم السنة حتى يأمن الإنسان من الشر، وهذا كما قلنا: هو أصل الأصول لمنهج السلف الصالح: لزوم السنة والكتاب.

ويبين النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن أصحابه أمانة لأمتهم من الشر والفتن والزيغ، فيدل ذلك على أن لزوم ما عليه الصحابة - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - أمانة من الزيغ، وأن ترك ما عليه الصحابة - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - زيغٌ، والواجب على المؤمن أن يحذر الزيغ وأن يجتنب الزيغ.

أيضًا من الأحاديث التي تدل على وجوب لزوم مذهب السلف الصالح وأنه ليس خيارًا: قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «إِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرُقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ» وكما ذكرنا سابقًا المقصود أن الافتراق سيقع في الأمة ويكون كثيرًا جدًّا، وأنه لا يكون الصواب مع كل الفرق، بل كل الفرق بالجملة على خطأ إلا فرقة واحدة، ونقول: كل الفرق في الجملة؛ لأنه يا أخوة ما من فرقة تنتمي إلى الإسلام إلا وفيها صواب، لكن هي في الجملة خطأ وفي معتقداتها وأقوالها مخالفات.

فليس المطلوب كما يقول بعضهم: أن الإطار هو الإسلام، وينبغي أن نستوعب بعضنا في إطار الإسلام، النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يبين أن هذه الفرق من أمة الإجابة في النار؛ أي أنها كما قلنا تستحق دخول النار، وإلا فالفرق؛ منها ما يكون كافرًا، ومنها ما يكون عاصيًا ولكنها تستحق

دخول النار إلا واحدة، وهذه الواحدة وصفها النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأنها الجماعة، والجماعة لا تكون إلا في مذهب أهل السنة والجماعة، مذهب السلف الصالح - رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ - .
وفي الرواية الأخرى قال: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» وهذا تفسير للجماعة؛ أي لزوم السنة وطريقة الصحابة - رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ - وهذا هو منهج السلف الصالح - رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ - : لزوم سنة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والعمل بما عليه صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - .

✦ وأما من الآثار: فهناك آثارٌ كثيرةٌ جدًا تدل على وجوب لزوم منهج السلف؛

منها ما جاء عن ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال: "ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيء" وهذا طبعًا الأثر عن ابن مسعود بعض الفقهاء وعلماء القواعد يروونه حديثًا مرفوعًا إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لكنه لم يرد مرفوعًا في شيء من كتب الحديث أصلاً.

ولذلك الحافظ العلائي في [المجموع المذهب في قواعد المذهب] وينقله عنه المحدثون، لكن هذا الكلام موجود في كتابه [المجموع المذهب - أو المذهب - في قواعد المذهب - يعني في القواعد الفقهية عند الشافعية] يقول: "لم أجده مرفوعًا في شيء من كتب الحديث أصلاً ولا بسندٍ ضعيف بعد طول البحث عنه، وكثرة الكشف والسؤال، وإنما هو من قول ابن مسعودٍ موقوفًا عليه".

فالحافظ العلائي وهو من حُفَظَ الحديث يقول: "لم أجده مرفوعًا أصلاً في شيء من كتب الحديث" بعد طول البحث عنه فأنا بحثت طويلاً عنه في كتب الحديث - هكذا يقول العلائي -، وكثرة الكشف والسؤال - سألت غيري من الحُفَظَ والمحدثين - فلم يذكره أحد مرفوعًا، وإنما هو من كلام ابن مسعودٍ موقوفًا عليه"، وكلام ابن مسعود الموقوف رواه الإمام أحمد، قال الحافظ بن حجر: "بإسنادٍ حسن"، وكذا قال الألباني: "إنه حسن"، فالموقف حسن.

والعجيب أن أهل البدع يحتجون على بدعهم بهذا الأثر، فيقولون: نحن مسلمون وقد رأينا أن إقامة المولد حسنة، وما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، نقول لهم في نفس الوقت: نحن مسلمون وقد رأينا سيئًا، وما رآه المسلمون سيئًا فهو عند الله سيء.

وهذا الاستدلال استدلالٌ ساقط على البدع؛ لأن المسلمين هنا لا يخلو الحال من أمرين:

- أن يكون (أل) فيها للعهد والمعهودون لابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- هم الصحابة، بل سياق الأثر يدل على هذا يقيناً أن المراد هم الصحابة؛ لأن ابن مسعود في أول الأثر يقول: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد خير قلوبهم قلب محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، إلى قوله: ثم نظر في قلوب العباد فوجد خير قلوب العباد قلوب أصحابه فاخترهم وزراء لنبِيِّه يُقاتلون عن دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن".
- وإما أن تكون (أل) جنسية للجنس، وإذا كانت للجنس فإنها تقتضي الاستغراق فتكون بمعنى جميع، فيُصبح المعنى: فما رآه جميع المسلمين، والبدع لا تدخل في هذا ولا هذا.

فإذا قلنا: إن المراد هم الصحابة كما هو المتعين لدلالة السياق فنقول لهم: اتتونا بأثرة من علم أن هذه البدعة التي تعملوها أو هذا العمل الذي تعملونه عمله واحد من الصحابة، ما نقول: الصحابة واحد فقط وإلا ما صحَّ استدلالكم بل دخل في الثاني؛ ما رآه المسلمون سيئاً. وإذا كان المقصود جميع المسلمين فلا شك أن جميع المسلمين لا يرون البدع حسنةً يعملون بها، فلا يصح الاستدلال بهذا الأثر على ما يقولون.

لكن نعود إلى مقصودنا: ما رآه المسلمون حسناً يعني ما رآه الصحابة حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء، فدلَّ ذلك على وجوب اتباع ما عليه الصحابة -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ-، والآثار في هذا عن المتقدمين كثيرة.

✦ وأما الإجماع:

فقد نقل ابن قدامة وغيره الإجماع على وجوب اتباع ما عليه السلف الصالح -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ-، ويدل لذلك المعقول أيضاً، فإننا نقول: ما كان عليه الصحابة هل هو حقٌّ أو باطل؟

- فإن قال القائل: كان حقاً، قلنا: وجب عليك اتباعه؛ لأنه ليس بعد الحق إلا الضلال.

▪ وإن قال: كان باطلاً، قلنا: إنك رددت القرآن والسنة؛ ففي القرآن رضا الله عن الصحابة وما كان الله ليرض عنهم وهم على باطل، وكذلك مات النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ - وهو عنهم راضٍ، فقولك باطلٌ ومنكر، فدلَّ ذلك على وجوب اتباع الصحابة -
رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -.

✦ بعد هذا ننتقل من هذه النقطة إلى نقطةٍ أخرى: وهي سمات أهل السنَّة والجماعة، سمات السلفيين،
العلامات التي يُفارقون بها أهل البدع:

✦ فمن سماتهم: أنهم أهل الاجتماع يدعون إلى اجتماع الكلمة بالحق على الحق، ويُحقِّقون الاجتماع،
ويُحذِّرون من الفرقة، ويلزمون حبل الله الذي تحصل به الجماعة، بخلاف غيرهم فإنهم أهل فرقة؛
أولاً: هم أهل مفارقة؛ لأنهم فارقوا الجماعة وفارقوا الدليل، الفرق المخالفة لمذهب السلف أهل
مفارقة؛ لأنهم فارقوا السنَّة، فارقوا الدليل وفارقوا جماعة الصحابة، ثم بنوا ما هم عليه على أصول
ليست صحيحة، وكل شيء يُبنى على أصلٍ غير صحيح لا بد أن يُؤدي إلى الفرقة، ويحصل النزاع بل
قد يحصل التقاتل، وهذا الواقع في الفرق؛ فعلامة السلفي في كل زمان: أنه حريصٌ على الجماعة
بحفظها، وعدم إحداث أمرٍ يُفرِّقها، وأنه يدعو إلى ذلك.

✦ من سمات أهل السنَّة والجماعة: أنهم لا ينتصرون لشخصٍ بعينه وإنما ينتصرون للحق ولمن معه
الحق، فلا يتعصَّبون للأشخاص، ولا يتعصَّبون لفئة لذاتها؛ لا لجمعية، ولا للجنة، ولا لغير ذلك،
وإنما شأنهم دائماً أنهم ينتصرون للحق، يوالون عليه، ويدعون إليه، ويُفارقون من أجله، فالسلفي قد
ينشأ في مكان، أو مع جمعية، أو مع لجنة، ثم يرى هذه اللجنة أو الجمعية قد فارقت المنهج السلفي
بشيءٍ من الأصول فإنه لا يتعصب لها بل يتركها فوراً؛ لأنه يدور مع الحق حيث دار، ولا يتعصَّب
لإلفٍ ولا لأصحابٍ ولا لشيوخٍ ولا لغير ذلك.

فأهل السنَّة والجماعة يرون أن الانتصار المطلق لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الانتصار المطلق
للأشخاص إنما هو لرسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأما من عداه فإنه لا يُنتصر له لذاته، وإنما
يُنتصر له لما معه من الحق، فالعبرة بالحق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: "لا يُنتصر لشخصٍ انتصاراً مطلقاً عامًّا إلا لرسول الله -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا لطائفةٍ انتصاراً مطلقاً عامًّا إلا للصحابة -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-

فإن الهدى يدور مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيث دار، ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا".

إذن أهل المنهج السلفي ينتصرون للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وينتصرون للصحابة الذين زكَّاهم الله - عَزَّ وَجَلَّ - وزكاهم رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وينتصرون للحق وأهله في أي مكان وفي أي زمان، والانتصار لطائفة أهل الحق هذا مطلوبٌ شرعاً ومحمودٌ شرعاً، وإنما المذموم هو الانتصار للطائفة ذاتها.

يعني يا أخوة: لو كان الإنسان في مكان يحتاج فيه السلفيون في دعوتهم إلى إنشاء جمعيات أو إذاعات أو نحو ذلك، فهنا لا بأس من إنشاء الجمعيات والإذاعات ونحو ذلك لقيام الحق ودعوة الحق، وكون الإنسان ينتصر لهذه الجمعية؛ لأنها على الحق ويذُوب عنها ويرد الشبهات التي تُثار حولها؛ لأنها على الحق هذا ليس مذمومًا، وإنما المذموم أن ينتصر للجمعية من حيث هي حتى لو خالفت الحق. ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: "المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقًا وهو فعل الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسن"، نصر الحق ونصر الطائفة التي على الحق من غير عدوان حسن.

✽ يتفرّع على هذا: أن من سمات السلفي أنه متمسكٌ بالحق لا برأيه، فإذا بُيِّن له أن رأيه مخالفٌ للحق مخالفٌ لمذهب السلف يكون رجاعًا لا لجأجًا، فيرجع ويحمد الله أن الله قيَّض له من هدايه، أما أن ينتصر الإنسان لنفسه ويكثر اللجلجة والجمعجة مع بيان أنه على باطل لكن لا يريد أن يقول: إنه أخطأ فهذا ليس من سمات السلفي، وهذا الذي يجب أن نربي أنفسنا عليه أن نكون رجاعين إلى الحق، وأن الواحد منا لو أخطأ في قولٍ أو فعلٍ ثم قيَّض الله له أخًا صالحًا بيَّن له أنه أخطأ، أنه يستغفر الله ويرجع إلى دائرة الحق ودائرة الصواب.

✽ من سمات أهل السنة والجماعة وعلامتهم، من سمات السلفيين: أنهم يوقرون ويجلُّون أهل الحق وعلى رأسهم صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فهم يُوقرونهم ولا يسبون أحدًا منهم، ويُمسكون عما شجر بينهم مع اعتقادٍ جازم بأنهم ما أرادوا إلا الحق.

يقول ابن حزم -رَحِمَهُ اللهُ-: "صدق أبو يوسف القاضي" وأبو يوسف القاضي من كبار الأحناف، أحد كبار تلاميذ أبي حنيفة -رحم الله الجميع-، يقول ابن حزم: "صدق أبو يوسف القاضي إذ سُئِلَ عن شهادة من يسب السلف الصالح"؛ أي يسب رجلاً من الصحابة فضلاً عن أن يكون يسب الصحابة جملةً؛ يعني يسب عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يسب علياً -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، يسب معاوية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

فقال: "لو ثبت عندي على رجل أنه يسب جيرانه ما قبلت شهادته"؛ لأن سباب المسلم فسوق، والمؤمن العدل ليس سبباً ولا لعناً ولا طعناً، فيقول أنا وأنا القاضي لو ثبت عندي على رجل أنه يسب جيرانه المسلمين الأحياء ما قبلت شهادته، "فكيف من يسب أفاضل الأمة؟! كيف الذي يسب السلف الصالح -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-؟ لا شك أنه لا تقبل شهادته بل هو من الفساق وقد يكون أكبر من ذلك جرماً وإثماً.

❦ ومن سمات أهل السنة والجماعة، ومعالم منهجهم، وعلامات رجالهم: أنهم أهل التيسير الشرعي ويُحاربون التشدد والغلو، ويُحذرون منهما، ويأمرون بالتيسير الشرعي، وفي المقابل يمنعون التساهل ويُحذرون من التساهل، فالسلفيون أهل المنهج السلفي سالمون من التشدد في كل مكان، ووصف السلفيين من بعض الناس بأنهم أهل غلو وأهل تشدد إنما يقع من جاهل بهم، أو مغرضٍ حاقد، أو متساهلٍ فاسد؛

- إما أنه جاهل بالسلفيين، يسمع عنهم ولا يعرفهم.
- وإما أنه مغرض يريد أن يُسقط السلفيين ويصد الناس عن استماع كلامهم.
- وإما متساهل في الدين فلتساهله وفساده في هذا الباب يصف أهل الحق بأنهم متشددون.

فالسلفيون أهل السنة في جميع أعصارهم وسطٌ بين الغلاة والمتساهلين، وسط من عُرفوا بالتساهل والميوعة، وبين من عُرفوا بالتشدد والغلو.

والمعلوم أيها الأحبة: أن الغلو مذمومٌ وأن التساهل مذموم، بل الفقهاء من جميع المذاهب الأربعة متفقون على أن من عُرف بالتساهل لا تؤخذ منه الفتوى، الذي عُرف بالتساهل وعدم الوقوف عند

الأدلة والافتاء بالأخف مطلقاً في جميع المذاهب الأربعة كما حكاها النووي وغيره، متفقون على أنه لا يوجد أن تؤخذ منه الفتوى، والغلو مذمومٌ كما هو معلوم.

ومعلوم يا أخوة: أن السلفيين يتمسكون بالسنة، وإذا قلنا: يتمسكون بالسنة يعني بالكتاب والسنة، والنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ» يعني في التعامل مع الناس يُعاملهم الإنسان باليسرى ما أمكن، انظروا هذا الحديث جاء في ماذا؟ جاء في الأعرابي الذي دخل المسجد فأخذ ناحيةً من المسجد وقعد يبول داخل المسجد، فقام الصحابة ليزجروه، هذا شيء عظيم؛ رجل يبول في داخل المسجد، فقال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «دَعُوهُ لَا تَزْرُمُوهُ وَأَهْرِيْقُوا عَلَى بَوْلِهِ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ» ثم قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

ففي التعامل مع الناس المشروع هو التعامل باليسرى ما أمكن، ولا يلجأ إلى العنف اللفظي إلا عند الحاجة، فقد يحتاج إلى التشديد في القول؛ لأن كما يقول بعض العلماء: بعض الناس يزجره عن منكروه قولٌ لطيفٌ، وبعض الناس لا بد من تعنيفه حتى ينزجر، وبعض الناس لا بد من عقابه حتى ينزجر، وكلُّ يُعامل بحسب حاله.

وأفضل ما قرَّب هذه المسألة شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - قال: "المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى" صعب أن تغسل يدك بنفسها، تحتاج إلى اليد الأخرى، وهكذا كل مؤمن يحتاج إلى أخيه المؤمن لينصحه ويوجهه ويعظه، والمعلوم أن الذي يغسل يديه الأصل أنه يغسلها برفق، يضع الماء ويغسل برفق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد يحتاج الوسخ أحياناً للفرك" أحياناً تأكل شيئاً فيه شحم وفيه كذا، فالماء والغسيل العادي ما يُذهبه، لا بد من الفرك، وهكذا في التعامل مع الناس أحياناً تحتاج إلى الفرك، ومع المعرضين تحتاج إلى التشديد، الذي يُعرض عن الحق ويأباه يحتاج إلى أن يُشدد.

ويرتبط بهذه السمة؛ أعني أنهم أهل التيسير والتيسير عند السلفيين هو الرجوع إلى الكتاب والسنة وحسن المعاملة، ليس التيسير أن تبحث للناس عن المخارج حتى يفعلوا المحرمات بمخارج تُحدثها لهم، وليس أن توسّع على الناس من عندك؛ يعني بعضهم يأتي يقول: يا أخي المسلمون اليوم في ضغوط ومشاكل، ونحن إذا قلنا لهم: هذا حرام وهذا حرام نزيدهم، لا نُخفف عليهم نحن،

الموسيقى نخفف على الناس، لماذا نشدد عليهم وهم عندهم مشاكل وعندهم، سبحان الله! دين الله بيدك؟! هذا ليس تيسيراً، هذا تساهل وانفلات، التيسير عند السلفين هو العمل بالكتاب والسنة؛ لأن هذا هو التيسير الصحيح وغيره عسر وانفلات، وحسن المعاملة على ما ذكرنا في معاملة الناس. يرتبط بهذا صفة أخرى هي قريبة منها: وهي الرفق.

✽ فمن سمات أهل السنة والجماعة: أنهم أهل رفقٍ ما نفع الرفق؛ لأنهم كما قلنا: أهل السنة، والسنة جاءت بالرفق.

▪ وقد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا أَرَادَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا

أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرَّفْقَ» رواه الإمام أحمد والبيهقي وصححه الألباني.

▪ ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ

مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

هذه قاعدة عامة؛ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ» نكرة في سياق النفي فتعم كل شيء، «إِلَّا زَانَهُ» في دعوتك، في تدريستك، في إنكار المنكر، في معاملتك لزوجتك، في معاملتك لأولادك، في معاملتك لأقربائك، في معاملتك لجيرانك، في كل أمورك، ما كان الرفق فيها إلا زانها، فكانت زينةً في ذاتها زينةً في مآلاتها، «وَلَا تُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

طبعاً السلف نبهوا إلى أن عدم الرفق في مكانه رفق؛ لأنه هو الرفق في ذلك المكان، يعني أمرت ابنك أن يصلي منذ أن بلغ السابعة، وأنت يا ولدي صلي، يا حبيبي صلي، الذي يصلي يُحبه الله، الله يُحب المصلين، لا عنف لفظي ولا جسدي ثلاث سنين، هو رفق غاية الرفق: يا بني، يا حبيبي، يا كذا، يا كذا.

لما بلغ عشر سنين وهو لا يصلي تحتاج معه إلى شيءٍ من العنف بالضرب، قال العلماء: ضرب مؤدّب لا منتقم، وضرب لا يجرح جسداً ولا يكسر نفساً؛ لأن بعض الآباء يضربون أبناءهم ضرب انتقام، قلبه حار يريد أن يُبرّد قلبه، واضرب واضرب، هذا حرام لا يجوز، لا يجوز أن تغسل غضبك في ابنك حتى لو كان هو الذي أغضبك، هذا ضرب ظلم، وإنما هو ضرب تأديب، وبعبارة أخرى يقولها بعض أهل العلم: الضرب لمصلحته، تضربه؛ لأن مصلحته أن يُضرب.

أيضاً هذا الضرب لا يجرح الجسد؛

▪ أولاً: يُجتنب فيه الوجه، وأكثر الناس أحسن شيء عنده ضرب الوجه، وضرب الوجه منهى عنه، ما يُضرب الوجه.

▪ ثانياً: لا يُجلد حتى يجرح جلده ويُخرج الدماء، وإنما هو ضربٌ يؤلم شيئاً ويُظهر عدم الرضا.

في لطيفة ذكرتها؛ لأن أهل العلم يذكرون هذا حتى في ضرب الزوجة حال كونها تستحق الضرب يقولون: تُضرب ضرب تَأديب ضرباً لا يجرح جسداً ولا يكسر نفساً، وبعض السلف ذكر هذا بالمثال فقال بعضهم: يضربها بالمسواك الذي يتسوّك به، يظهر عدم الرضا وأنها تستحق هذا، فواحد اشتكته زوجته أنه يضربها، فقال: أنا ما أضربها إلا عند الحاجة كما قال السلف: بالمسواك، فقالت لهم: اجعلوه يأتي بالمسواك الذي يضربني به، فجاء بالمسواك نصف متر وعريض ويقول: أنا أضربها بالمسواك، أيضاً لا يكسر نفساً؛ بعض الآباء يضرب أبناءه أمام إخوانه، وهذا يكسر نفسه لا سيما إذا كان أكبر منهم، وبعضهم بالعكس يزيد الأمر سوءاً فيقول: تعالوا وامسكوه، وهذا لا يصلح.

الشاهد: بلغ عشر سنين فإنك تحتاج مع شيء من العنف لمصلحته فتضربه، الضرب هنا هو غاية الرفق، غاية الرفق أن تضربه هنا؛ لأن مصلحته تقتضي أن تضربه، فالعنف المعقول المصلح النافع عند الحاجة إليه هو عند السلف من الرفق، ولكنه فرغٌ وليس أصلاً، الأصل الرفق الحقيقي ما أمكن، وألا يندفع الإنسان وراء نفسه.

لما دخل اليهود على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالوا: السام عليكم، يُظهرون كأنهم يقولون: السلام وهم يقولون: السام، والسام هو الموت؛ يعني يدعون على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالموت، دخلوا قالوا: السام عليكم، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «عَلَيْكُمْ» وفي رواية: «وَعَلَيْكُمْ»، لكن أمنا عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لما سمعتهم يقولون: السام للرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قالت لهم: «عَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ» فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ» وفي رواية: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ».

سبحان الله! هذا خطاب لليهود وقد اعتدوا في نفس المكان قالوا: السام عليكم، إنما النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول لعائشة: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ» فقالت: وَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ أنا أرد عليهم ما قالوا، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قُلْتُ؟! رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ فَيُسْتَجَابُ لِي مِنْهُمْ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ» أنا قلت: وعليكم فرددت ما قالوا عليهم، «فَيُسْتَجَابُ لِي مِنْهُمْ» وهكذا غيره؛ لأنهم ظلمة وهذا مظلوم والمظلوم يُجاب دعاءه «وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ» وهذا الحديث عند البخاري.

فانظروا سبحان الله حتى في هذا الموطن أمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالرفق، فالمطلوب منا الرفق ما أمكن، وهذا من سمات أهل السنة والجماعة.

لعلنا نقف عند هذا الموطن ونُكمل غداً إن شاء الله علامات وسمات أهل السنة والجماعة؛ لأننا بحاجة لهذا الأمر حاجة شديدة، لأن هذا من باب الأدب والسلف كانوا يهتمون بالأدب أعظم من اهتمامهم بالعلم، فغداً إن شاء الله نُكمل ونُكمل بقية المسائل.

طبعاً غداً الجمعة يا أخوة إن شاء الله، أنا رأيت أن دروس الصباح نبدأها الساعة الثامنة والنصف ونختمها الساعة العاشرة والنصف، فنبدأ من الثامنة والنصف إلى التاسعة في النصف في الدرس الأول، ثم مباشرة نتقل إلى الدرس الثاني، فنستمر من التاسعة والنصف إلى العاشرة والنصف، ثم نتوقف حتى تتهيأوا لصلاة الجمعة إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأما دروس العصر فهي كما هي على توقيتها.

[من سمات منهج السلف]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمرحباً بالأخوة الفضلاء في المجلس الأول من مجالس يوم الجمعة من أيام هذه الدورة التي أسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعلها مباركة، وهذا المجلس الأول في كل يومٍ من أيام الدورة مخصصٌ للكلام عن: [منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ-]، وقد وصلنا إلى الكلام عن [سمات السلف وأتباعهم، وصفات السلف وأتباعهم، وصفات منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمُ-]، وذكرنا شيئاً من ذلك فيما تقدّم، ونُتَم في هذا المجلس الكلام عن هذا إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

✽ فمن سمات أهل السنّة والجماعة، من سمات السلفيين ومنهج السلف الصالح: الثبات وعدم التلوّن، فمنهج السلف والسلفيون متمسّكون بالحق ثابتون عليه، لا يتلونون بحسب الأهواء والمصالح، بخلاف غيرهم من أهل الضلال والفرق فإن أفكارهم تتلون ويتلونون بحسب مصالحهم وما يُحقق أهدافهم.

يقول حذيفة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: "إن الضلالة كل الضلالة أن تعرف ما كنت تُنكر، أو تُنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله، فدين الله واحد" إن الضلالة كل الضلالة أن تكون غير ثابت متقلّباً؛ فمرةً تقول: هذا معروف وأمرٌ طيب، ثم مرةً أخرى تقول: هذا منكر وخبيث، وهكذا، (وإياك والتلون) احذر التلون وهذا التقلّب فإن دين الله واحد، إن الحق واحد، ولذلك كما قلنا سابقاً: السلفيون كلمتهم واحدة على الحق وهم ثابتون على الحق لا يتلونون.

وجاء عن مالكٍ أنه قال: "الداء العضال التنقل في الدين".

وجاء عن بعض العلماء أنه قال: "من تمسّك بالسنّة ثبت، ومن ترك السنّة أكثر التنقل"، (من تمسّك بالسنّة ثبت)؛ لأنها حقٌ واحد ظاهر فيثبت عليها، (ومن ترك السنّة أكثر التنقل) فلا ثبات إلا بالسنّة ولأهل السنّة؛ فأهل السنّة والجماعة لا يتقلّبون ولا يتلونون بل هم ثابتون.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام".

طبعًا يا أخوة: أهل السنة أهل يقين ولذلك هم أهل ثبات، أما أهل الكلام فهم أهل حيرة؛ لأنهم لا يبنون دينهم على أصلٍ صحيح، ولذلك تجد عندهم حيرة كثيرة والغالب على علماء الكلام أنهم في آخر حياتهم يزهدون في علم الكلام، ويرغبون في الرجوع إلى ما عليه السلف، وإن كان الغالب أنهم يُحطِّطون فيرجعون في الأسماء والصفات إلى التفويض، لكن لأنهم يُدركون أن الكلام لا يولد يقينًا وإنما يولد الحيرة.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- في هذا الكلام يرد على أهل الكلام الذين يقولون: إن العقل يُفيد اليقين، وإن النقل يُفيد الظن، فيقول: أهل النقل هم أهل الثبات وهم أهل اليقين، وأما أهل الكلام الذين يقولون: إنهم أهل عقل فإن عندهم حيرة كثيرة.

✽ من سمات أهل السنة والجماعة: أنهم لا يختلفون في العقيدة، فعقيدتهم واحدة منذ وجدوا إلى اليوم وإلى أن يأتي أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فهم متفقون على العقيدة، متفقون على الأصول مهما اختلف الزمان والمكان، فالسعوديون والمصريون والاندونيسيون والماليزيون والأمريكيون من أهل السنة والجماعة على عقيدة واحدة، وهذه العقيدة لم يأت زمان لم يكن السلف عليها أبدًا، منذ أن وجدوا من صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى يومنا هذا؛ فهم أهل الاتفاق على العقيدة.

✽ من سمات منهج أهل السنة والجماعة ومنهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-: علمهم وإيقانهم أن العلم والسلامة والحكمة فيما كان عليه الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، فعندهم مذهب الصحابة أسلم وأعلم وأحكم، فهم يعتقدون أن ما عليه الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-:

- فيه السلامة في الدنيا من الزلل، وفي الآخرة من عذاب الله.
- وفيه العلم وكيف لا يكون فيه العلم وهم أهل السنة، وهم آخذون دينهم من الكتاب والسنة.

وهم يعتقدون أنه أحكم؛ فالكتاب والسنة فيها الحكمة، بخلاف الفرق فإنهم غما مفارقون لمنهج السلف فلا يرون فيها أصلاً علمياً ولا حكمة، وإما مخطئون في فهم السلف، ولذلك قال بعض الخلف: "منهج السلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم".

لماذا قالوا هذا؟

لأنهم ما فهموا منهج السلف في العقيدة، ظنوا أن منهج السلف في العقيدة هو التفويض، بمعنى ذكر الصفة بدون معنى، قالوا: هذا أسلم أن تقول كما في القرآن: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، لكن ما معنى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ لا تتعرض لهذا، فما دام ذلك كذلك فأنت تقول كما في النص فهذا أسلم لك، ولكن منهج الخلف أعلم؛ لأنهم فسروا الصفات وأولوها، والمعلوم أن ما في القرآن والسنة له معنى، فهذا هو العلم.

والحقيقة أنهم أخطأوا في فهم منهج السلف، وأخطأوا في وصف منهج الخلف؛ فمنهج السلف هو إثبات الصفات بمعانيها الظاهرة على ما يليق بجلال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فهو منهج علم وسلامة وحكمة؛ لأنه تُفسَّر فيه النصوص على المعنى الظاهر مع تنزيه الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن المشابهة.

يقول الشيخ ابن عثيمين -رَحِمَهُ اللهُ- في بيان فساد هذه المقولة: (منهج السلف أسلم، ومنهج الخلف أعلم وأحكم) يقول: "نريد أن نبرهن على أن مذهب السلف هو المذهب الصحيح -يعني الأسلم والأعلم والأحكم- وذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن مذهب السلف دلَّ عليه الكتاب والسنة فإن من تتبع طريقتهم بعلمٍ وعدلٍ وجدها مطابقة لما في الكتاب والسنة جملةً وتفصيلاً ولا بد، فإن الله تعالى أنزل الكتاب ليتدبَّر الناس آياته، وليعملوا بها إن كانت أحكاماً، ويُصدِّقوا بها إن كانت أخباراً، ولا ريب أن أقرب الناس إلى فهمها وتصديقها والعمل بها هم السلف؛ لأنها جاءت بلغتهم وفي عصرهم، فلا جرم أن يكونوا أعلم الناس بها.

والثاني: أن يقال: إن الحق في هذا الباب؛ إما أن يكون فيما قاله السلف، وإما أن يكون فيما قاله الخلف". ولا بد، المسألة إما حق أو ضلال، فهذا الحق إما أن يكون فيما قاله السلف والضلال فيما قاله الخلف، وإما أن يُعكس فيقال: الضلال فيما قاله السلف، والحق فيما قاله الخلف.

والثاني باطل؛ لأنه يلزم عليه أن يكون الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار قد تكلموا بالباطل تصريحًا أو ظاهرًا، هذا وقد قال بعض الأغبياء: (طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم). ومنشأ هذا القول أمران:

▪ الأول: اعتقاد قائله - بسبب ما عنده من الشبهات الفاسدة - أنه ليس الله تعالى ليس له في نفس الأمر صفة حقيقية.

▪ الثاني: اعتقاده أن طريقة السلف هي الإيمان بمجرد ألفاظ نصوص الصفات من غير إثبات معنى لها.

وقول هذا الغبي يتضمن حقًا وباطلًا:

▪ فأما الحق فقوله: إن مذهب السلف أسلم.

▪ وأما الباطل فقوله: إن مذهب الخلف أعلم وأحكم.

وبيان بطلانه من وجوه:

الوجه الأول: أن السلف هم ورثة الأنبياء وهم الذين ربّاهم النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأما الخلف فهم بعيدون عن عهد النبوة، فكيف يكون من بعد عن عهد النبوة أعلم وأحكم ممن ربّاهم النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؟!

الوجه الثاني: أن المتأمل لطريقة الخلف يجد عندهم حيرة واضطرابًا بسبب بعدهم عن الأدلة، ولذلك قال الرازي:

نَهَايَةُ إِفْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَدَىٌّ وَوَبَالٌ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا

يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن " ولا شك أن أقرب الطرق طريقة القرآن.

✽ من سمات أهل السنة والجماعة التي يتصفون بها عن غيرهم من الجماعات والفرق: أظن ذكرنا هذا سابقًا وهو المحبة فيما بينهم، فأهل السنة والجماعة يُحب بعضهم بعضًا مهما اختلفت أزمانهم ومهما

تباعدت أماكنهم، يُحبون أئمتهم وعلماءهم وأفرادهم فهم محققون للحب؛ فهم محبون في الله حقاً وصدقاً.

يقول الصابوني في [عقيدة السلف]: "وإحدى علامات أهل السنة: حُبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة ونورها بحب علماء السنة فضلاً منه ومِنَّة".

وجاء في كتاب الإيمان لأبي رجاء كُتبية بن سعيد أنه قال: "إذا رأيت الرجل يُحب سفيان الثوري، ومالك بن أنس، والأوزاعي، وشعبة، وابن المبارك، وأبا الأحوص، وشريكاً، ووكيعاً، ويحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهدي، فاعلم أنه صاحب سنة".

قال أحمد بن سلمة معلقاً على هذا الكلام: "فألحقت بخطي تحته: ويحيى بن يحيى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية" وذكر جماعةً من علماء أهل السنة، وهذا كثيرٌ في كلام أهل السنة ونحن ذكرناه فيما تقدّم.

✽ من علاماتهم وقد ذكرناه في أصولهم: تمسُّكهم الشديد بالسنة اعتقاداً وعملاً، فهم حريصون على اتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بخلاف غيرهم الذين لا تجد عندهم اهتماماً بسنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فهم محققون لاتباع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مسلمون لسننه، لا يُعارضون سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ويستعملون سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في اعتقادهم وفي أعمالهم.

ويعتقد أهل منهج السلف أن السنة سفينة النجاة، فالنجاة من الفتن ومن الشهوات ومن مصائب الشيطان وخطوات الشيطان في سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولذلك قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّدِينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ».

قال الإمام مالك -رَحِمَهُ اللهُ-: "السنة سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك" ولا شك يا أخوة أن الدنيا طوفان، ولا بد للإنسان من مركبٍ يسير فيه يكون آمناً فيه في سيره، ولا أمانة إلا

بلزوم غرز رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهذا هو الذي حققه أتباع السلف الصالح - رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ -، وسنة نوح ينكشف بها الحق.

✽ من سمات أهل السنة والجماعة، من سمات السلفين وعلامات السلفين: أنهم وسط بين أهل الغلو والجفاء في كل أمورهم، فلا إفراط عندهم ولا تفريط، فهم يقومون على صراط الله المستقيم الذي كله اعتدال، كما أن المسلمون وسط بين أهل النحل؛ فإن أهل السنة والجماعة وسط بين الفرق، وأما الفرق يُطيعون الشيطان، والشيطان إما أن يأخذ بالإنسان ذات اليمين، وإما أن يأخذ به ذات الشمال.

ولذلك يقول الأوزاعي - رَحِمَهُ اللهُ -: "ما من أمرٍ أمر الله تعالى به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يُبالي أيهما أصاب الغلو أو التقصير" وهذا هو الذي بينه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - للصحابة. يقول ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطًّا ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ»" خط واحد، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد والدارمي وصححه الألباني - رَحِمَهُ اللهُ -.

وكثيراً ما يُردده الشيخ الألباني - رَحِمَهُ اللهُ - في مجالسة؛ وذلك لأهمية إدراك هذه الحقيقة: أن صراط الله واحد وهو الجماعة الدينية الواحدة، وأن الشيطان نصب على هذا الصراط سبلاً على اليمين والشمال يدعو إليها، والسلامة في لزوم الكتاب والسنة، وهذه هي الوسطية كما ذكرنا سابقاً. يقول ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: "حقيقة التعظيم للأمر والنهي - يعني الأمر والنهي إذا قاله العلماء يقصدون به نصوص الكتاب والسنة - ألا يُعارضها بترخص جافٍ، ولا يُعترضها بتشديد غالٍ، فإن المقصود هو الصراط المستقيم الموصل إلى الله - عَزَّ وَجَلَّ - بسلوكه، وما أمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزعتان:

- إمَّا تقصيرٌ وتفريطٌ.
- وإمَّا إفراطٌ وغلوٌ.

فلا يُبالي بما ظفر من العبد من الخطيئتين، فإنه يأتي إلى قلب العبد فيشامه -معنى يشامه: يطلع عليه، ينظر ما الذي يمكن أن يصيده منه- فإن وجد فيه تقصيراً أو فتوراً أو توانياً وترخيصاً أخذه من هذه الخُطَّة فنبَّطه وأقعدته وضربه بالكسل والتواني والفتور، وفتح له باب التَّأويلات والرَّجاء " حتى لا ينشط في الخير، وغير ذلك حتى ربما ترك العبد المأمور جملةً، يأخذ خطوة خطوة.

"وإن وجد عنده حرصاً وجداً وتشميراً وأيس أن يأخذه من هذا الباب أمره بالاجتهاد الزائد، وسؤل له أن هذا لا يكفيك وهمتك فوق هذا، وينبغي لك أن تزيد على العاملين، وألا ترقد إذا رقدوا، وألا تفتروا إذا فتروا، حتى يُدخله -يقصد شيخ الإسلام ابن القيم- في التشدد ومنه الوسواس، ولذلك يقول العلماء: "الوسواس أوله احتياطٌ وآخره ذلَّةٌ وندم".

الشیطان أول ما يأتي للإنسان إذا وجد أنه حذر ووجد أنه... يقول له: الاحتياط، اغسل زيادة، هذه الصلاة وهذه جنة أو نار، اغسل زيادة، تأكد أكثر، ثم يُدخله في باب الوسواس حتى لا ينتهي إلى حد، أنا رأيت بنفسي رجلاً يدخل دورات المياه -يدخل الحمام- فيغتسل بثيابه من شدة الوسوسة، ثم إذا خرج عند الباب رجع مرةً أخرى إلى الحمام.

طبعاً الشيطان ماذا يريد من هذا؟ يريد من هذا أمرين:

▪ أن يُضيِّق قلب المؤمن.

▪ وأن يجعله يترك العبادة.

لأنه إذا دخل في الوسواس يعيش في ضيق وكرب، ثم بعد ذلك يبدأ يترك النوافل؛ لأنه يحتاج إلى وضوءٍ كثير وتعب كثير فيبدأ يترك النوافل، وربما ترك الرجل صلاة الجماعة.

فابن القيم يقول هنا: "وإذا غسل أحدهم يديه ووجه ثلاث مرات فاغسل أنت سبعمائة" هكذا يقول له الشيطان يقول له: أنت ليست مثل الناس، أنت صاحب احتياط، صاحب دين، إذا غسلوا ثلاثاً، أنت اغسل خمساً، أنت اغسل سبعمائة، أنت تخاف الله حتى يوقعه في حباله.

قال: "وإذا توضأ الناس للصلاة فاغسل أنت -كل صلاة اغتسل لها- ونحو ذلك من الأفرط والتعدّي فيحمله على الغلو والمجاوزه وتعدّي الصراط المستقيم، كما يحمل الأول على التقصير دونه،

ومقصوده من الرّجلين: إخراجهما عن الصّراط المُستقيم؛ هذا بألا يقربه ولا يدنو منه، وهذا بأن يُجاوزه ويتعدّاه".

فأهل السنّة والجماعة سلكوا الصراط المُستقيم؛ فلا غلو عندهم ولا جفاء حتى في موقفهم من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أهل السنّة والجماعة يُحبون النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أكثر من أنفسهم، وأكثر من أموالهم وأولادهم والناس أجمعين، الرجل من أهل السنّة والجماعة لو قُوبل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بنفسه وجميع الناس لاختار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وهم يعتقدون أنه عبدٌ شَرَّفه الله بالرسالة، فهم لا يقولون: إنه عبدٌ فقط كما يقوله أهل الجفاء، بل يقولون: عبد الله ورسوله، عبدٌ شَرَّفه الله بالرسالة لكن لا يجعلون له ما لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فلا يقولون: إنه يعلم الغيب، ولا يستغيثون به، بل هو عبدٌ لا يُعبد ورسولٌ لا يُعصى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

بخلاف أهل الغلو والجفاء؛ فمنهم من غلا في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى جعل ما لله لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فجمع بين مصيبتين:

- الغلو في رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي حذّر منه.
- وسوء الأدب مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

حتى قال قائلهم:

فإن من جُودك الدُّنيا وضرَّتْها ومن عُلومك عِلْمَ اللُّوحِ والقَلَمِ
إذا كانت الدنيا والآخرة من جود النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن علوم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ليست كل علوم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: علم اللوح والقلم فماذا لله؟!
وبخلاف أهل الجفاء الذين يقولون:

قَامَ النُّبُوَّةُ فِي بَرَزِخٍ فَوَيْقَ الرُّسُولِ وَدُونَ الْوَيْقِ

فيجعلون النبي والرسول دون الولي والولي فوقهم، والعجيب أن هذا يحصل من الصوفية الأمران: الغلو والجفاء في النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، يحصل من الصوفية في الأمرين، فهم الذين يقولون هذا، وهم الذين يقولون هذا.

أما أهل السنة فهم وسط، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- عن أهل السنة والجماعة: "وكذلك في سائر أبواب السنة هم وسط؛ لأنهم متمسكون بكتاب الله، وبسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان" وهذا واضح جدًا.

يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ- مشيرًا إلى ما ذكرته لكم قبل قليل في مسألة الصوفية، يقول: "يجتمع في الشخص الواحد هذان المرضان الخطيران -يعني الغلو والجفاء-؛ فتجد الواحد من أهل الأهواء مقصّرًا مفرطًا في بعض دينه، غالبًا متشدّدًا متجاوزًا في بعضه"، بل الغالب يا أخوة أنهم يتساهلون في السنة يتشدّدون في البدعة.

ولذلك أمير المدينة السابق ذهبنا إليه لما أظهر بعض الناس قضية إحياء الآثار على طريقة أهل البدع، نبين أن هذا خطير جدًا على الدين، فقال: أنا جاني خصومكم قبلكم وجلسوا في هذا المجلس، ويقولون: آثار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، آثار النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال: فقلت لهم: أنتم الآن جالسون وتكلمون عن حجر وبيوت الله أعلم هل هي ثابتة إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أو غير ثابتة، ولكني أراكم جميعًا تحلقون اللحية، واللحية ثابتة عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلماذا تتركون الثابت وتتمسكون بغير الثابت؟! فأسكتهم.

لكن الشاهد سبحانه الله هكذا! تجد الغالب على أهل الأهواء أنهم يتساهلون في السنة، فلا تجد عندهم حرصًا على الاستقامة على السنة، ويتشدّدون في البدعة فلا يفوتونها، فيجمعون بين المصيبتين:

- التساهل في السنة.
- والتشدّد في البدعة.

يقول: "يجتمع في الشخص الواحد هذان المرضان الخطيران، فتجد الواحد من أهل الأهواء مقصراً مفرطاً في بعض دينه لا يُبالي، غالباً متشدداً متجاوزاً في بعضه لا يُبالي، والمهدي من هداه الله، وينبني على هذه الخصلة - خصلة الوسطية -: أن أهل الحديث السلفيين أهل السنة والجماعة يندون التشدد والتنطع؛ لأنهم ملتزمون بسنة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -".

يقول الشيخ ابن سعدي - رَحِمَهُ اللهُ - مبيِّناً أوجه وسطية أهل السنة والجماعة، يقول: "وَسَطًا فِي الْأَنْبِيَاءِ بَيْنَ مَنْ غَلَا فِيهِمْ - كَالنَّصَارَى -، وَبَيْنَ مَنْ جَفَاهُمْ - كَالْيَهُودِ -؛ بِأَنَّ آمَنُوا بِهِمْ كُلَّهُمْ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِذَلِكَ، وَوَسَطًا فِي الشَّرِيعَةِ؛ لَا تَشْدِيدَاتِ الْيَهُودِ، وَلَا تَهَاوُنِ النَّصَارَى، وَفِي بَابِ الطَّهَارَةِ وَالْمَطَاعِمِ؛ لَا كَالْيَهُودِ الَّذِينَ لَا تَصِحُّ لَهُمْ صَلَاةٌ إِلَّا فِي بَيْعِهِمْ وَكَنَائِسِهِمْ، وَلَا يُطَهَّرُهُمُ الْمَاءُ مِنَ النَّجَاسَاتِ، وَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٌ؛ عُقُوبَةً لَهُمْ، وَلَا كَالنَّصَارَى الَّذِينَ لَا يُنَجِّسُونَ شَيْئًا، وَلَا يُحْرِمُونَ شَيْئًا؛ بَلْ أَبَاحُوا مَا دَبَّ وَدَرَجَ".

✽ من سمات أهل السنة والجماعة: العلم والعمل والعدل، فهم أهل علم؛ لأنهم يعلمون أن الدين لا يقوم إلا بالعلم، ويشتغلون بطلب العلم؛ وذلك لأن أصل العلم الكتاب والسنة والصحابة - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ -، وأهل السنة والجماعة متمسكون بالكتاب والسنة وما عليه الصحابة، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: "العلم المشروع والنسك المشروع مأخوذ عن أصحاب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -"، فهم يهتمون بالعلم، والعلم الذي عندهم هو العلم.

كثير من الفرق بل كل الفرق تقول: عندها علم لكن ليس عندها عناية بطلب العلم، والعلم الذي عندها في الحقيقة ليس بعلم، أكثر ما عند الفرق الجهل به خير من العلم به، أما أهل السنة والجماعة فعندهم عناية بالعلم، والعلم الذي عندهم هو العلم حقاً المأخوذ من الكتاب والسنة وما عليه صحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

ولذلك إذا أخذت كتاباً من كتب أهل العلم من أتباع السلف الصالح تجد فيه: قال الله، قال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، تجد فيه آثار عن الصحابة والتابعين، تجد فيه علماً، وإذا أخذت كتاباً لمن يُسمونهم المفكرين وأصحاب الفرق والجماعات تجد فيه الفلسفة والكلام ولا تجد فيه علماً بيناً.

ولذلك ينبغي على السلفيين في كل مكان أن يهتموا بالعلم تعلُّماً وتعليماً، والسلفي الحق تجده متواضعاً في باب العلم، فيسعى إلى حلق العلم كالدورات هذه ونحوها مهما بلغ؛ لأن السلفي يطلب العلم إلى الموت، وكلما تقدّم به السن وزاد عنده العلم أدرك أن الذي يجهله أكثر من الذي يعلمه، فيزداد رغبةً في طلب العلم.

ولذلك من الأمراض التي تصيب بعض إخواننا وهي مخالفة لصفات أهل السنّة والجماعة:

▪ إما الكِبَر عن طلب العلم.

▪ وإما الكسل عن طلب العلم.

إما الكبر وبعضهم يقول: خلاص أنا أصبحت أستاذاً، أنا الناس يرجعون إليّ فكيف أذهب في الحلقات وأجلس مع الشيوخ؟ أنا شيخ، فيتكبر عن المجالسة فيضعف العلم الذي عنده ويقل ولا يزداد علماً، والعلم يا أخوة لا يناله متكبر، المتكبر أبعد ما يكون عن العلم، وبعض الأخوة يصيبه الكسل.

ولذلك أنا كلما ذهبت إلى مكان أوصيت إخواني أهل السنّة والجماعة بالعلم، بالحرص على تعليم الناس إذا أمكن، وبالحرص على التعلّم والمجالسة، إن لم يمكن أن تجالس الشيخ مباشرة فاليوم لا يوجد عذر، اليوم وأنت في إندونيسيا تجالس الشيخ وهو يُدرّس في المسجد النبوي عن طريق النقل المباشر للدروس، فلا بد من العناية بالعلم.

ولكن مع العلم لا بد من العمل؛ لأن العلم حُجّة تقوم على الإنسان ولا طريق للسلامة من هذه الحُجّة إلا بالعمل، ولذلك الأمر خطير أن يتعلّم الإنسان ولا يعمل، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِأَقْوَامٍ تُقْرَضُ شَفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنَ النَّارِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟» فَقَالَ: "حُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ". هؤلاء القوم الذين يُعذّبون في النار تعلّموا ولم يعملوا، ولذلك قال: (حُطَبَاءُ أُمَّتِكَ) الخطيب عندما يقوم على المنبر إنما يخطب بالعلم، ويأمر الناس بالعلم، (وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ)، ومن تدبّر سير السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- وجد أنهم أشدّ الناس حرصاً على العمل بالعلم، فالسلفيون يتعلّمون ويعملون، وهذا الذي ينبغي أن نحرص عليه أيها الأخوة.

وهذا يلزم منه أمرٌ مهمٌ جدًّا: وهو ألا نأخذ العلم إلا من أهله، من العلماء الأبرار، من العلماء الربانيين، ليس من كل مشهورٍ، ولا من كل مبرزٍ للناس؛ لأن العلم هو الدين، فمنهج أهل السنَّة والجماعة فيه معرفة العلماء الربانيين الذين يؤخذ عنهم العلم.

قال ابن جماعة: "اعلم أن جميع ما ذكر في فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين، الذين قصدوا به وجه الله الكريم، والزلفى لديه في جنَّات النعيم، لا من طلبه بسوء نيَّة، أو خبث طويَّة، أو لأغراضٍ دنيوية من جاهٍ أو مالٍ أو مكاثرةٍ في الأتباع والطلاب".

فلا بد من معرفة العلماء الربانيين من أهل السنَّة حتى يعرف الإنسان عمن يأخذ، فإن هذا الأمر دين، فينبغي أن يُعلِّم الدين من طريق العلماء الربانيين، وأن يحذر الإنسان من يشتغلون بالقصص والتفسير عن السنَّة وأهلها، فإنه لا خير في طريقهم وهو مخالفٌ لمنهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-.

من سمات أهل السنَّة والجماعة التي ذكرناها قبل قليل ولم أُعلِّق عليها: العدل، فأهل السنَّة والجماعة أهل عدلٍ؛ لأنهم يعلمون أن العدل حقٌّ واجبٌ على كل أحد لكل أحد، فلا يُستثنى من العدل شيء، يجب أن تعدل مع الموافق، ويجب أن تعدل مع المخالف، ويجب أن تعدل مع الكافر، لا يجوز أن تظلم أحدًا.

وأهل السنَّة والجماعة أهل عدلٍ مع مخالفهم، فكيف بالعدل فيما بينهم؟! لا شك أن العدل بينهم قائم، بل إن كثيرًا منهم يُعاملون إخوانهم بالفضل، والفضل مرحلة فوق العدل؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠] يأمر بالعدل أمر إيجاب، والإحسان أمر استحباب؛ لأن الإحسان هنا المراد به الفضل؛

▪ والعدل كما تعلمون: هو إعطاء كل ذي حقٍّ حقه، فهو عدم الظلم.

▪ والفضل: هو الزيادة على الحقِّ.

وأهل السنَّة والجماعة في تعاونهم فيما بينهم لا يجوز أن ينقص ذلك عن العدل، ويُستحب أن يكون التعاون فيما بينهم على طريقة الفضل والإحسان، وأن يُعين بعضهم بعضًا على نوائب الدنيا، وأن يُحب كل واحدٍ منهم لأخيه ما يُحب لنفسه. لعلنا نقف عند هذا الموطن.

[من أصول السلف-١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمعاشر الأخوة طلاب العلم الدعاة -بارك الله فيكم جميعاً-:

هذا هو المجلس الثالث من مجالس يوم الثلاثاء، وهو أول مجلسٍ في موضوع [أصول السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-] وهذه الأصول معرفتها مهمةٌ جداً؛

- فإن من لزمها وعمل بها فهو على منهج السلف الصالح.
- ومن خالف في واحدٍ منها أو أكثر فإنه يكون خارجاً عن منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-.

وخلال أيام الدورة في المجالس الأربعة ابتداءً من اليوم سنذكر هذه الأصول حسب ما قرره أهل العلم بالاستقراء لمنهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- من أجل أن نحرص على تحقيقها والعمل بها، ومن أجل أن تكون ميزاناً لنا لمعرفة من هو على منهج السلف الصالح، ومن هو مخالفٌ لهذا المنهج.

✦ وأول ما نذكره من أصول السلف:

ما ورد في حديث العرباض بن سارية -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً؛ وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ فَأَوْصِنَا، فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرِي اخْتِلافاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني.

فهذا الحديث وصية مودّع من رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والمعلوم أن المودّع يختار أهم الأمور ورأس المصالح ليوصي بها، فتضمن الحديث أصولاً لزمها السلف الصالح ويلزمها السلفيون دائماً؛

كأول هذه الأصول: تحقيق تقوى الله، وهذا الأصل تضمن أصليين:

- الأصل الأول: تحقيق التوحيد وإخلاص العمل لله.
- والأصل الثاني: تحقيق عبادة الله كما أراد الله.
- والأصل الثالث: لزوم الجماعة والسمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

هذا الأصل الثاني بحسب الإجمال، والأصل الثالث بحسب التفصيل؛ لأن حسب الإجمال:

- الأصل الأول: تحقيق تقوى الله.
- والأصل الثاني: لزوم الجماعة والسمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله.

وبحسب التفصيل:

- الأصل الأول: تحقيق التوحيد وإخلاص العمل لله.
- والأصل الثاني: تحقيق العبادة لله كما أراد الله.
- والأصل الثالث: لزوم الجماعة والسمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله.

والأصل الثالث بحسب الإجمال: تحقيق الاتباع لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهو الأصل الرابع بالنسبة للتفصيل.

والأصل الرابع إجمالاً: هو لزوم فهم السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، وهو الخامس تفصيلاً. والأصل الخامس بحسب الإجمال: هو الحذر من البدع والتحذير منها، وهو الأصل السادس بحسب التفصيل.

يقول لي قائل منكم: أثبت لنا من الحديث هذه الأصول الستة تفصيلاً؟ فنقول:

- الأصل الأول والثاني: هو قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ».

▪ والأصل الثالث: هو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ».

▪ والأصل الرابع: هو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي».

▪ والأصل الخامس: هو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهَدِّدِينَ الرَّاشِدِينَ».

▪ والأصل السادس: هو قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَأَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ».

وهذه الأصول في حديث العرْباض بن سارية لزمها السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-؛
فأول أصل: هو تحقيق العبودية لله؛ أي تحقيق التوحيد بالدعوة إليه والعمل به، فأهل السنة والجماعة يُحبون التوحيد، ويُحبون ذكر التوحيد، فالسلفي حقًا وصدقًا يفرح إذا ذكر التوحيد، وينشرح صدره إذا ذكر التوحيد؛ لأن التوحيد حق الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فهو أعظم الحقوق على الإطلاق، وأشرف الحقوق على الإطلاق، فيُحبون التوحيد وتنشرح صدورهم لذكر التوحيد، ويعملون على تحقيق التوحيد في أنفسهم، فيحرصون على تحقيق التوحيد بمراتبه؛ لأن الناس يا أخوة في التوحيد على مراتب:

▲ فأعلامهم من يُحقق كمال التوحيد، وذلك بأن يوحد الله في ألوهيته، ويوحد الله في ربوبيته، ويوحد الله في أسمائه وصفاته، ويكمل تعلق قلبه بالله، فيكون تعلق قلبه بالله كاملاً؛ فلا يتطير، ولا يكتوي، ولا يسترقي، ويتوكل على ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ويعمل بالواجبات، وينكر المحرمات، فإن زلت القدم ندم وتاب أنام سريعاً، ويكثر من المستحبات ويترك ما استطاع من المكروهات، هذه أعلى مراتب التوحيد: تحقيق مراتب التوحيد، وهؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

☞ ماذا قلنا؟

يُوحد الله في ألوهيته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، ويكمل تعلق قلبه بالله فيكون كامل التعلق بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، حتى أنه يترك بعض ما يفعله الناس لكمال توكله على الله؛ فلا يكتوي، ولا

يسترقى ما يطلب الرقية، ولا يتطير لكمال توكله على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ويعمل بالواجبات ما استطاع ولا يتركها، ويترك المحرمات دائماً.

هل يعني هذا أنه يصير معصوماً لا يترك واجباً ولا يفعل حراماً؟

الجواب: لا، ولكنه مجتهد؛ فقد نزل القدم ويفعل حراماً، قد يغتاب، قد يكذب وإن كان الكذب بعيداً عن المؤمن أكثر من غيره من الذنوب، ولكنه ما إن يقع في الذنب حتى يؤوب إلى الله ويتوب إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فيمحو ذنبه، ويكثر من المستحبات؛ يُحب العبادة لله ويكثر من المستحبات، ويترك من المكروهات ما استطاع، وينبغي على السلفي -وهذا لكل مؤمن لكن نحن لا نتكلم عن أصول السلف- أن يُجاهد نفسه ليلبغ هذه المنزلة، وألا يكَلِّ ولا يمل من المجاهدة حتى يُصبح من هؤلاء الأ خيار الذين هم أفضل الأمة.

ومن الناس من يُحقق التوحيد، هذه مرتبة دون الأولى؛

■ الأول: يُحقق كمال التوحيد.

■ الثاني: يُحقق التوحيد.

فيوحد الله في ألوهيته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، ويتوكل على الله ولكن تعلق قلبه بالله أدون من الأول؛ فيكتوي وقد يسترقى ولكنه يتوكل على الله، ويفعل الواجبات ما استطاع ويترك المحرمات، هذا حقق التوحيد وهو موعود بالخير.

■ والقسم الثالث: مَنْ يُحقق أصل التوحيد فيوحد الله في ألوهيته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، ويجتنب الشرك كله كبيره وصغيره، ويُطيع الله جملةً، فهذا حقق أصل التوحيد، والسلفي الذي يسير على منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- يعمل على تحقيق التوحيد في نفسه.

إذن السلف يُحبون التوحيد، وتنشر صدورهم عند ذكر التوحيد، ويعملون على تحقيق التوحيد في أنفسهم، ويدعون إلى التوحيد، كلُّ بحسب علمه وحالته، السلفي يعتقد أن الدعوة إلى التوحيد فرضٌ عليه ولكن بحسب حالته وعلمه؛

■ فالمطلوب من العامي من أتباع منهج السلف في هذا الباب ليس كالمطلوب من

طالب العلم.

▪ والمطلوب من طالب العلم ليس كالمطلوب من العالم وهكذا.

ولكن السلفي مهما كان حاله هو يدعو إلى التوحيد في الجملة، ويُحذّر من الشرك، ويصبر على ما أصابه في هذا؛ لأنه ما قام أحدٌ قط بالدعوة إلى التوحيد إلا أُوذي بدءاً من الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -، فلا بد من الصبر على ما يُصيب الإنسان، إذا دعوت إلى التوحيد:

- قد يصيبك ضيق في الرزق؛ لأنك ما تجد الأبواب مفتوحة لك في كل مكان، فتصبر على ما أصابك.

- قد يصيبك ذم وسب فتصبر على ما أصابك.

وقد يتجرأ عليك السفهاء فيلقون الأذى على بابك أو على سيارتك أو حتى على مسجدك، السفهاء من جهلهم لا يعرفون حتى احترام بيوت الله، بل ويصل الأمر ببعضهم أنه لا يحترم حتى القرآن، حتى أحد الصوفية لما قرأت عليه آية في التوحيد قال: هذه آية وهّابية، كلام الله يقول: هذه آية وهّابية، فقد يصيبك أذى في هذا الطريق فلا بد من الصبر والتواصي بالصبر.

▲ والأصل الثاني وهو مرتبطٌ بهذا: هو تحقيق العبودية لله بأن يُعبد الله كما أراد الله، فلا يُعبد إلا الله، ولا يُعبد الله إلا بما شرع، فالعبادة لله، والعبادة كما تعرفون تعريفها: اسمٌ جامع لكل ما يُجبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، تدخل فيها الصلاة والصيام والدعاء، والخوف والرجاء، والاستغاثة، كلها داخلة في العبادة، والتعبُّد هو التقرب إلى الله بتذللٍ ورضاً ومحبة.

☞ ما هو التعبُّد؟

التعبُّد هو التقرب إلى الله بتذللٍ ورضاً ومحبة؛

▪ لا بد في التعبُّد من أن يكون لله؛ فإن كان التعبُّد لغير الله فهو شركٌ، الذي يعبد القبور

وأصحاب القبور ومن يُسمونهم بالأولياء الصالحين هذا غير موحد أصلاً، هذا شرك.

▪ التعبُّد إلى الله بتذللٍ: فلا بد في التعبُّد من ذلة، لا يكون الإنسان متكبراً وهو يعبد الله،

بل لا بد من التذلل لله - عَزَّ وَجَلَّ -.

- ومحة: فلا بد من محبة المعبود ومحبة العبادة، فالمتعبّد يُحب الله ويُحب هذه العبادة؛ لأنها تقربّه إلى الله، يُحب الصلاة، يُحب الصوم، يُحب الذكر.
- ورَضًا: فقلبه راضٍ عن المعبود وراضٍ بالعبادة.

إذن العبادة هي ما يُحبه الله ويرضاه، وما يُحبه الله ويرضاه لا يُعرَف إلا بالدليل، وهذا معنى قول السلف: "العبادة توقيفية مبنية على الدليل من الكتاب والسنة"، ما تُبنى على العواطف مثل إقامة الموالد ونحو ذلك، ولا تُبنى على التجارب.

بعض الناس مثلاً يأتي ويقول: أنا جربت أني أصلي ركعتين بين صلاة الظهر وصلاة العصر يكون يومي سعيداً، فيلتزم أن يصلي بين الظهر والعصر ركعتين، هذه بدعة، العبادة ما تُبنى على التجارب. بعض الناس يقول: أن جربت أني إذا استيقظت من النوم فقلت: اللهم يا ربّ اجعل يومي سعيداً وافتح على قلبي ثلاثين مرة يكون يومي سعيداً، فأنا كلما استيقظت وأدعو الناس إلى هذا، نقول: هذه بدعة إضافية؛ لأنه قيّد الدعاء بصفةٍ ووقتٍ وعددٍ لم يرد به الشرع، والتعبّد لا بد أن يكون لله، وأن يكون بذلّ، بعض أهل العلم يقول: "كمال الذل"، وأن يكون بمحبةٍ ورَضًا.

▲ ويلتحق بهذا الأصل: تحقيق الاتباع لمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذه أحد الأصول التي ذكرناها، فلا يُعبَد الله إلا من طريق رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وتحقيق الاتباع شرطٌ لصحة العبادة وشرطٌ لقبول العبادة، (شرطٌ لصحة العبادة) نعني به أنه لا تكون العبادة عبادةً شرعاً إلا إذا كان فيها اتباع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ولا تُقبَل من العبد إلا إذا كان فيها اتباع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

فإن الله - عَزَّ وَجَلَّ - يقول: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]؛

- ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ ولا يكون العمل صالحاً إلا إذا كان فيه اتباع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

▪ ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ هذا الإخلاص لله - عَزَّ وَجَلَّ - في العبادة.

وقال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المملك: ٢] ما قال: أيكم أكثر عملاً، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ وحسن العمل بأن تكون العبادة لله على اتباعاً لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ويقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ هذا بيان دعوى والشرط: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾ فشرط صححة هذه الدعوى اتباع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فمن جاءنا ببدع قلنا له: هل تُحِبُّ اللهُ؟ سيقول: قطعاً نعم أحب الله، هل تحب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيقول: قطعاً نعم وأنا أفعل هذه الأمور لأني أحب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، أنا أقيم المولد لأني أحب رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قلنا له: فإن ربك يقول: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ فإذا اتبعتموني أحبكم الله وغفر لكم ذنوبكم، فيلزمك أن تترك البدع لتُحقق المحبة، ولتصل إلى المحبة.

لتُحقق محبتك لله ولرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يلزمك أن تتبع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، واتباع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يلزم منه ترك البدع، فإذا فعلت ذلك أحبك الله ووصلت إلى محبة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

← إذن هذان أصلان تكلمنا عنهما:

١. تحقيق التوحيد.

٢. وتحقيق الاتباع لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

▲ يتصل بهذا الأصل الثالث: وهو تحقيق العبادة لله كما شرع الله؛ فالسلفيون، أتباع السلف كالسلف لا يهتمون بالتوحيد ويهملون الدعوة إلى عبادة الله كما شرع الله، ويدخل في ذلك كما قلنا: العبادة القولية والعملية، الظاهرة والباطنة، والأخلاق، كلها تدخل في هذا، فالدعوة إلى تحقيق العبادة لله كما شرع الله من أصول السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، ومن دعائم منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-.

▲ وأما الأصل الرابع بالنسبة للعدِّ الآن: فهو لزوم الجماعة، والسمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله؛ السلف أجمعوا على هذا، والسلفي ينشره صدره بهذا، ويعمل بهذا، فهم يلزمون

الجماعة الدينية فهم جماعة واحدة لا جماعات، ويلزمون جماعة الأبدان، ويسمعون ويُطيعون لمن ولاءه الله أمرهم في غير معصية الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] فأمر الله - عَزَّ وَجَلَّ - بطاعته، وأمر بطاعة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأمر بطاعة أولي الأمر منّا؛ أي طاعة ولاة الأمر من المسلمين، ولكن الحظوا في الآية أن الله - عَزَّ وَجَلَّ - قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ وقال: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أما في ولاة الأمر فإنه لم يُكرر الفعل وإنما قال: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ فلم يقل ربنا: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ، ولم يقل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ.

فما الحكمة؟

الحكم بيان أن طاعة ولاة الأمر المسلمين مقيّدة وليست مطلقة؛ فإنها مقيدة بألا تكون معصية، فإن كانت معصية فلا سمع لهم ولا طاعة في معصية الله مع بقاء السمع والطاعة في غيرها، وقال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ حَقٌّ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» فالسمع والطاعة مقيّد بعدم المعصية، فإن الطاعة إنما هي في المعروف.

وفي حديث حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - الذي هو أصل من أصول أهل السنّة والجماعة في هذا الباب أنه قال: "كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٌّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخْنٌ» يخلقه شيء. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، نَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنَكِّرُ». قَالَ: قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفُوهُ فِيهَا» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ يَعْنِي بَيْنَهُمْ لَنَا حَتَّى نَعْرِفَهُمْ. فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قَالَ: قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

إن أدركت هذا الزمن الذي فيه هؤلاء الدعاة الذين يدعون إلى أبواب جهنم ماذا أفعل؟ قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» فتكون مع الجماعة في الدين مع الجماعة الدينية ولو كنت وحدك في البلد،

ما توافق أهل البلد على الباطل، تكون مع الجماعة الدينية التي هي جماعة واحدة كما قررنا، وفي الولاية تكون مع جماعة البلد تحت ولي الأمر المسلم.

(قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ) هذه يا أخوة مسألة مهمة جداً؛ لأن بعض التكفيرين والحزبيين يقولون: اليوم لا يوجد جماعة ولا يوجد إمام، قَالَ: «فَاعْتَزَلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعْضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ، وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ» فإذا لم يكن جماعة ولا إمام فإن الواجب الاعتزال وعدم الخوض في الفتن، بل ينفرد الإنسان بنفسه ويعبد الله ولا يخوض في الفتن، والحديث متفقٌ عليه كما تعلمون.

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُتْهَانِ إِنْسٍ» يا أخوة: مَنْ الذي يصفهم؟ الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصفهم ويُخبر عنهم؛ «يَكُونُ بَعْدِي أُمَّةٌ» يعني ولاية أمر، «لَا يَهْتَدُونَ بِهَدَايَ، وَلَا يَسْتَنْوَنَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ» أي أن بطانتهم ومن معهم «قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُتْهَانِ إِنْسٍ» يعني ما يأمرون بالخير، يأمرون بالشر من الشيطان. قَالَ حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟» قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ، وَأَخَذَ مَالَكَ، فَاسْمَعْ وَأَطِعْ».

هذه الجملة يجب فقهاها يا أخوة، فقهاها: أن معصية ولي الأمر المسلم مهما بلغت لا تُسقط السمع والطاعة له في غير معصية الله، لا يعني هذا أن المعاصي حلال له، المعاصي حرامٌ عليه، والله محاسبه على هذا الأمر، ويجب على من يستطيع أن ينصحه بما يليق بمقامه، رُأى يشرب الخمر ما نتأول ونبدأ نقول: والله هذا الخمر فيه كلام، هذا يظهر ما هو خمر مسكر، لا، ما نبرّر إذا وقع الحاكم في المعصية، وما نغشه بل من يستطيع أن يذهب إليه وله مكانة ويستطيع أن يتكلم بحكمة وما يليق بمقامه يجب أن ينصحه ويبيّن له أن هذا حرام.

ولكن في نفس الوقت لا نتخذ ذلك طريقةً للتأليب عليه وإفساد القلوب عليه، فنجتمع في الميادين ونندد بفعل الحاكم، ونقوم نخطب الخطب في فعل الحاكم، فهذا غير صحيح، ولكن هذه المعصية التي فعلها لا تسقط وجوب السمع والطاعة له في غير معصية الله.

مَنْ الذي حكم بهذا؟ يقولون: العلماء السلاطين يقولون: اسمع وأطع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، أعوذ بالله الذي قال هذا رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والعجيب أن الحزبيين يستमितون لتضعيف هذا الحديث، ويتغافلون عن نقطتين:

النقطة الأولى: أن الحديث جاء بأسانيد أخرى عند غير مسلم وهي أسانيد صحيحة، وسند مسلم صحيح وإن كان فيه شيء، لكن الحديث جاء بأسانيد أخرى عند غير مسلم، لكن هم يتغافلون عن هذا.

ويتغافلون أيضاً: عن أنهم يُصححون أحاديث في مسلم بأسانيد مثل هذا الإسناد، لكن لأن هذا الحديث ما يُناسب أهواءهم ولا طريقتهم يستमितون في تضعيفه.

وقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«وإن ضُربَ ظَهْرُكَ، وأخذَ مالكُ»** المقصود حتى لو كنت متيقناً أنه ظالم؛ لأن الظلم وصل إليك أنت فإنك تسمع له وتطيع في غير معصية الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-. والأدلة في هذا الباب كثيرة جداً.

▲ ومما يتعلق بهذا الأصل: اعتقاد السلف وأتباعهم أن نصب الإمام واجب، فيرون أن من الفروض الكبرى على الأمة نصب الإمام؛ إذ لا بد للأمة من ولي أمرٍ يقوم بشأنها، وإذا فرضنا جدلاً أن الأمة لم تنصب إماماً فبقيت بلا إمام فإنها تأثم وتعيش عيشة جاهلية، العيش بلا إمام عيشة جاهلية، ويجب على الأمة أن ترفع عن نفسها ذلك.

☞ وقد دلت الأدلة على هذا الأصل العظيم: وهو وجوب نصب الإمام؛

☞ قال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: **«وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَأَتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ**

اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» [البقرة: ٢٥١] فالله -

عَزَّ وَجَلَّ- يقول: **«وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ»** والمقصود والمعنى أنه

لولا أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يجعل في الناس رؤساء تتحقق بهم المصالح وتندفع بهم المفاسد لفسدت الأرض، ولا شك أن إصلاح الأرض واجب، ودفع المفاسد واجب، فيكون نصب الإمام واجباً.

☞ ومن الأدلة على وجوب نصب الإمام: قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: **«مَنْ مَاتَ**

وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» رواه مسلم في [الصحيح]، فهذا الحديث يدل على أن شأن

أهل الحق أن يكون لهم إمام؛ لأن البيعة تكون لمن؟ للإمام، إذن لا بد من بيعة ولا بد من إمام، فإن لم يكن لهم إمام فلن يكن لهم بيعة فتكون عيشتهم عيشة جاهلية.

← ومن الأدلة التي ذكرها العلماء على وجوب نصب الإمام وتأميره: قول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ» رواه أبو داود وصححه الألباني، ووجه الدلالة: أنه إذا أمر الثلاثة في السفر أن يؤمروا فمن باب أولى أن تؤمر الأمة بأن تؤمر أميراً عليهم، وقد أجمع علماء الأمة على هذا الواجب.

يقول القرطبي عن نصب الإمام الذي يُسَمَّع له ويُطاع وتجتمع عليه الكلمة، يقول: "ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة" يعني هذه حكاية إجماع الأمة على هذا، يقول: "ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة إلا ما رُوي عن الأصم حيث كان عن الشريعة أصم" من هو الأصم؟ أحد أئمة المعتزلة، يصفه القرطبي هنا يقول: حيث كان عن الشريعة أصم، يعني ما التفت إلى النصوص، "وكذلك من قال بقوله واتبعه على رأيه ومذهب".

وقال العمراني أحد فقهاء الشافعية: "إن الصحابة اجتمعوا على نصب الإمام"، بل لأهمية هذا يا أخوة أول ما بدأ به الصحابة بعد موت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قبل دفنه: نصب الإمام، نصب الخليفة، ليس حباً في الحكم، وليس رغبة في الدنيا، لكن لأنهم يعلمون أن هذا من أعظم أصول الشريعة أن يُنصب الإمام، وذكر النووي -رَحِمَهُ اللهُ- الإجماع على نصب الإمام.

ولا شك أن العاقل يُدرك أن جلب المصالح ودرء المفاسد إنما يتحقق إذا وجد الإمام، وأن الإمام إذا غاب ولو لحظة يسيرة يقع الفساد في الأرض كما قرره العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال: يُقال: "إن ستين سنة بإمامٍ جائزٍ خيرٌ من ليلةٍ بلا سلطان"، إن ستين سنة بإمامٍ جائزٍ خيرٌ من ليلةٍ واحدة بلا سلطان، قال: "والتجربة تدل على ذلك"، قلت: والله إن التجربة والله تدل على ذلك، والآن ترى في بعض البلدان كان عندهم حُكَّام ظلمة فأسقطوهم، فحصل الفساد والشر حتى أن الناس يقولون: أين حكم فلان؟

← وأنا أذكر لكم شيئاً يا أخوة يُصدِّق ما يُقرره علماء السلف وعلماء الشرع: أنا كنت مرة في بلد في المطار لأغادر إلى بلادي، ففجأة أطفئت أنوار المطار وجاء الجنود يتكلمون بلغة غير عربية ويقولون:

اخرج من المطار، فاتصلت بأحد الإخوة قلت: العسكر يحومون حولي وأنا لا أدري ما يقولون، قال: ابق في مكانك ولا تخرج البلد حصل فيها انقلاب على الرئيس، وهؤلاء الجنود يريدون إخراجك لتُصلَب وقد تُقتل، انتظرنى حتى آتيك أنا سأغامر وآتيك مع بعض الشباب إلى المطار، لا زالوا يُحاولون في أن أخرج وأنا مثل الكرسي جالس في مكاني حتى جاء الأخوة، ما أدري والله ساعة أو ساعتين المهم جاءوا.

ركبنا السيارة وأخذوني إلى حي فقير جداً في العاصمة، ونحن في الطريق رأينا السيارات مقلوبة، والمحلات مسلوقة وأخذوني إلى حي فقير، قلت: لماذا تأتون بنا هنا؟ قالوا: أن هذا الحي فقير فاللصوص ما يأتون إليه، اللصوص الآن اشتغلوا بالفنادق والمحلات وأحياء الأغنياء، أما هذا الحي ما أحد يأتي إليه فهو آمن مكان الآن، وسكنا في بيت الله العليم كيف كان وبقينا ثلاثة أيام والبلد في خوف وسرقات وقتل؛ فسبحان الله في لحظة في ساعات نُهب أكثر ما في البلد، فتذكرت كلام السلف والعلماء في هذه الحقيقة.

يقول الأمدي وهو أحد فقهاء الشافعية في هذه الحقيقة: "والذي يشهد لذلك وقوع الفتن واختباط الأمم عند موت ولاة الأمر من الأئمة والسلاطين إلى حين نصب مطاعٍ آخر"، يقول: إذا مات السلطان تبدأ الفتن ويظهر اللصوص ويظهر أهل الشر إلى أن يُنصب إمام يقوم بهذا الأمر. ويقول الألويسي: "الدين أُسٌّ - يعني أصل -، والملك حارسٌ، وما لا أُسَّ له فمهذوم، وما لا حارس له فضائع" فالناس بحاجة إلى دين وبحاجة إلى سلطان، حتى تُحفظ لهم مصالحهم.

ويقول شيخ الإسلام مبيِّناً أصل السلف في هذا الباب: "يجب أن يُعرَف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين والدنيا إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصالحتهم إلا بالاجتماع".

▲ أيضًا يتعلق بهذا الأصل - أعني لزوم الجماعة والسمع والطاعة لولي الأمر في غير معصية الله - أصلٌ آخر وهو: لزوم البيعة والوفاء بها؛ فمن أصول السلف: أنه لا بد للمسلم من بيعة لولي الأمر المسلم ما دامت ممكنة، وأن البيعة لازمة للمسلم، فلا يجوز للمسلم ألا تكون في عنقه بيعة مع

إمكانها، ما دام أن ولي الأمر المسلم موجود فيجب أن تكون في العنق بيعة، وأن تكون لازمة، أما إذا لم يمكن أن تكون في عنقه بيعة فإن الواجب عليه أن يعتقد أنه لو أمكن لبائع، هل هذا موجود؟ نعم. مثلاً إخواننا في أوروبا، المسلمون في أوروبا ما عندهم ولاية مسلمة، فلا يكون في أعناقهم بيعة؛ لأن البيعة إنما تكون لولي الأمر المسلم، ولكن يجب عليهم أن يعتقدوا أنه لو أمكنتهم البيعة لكانوا من أهل البيعة، طبعاً يا أخوة الأخوة في أوروبا يلزمهم أن يلزموا الأنظمة التي لا تخالف شرع الله في تلك البلدان، لكن ليست هناك بيعة؛ لأن البيعة من خواص ولي الأمر المسلم، أما من أمكن أن يُبايع المسلمين مثل الناس في إندونيسيا عندهم رئيس، فمتى ما تحققت الرئاسة وتمَّ الأمر وجب على المسلم أن يعتقد أن في عنقه بيعة وأن يلزم هذه البيعة.

مَنْ الذي يُبايع ولي الأمر؟ لأن بعض الجهلة إذا قلنا لهم: البيعة قال: لا أنا ما في عنقي بيعة، لماذا في عنقك بيعة؟ قال: أنا ما ذهبت وبايعت، أنا ما بايعت ولي الأمر، نقول: إن البيعة بإجماع أهل السنّة وإجماع السلف تكون بمبايعة أهل الحل والعقد، فإذا بايع أهل الحل والعقد لزمّت البيعة جميع الأفراد، أهل الحل والعقد هم العلماء والجيش في زماننا، فإذا بايعه العلماء وبايعه أهل الشوكة الذين هم في زماننا الجيش لزمّت البيعة لجميع الأفراد، ولا يلزم أن يذهب كل واحد يُبايع بنفسه، وإذا وقعت البيعة فإنها تُحيط العنق، فلا يجوز للإنسان أن يخلعها من عنقه.

جاء عبد الله بن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- إلى عبد الله بن مطيع حينما حصل من أمر الحرّة ما حصل في زمن يزيد بن معاوية، فقال عبد الله بن مطيع: "اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة -يعني ضعوا له وسادة حتى يجلس من باب الإكرام-، فقال ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-: إني لم آتِك لأجلس، أنا ما جئتك لأجلس على وسادة، أتيتك لأحدثك حديثاً سمعته من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقِيَّ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ» يعني إذا وجبت الطاعة ووجبت البيعة ولزمت، فمن نزعها بعد وجوبها لقي الله عاصياً بلا حُجَّةٍ يدفع بها عن نفسه.

وتمام الحديث: «وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» والمقصود يا أخوة: مَنْ مات وليس في عنقه بيعة مات على حال أهل الجاهلية وليس المقصود أنه كافر، لا، مات على حال أهل الجاهلية، فدلَّ ذلك على أن حال أهل الإسلام أن تكون في أعناقهم بيعة.

ويدل لعظم الأمر: ما جاء عن أبي هريرة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: **«كَانَتْ بُنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ»** يعني كانت السياسة في بني إسرائيل للأنبياء، **«وَأِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»** فلن يخلو يعني نبي حتى يسوس الناس، طيب ما دام أنه لا نبي بعده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فمن الذي سيسوس الناس، قال: **«وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ»** فالذين يسوسون الناس في أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هم الخلفاء، هم ولاية الأمر، قال: **«وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ»** معنى يكثرون يا أخوة أنهم يتنازعون الخلافة أو الولاية، فيوجد أميران يتنازعان في البلد.

قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ ما دام أنهم يكثرون ماذا نعمل؟ قَالَ: **«فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَلِأَوَّلٍ»** الأول منهم هو الذي له البيعة ففوا بها، **«أَعْطَوْهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ»** والحديث في [الصحيحين]، الحديث رواه الشيخان.

٨ يترتب على هذا الأصل الذي ذكرناها وهو الأصل الكلي: [لزوم جماعة المسلمين والسمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله] يترتب عليه: حرمة مخالفة ولي الأمر المسلم إلا إذا أمر بمعصية فإنه يُخالف في هذا الأمر خاصة، ومخالفة ولي الأمر المسلم على أنواع: النوع الأول: المخالفة في السمع والطاعة في معصية الله، إذا أمرك بمعصية الله، المخالفة هنا واجبة، فإذا أمر ولي الأمر بمعصية وجب على العبد أن يُخالف وألا يأتي بالمعصية مع بقاء السمع والطاعة في غيرها، **«عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»**.

النوع الثاني: مخالفة ولي الأمر المسلم بمعصيته في غير أمره بمعصية مع عدم منازعته في الولاية، -انتبهوا لما أقول؛ لأن بعض الناس يُلبسون على الناس في هذه الأصول- مخالفة ولي الأمر المسلم بمعصيته في أمره بغير معصية؛ يعني يأمر بغير معصية فيُخالف العبد ولي الأمر، لكن مع عدم منازعته في الولاية.

أمثل لكم وتفهمون إن شاء الله: يعني إذا أمر ولي الأمر المسلم بأن يسير الإنسان بسيارته في هذا الطريق بسرعة مئة كيلومتر في الساعة، ما الواجب على المسلم؟ ما الواجب يا أخوة؟ السمع والطاعة

والالتزام؛ لأنه أمرٌ بغير معصية الله، الذي يسير بسرعة مئة وعشرين كيلو في هذا الطريق عاصي لولي الأمر أو مطيع؟ عاصي لولي الأمر، لكن هل يُنازعه في الولاية ويخرج عليه؟

الجواب: لا، فهذه معصيةٌ وسيئةٌ، معصية يأثم بها الإنسان وسيئة من السيئات؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي» متفقٌ عليه، فبيّن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن معصية الأمير معصيةٌ له للرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومعصية الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيئةٌ.

النوع الثالث: مخالفة ولي الأمر المسلم في السمع والطاعة بمعصيته فيما أمر به مما ليس معصية مع منازعته في الولاية، فهو لا يسمع ولا يُطيع لولي الأمر ويُنازعه في ولايته، وهذه بدعة، التي قبلها قلنا: سيئةٌ ومعصيةٌ، هذه بدعة أشر من المعصية.

فإذا كانت هذه المنازعة من غير خروجٍ بالسيف وإنما بالخطب وتجييش العامة والمظاهرات ونحو ذلك فهؤلاء هم الخوارج القعدة، الذين يقولون: دعوتنا سلمية، ليس فيها سيف، ليس فيها دماء، لكن نحن نقوم على الحاكم حتى نسقطه من غير وجود ما يدعو إلى ذلك، وستتكلم إن شاء الله عما يدعو إلى ذلك، فيحثون على الخروج ويحشدون الجماهير لإسقاط النظام فهؤلاء هم الخوارج القعدة، وقد ذكر بعض أهل العلم كابن حجر وغيره أنهم من أحبب الخوارج، نعم هؤلاء لا يُقاتلون بالسيف؛ لأنهم ما خرجوا بالسيف، لكنهم نوعٌ من الخوارج.

وإن كانت هذه المخالفة مع المنازعة بالسيف وتكفير ولي الأمر المسلم، فهذا هو الخروج الخالص الذي تنطبق عليه الأحاديث، يخرج على ولي الأمر المسلم بالسيف مع التكفير، هذا هو الخروج الخالص، وليس في الخروج خيرٌ للأمة، وإنما الواجب الصبر والنصح ما دام أن ولي الأمر يتصف بصفتين: الإسلام والعقل، ما دام أن ولي الأمر لا زال مسلمًا لم يحكم علماء الأمة بكفره، أما التكفيريون هؤلاء ما لهم قيمة، هؤلاء يُكفرون كل أحد.

واحد منهم مرةً يقول لي أيام الحج يقول: رأيت الحجاج هؤلاء مليونين، قلت: نعم، قال: ما فيهم واحد عرف الله، كلهم كفار، هؤلاء لا قيمة لهم، ولكن ما دام أن ولي الأمر لا زال مسلمًا ولم يزل عقله معه، لا زال عاقلًا فإن ولايته باقية ولا يجوز الخروج عليه، أما طبعًا مع النصح والإرشاد.

أما إذا ذهب إسلامه فأعلن الكفر صراحة وقال: أنا تركت هذا الدين دين الإسلام، وأنا الآن مثلاً ملحد، أو حكم علماء الأمة بأنه قد كفر وارتد بعينه فإنه يجوز الخروج عليه بثلاثة شروط:

▪ الشرط الأول: أن يكون عند المسلمين قدرة على ذلك، فإن لم تكن عندهم قدرة فلا يجوز الخروج بل يجب الصبر.

▪ الشرط الثاني: ألا يترتب على الخروج عليه مفسدة أعظم من التقتيل، وذهاب المصالح، وسلب الأموال، وغير ذلك، فإن علمنا أن الخروج عليه سيترتب عليه فتن ومفاسد أعظم من مفسدة الصبر عليه فإنه لا يجوز الخروج عليه.

▪ الشرط الثالث: أن يوجد من يصلح للولاية؛ لأنه يا أخوة قد يكون عند المسلمين قدرة، وقد يرون أنه لا يترتب على الخروج عليه مفسدة أعظم، لكن ليس عندهم من هو مؤهل لقيادة البلاد، فإذا خرجوا عليه ستدخل البلاد في فوضى، فلا يجوز الخروج عليه، وهذا يشمل يا أخوة صور الخروج كلها سواء خروج الخوارج القعدة أو الخروج بالسيف؛ يعني الخروج بالمظاهرات، الخروج بالدعوة إلى الاحتشادات، الخروج بالسيف، ما تجوز إلا في حالة واحدة: وهي أن يذهب إسلام ولي الأمر ويثبت هذا.

ولذلك كم شرط؟ ثلاثة شروط:

١. أن يكون عند المسلمين قدرة.

٢. ألا يترتب على هذا الفعل مفسدة أعظم من مفسدة الصبر.

٣. أن يوجد من هو مؤهل للولاية.

وأما إذا ذهب عقل ولي الأمر فإنه يجب عزله؛ لأنه كيف يكون حاكماً وهو لا عقل له، فإذا ذهب عقله وجُن فإنه يجب عزله.

بقي لنا مع هذا الأصل أصول مهمة جداً سنكملها غداً إن شاء الله -عزَّ وجلَّ- في المجلس الثاني من مجالس هذه المسألة أو هذا الأصل وهو أصول السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، وهو المجلس الأول مساءً يعني غداً يوم الأربعاء إن شاء الله -عزَّ وجلَّ-، ونقف هنا.

[من أصول السلف-٢]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمرحباً بأخوتي وأحبتي في هذه اللقاءات من لقاءات الدورة الشرعية الأولى في جزيرة لومبوك حول [دراسات في المنهج]، وهذا هو المجلس الثالث من مجالس يوم الثلاثاء، وهو مجلس في موضوع [أصول السلف]، وهو المجلس الثاني في هذا الموضوع ذي الأهمية الكبرى؛ فإن من سار على الأصول نال الوصول، ومن حُرِمَ الأصول حُرِمَ الوصول، ومن خالف أصلاً من أصول السلف أو من أصول أهل السنة والجماعة خرج عن دائرتهم ولم يكن منهم.

وقد ذكرنا في المجلس السابق أن هناك أصولاً لأهل السنة والجماعة يضبطها حديث العرباض - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في وصية رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِرَىٰ اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

كـهـ وقلنا: إن هذه الأصول؛

أولها: تحقيق التوحيد؛

- فأهل السنة والجماعة أهل توحيد؛ له يُحققون، وله يلهجون، وحوله يُدندنون، وإليه يدعون، وكل شيءٍ إليه يردُّون، فالشأن عندهم كله متعلقٌ بالتوحيد.
- بخلاف غيرهم: فإما أنهم لا يُعنون بالتوحيد أصلاً، وإما أنهم يُعنون به على وجه الإجمال لا على وجه التفصيل، وإنما أنهم يُعنون به على غير عقيدة الصحابة من أشعرية أو ماتوريدية أو غيرها.

والأصل الثاني: تجريد الاتباع لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو الشق الثاني من الشهادتين:

(شهادة أن محمداً رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-) فيعتقدون اعتقاداً جازماً أن كل طريقٍ يوصل

إلى الله مسدود إلا من طريق محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأن كل من سلك طريقاً يبتغي به أن يصل إلى الله يُخالف طريق رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وليس من طريق محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإنه لا يصل إلى مبتغاه، وإنما يكون واقعاً في البدعة، ويكون عمله مردوداً عليه، فهذا أصل عظيم عند السلف عند أهل السنة والجماعة، بخلاف غيرهم من الفرق فإن هذا الأصل عندهم يختل بأوجه كثيرة.

وذكرنا الأصل الثالث الذي هو تابع لهذين الأصلين: وهو تحقيق العبادة لله كما أراد الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وقلنا: إن العبادة اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وأن التعبُّد هو التذلل لله لا لغيره على وجه المحبَّة والرضا، فلا بد في العبادة من تذللٍ ومحبَّةٍ ورضا، وأهل السنة والجماعة مع عنايتهم بالتوحيد وتجريد الاتباع لرسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فإنهم يدعون إلى الدين كله؛ يدعون إلى الصلاة، والصوم، والحج، والأخلاق، وغير ذلك؛ لأن هذا من صراط الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

بخلاف غيرهم فإنهم يدعون إلى ما يُحقق أفكارهم لا إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فيختارون مما يدعون إليه ما يُحقق مصلحتهم، فتجد أن هناك من لا يدعو إلا ما يتعلق بتنمية السياسة في النفوس، وإذا دعا إلى عبادة حولها إلى سياسة، ومن الناس من يدعو إلا إلى الفضائل بزعمه، وأما التوحيد وما فيه خلاف من المسائل وكنحو ذلك فهذا لا يُدعى إليه، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يدعون إلى تحقيق العبادة لله؛ لأنهم يدعون إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وذكرنا الأصل الرابع ووقفنا في أثناؤه: وهو السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله ولزوم الجماعة، وأهل السنة والجماعة يُقرِّرون هذا ويعتقدونه تديناً لا تقرباً إلى السلطة ولا جلباً للأموال، بخلاف غيرهم فإنهم لا يقررونه ولا يرونه أصلاً إلا إذا كانت لهم مصلحة في هذا الأمر، ويتلونون فيه بتلونٍ مصالحهم.

وذكرنا مما يتعلق بهذا الأصل أن من أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب: أنه يجب نصب الإمام وأنه يجب أن يكون للمسلمين إمامٌ وإلا أثموا جميعاً وكانوا في جاهلية من جهة أنهم على حال

من أحوال الجاهلية لا على أنهم كفار، وإن كان الحمد لله هذا لا يُعرَف أنه وقع في الأمة أنهم لم ينصبوا إمامًا.

وما يتعلق بهذا الأصل من الأصول: وجوب حفظ هبة ولي الأمر المسلم مع النصح له، من أصول السلف: أن ولي الأمر المسلم الذي ثبتت له الولاية تُحفظ هيئته، ولا تُضاع هيئته ولا يُهان، مع النصح له بما يليق بمقامه من غير كذبٍ له ولا عليه، انتبهوا: أهل السنَّة والجماعة ما يكذبون لولي الأمر حتى يُحبه الناس، ولا يُبرِّرون له أفعاله المخالفة لشرع الله ولا يُبرِّرون معاصيه، ولكنهم لا يجعلون الوقوع في المعصية سببًا للتهيج عليه وإثارة الفتن والقتال.

والنصيحة لولي الأمر أصل شرعي عند السلف؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعل النصيحة الدين فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ، إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ» والحديث عند مسلم في [الصحيح]، فجعل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- النصيحة لأئمة المسلمين دينًا وهو ما يسير عليه السلفيون: أن النصيحة لولي الأمر دين، فهم نصحة لولي الأمر لا يغشونه، وإنما ينصحونه ويُبينون له بالطرق الشرعية.

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «ثَلَاثٌ لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنُّصْحُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومِ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ» وهذا الحديث رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني وجماعة من العلماء، فيه: إخلاص العمل لله وهذا تكلمنا عنه في الأصل الأول، وتحقيق العبادة لله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولزوم الجماعة هذا هو الأصل الذي نتكلم عنه، وَالنُّصْحُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

وهذا الحديث يُسميه العلماء اختبار القلوب، إذا أردت أن تختبر قلبك هل هو سليم فاعرضه على هذا؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «لَا يُغْلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ» فلا يابها قلب امرئ مسلم بل يرضاها ويُحبها وينشرح لها:

■ أولها: «إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ» فينبغي على الإنسان أن يُفتش في قلبه هل قلبه في الأعمال

الله ويُخلص العمل لله أم هناك خللاً؟

▪ والخصلة الثانية: «النَّصْحُ لِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ» بعدم غشهم وبيان الحق لهم بما يليق بمقامهم. ولزوم الجماعة، ولكن النصح لولاية الأمر شرطه حفظ هيبة ولي الأمر. كان الصحابة أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رفاق -خفيفة- لا يلبسها في ذلك الزمان إلا الفُسَّاق، الوالي يخطب وعليه ثياب لا يلبسها إلا الفُسَّاق، فقام أبو بلال وهو من الخوارج وقال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفُسَّاق، هو صادق هو يلبس ثياب الفُسَّاق، هل قال له أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أحسنت بارك الله فيك، كلمة حق عند سلطان جائر؟ قال أبو بكر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "اسْكُتْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَنْ أَهَانَ سُلْطَانَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ أَهَانَهُ اللَّهُ» رواه الترمذي والبيهقي وحسنه الألباني.

فلا يجوز للمسلم أن يهين ولي الأمر المسلم ولو فعل معصية ولو كان ذلك بحجة إنكار المنكر، فإنه ليس من إنكار المنكر على ولاية الأمر أن تُظهر إهانتته وإذلاله.

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ عَادَ مَرِيضًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ عَادَ إِلَى مَسْجِدٍ أَوْ رَاحَ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ يُعَزِّزُهُ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَغْتَبْ إِنْسَانًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ» رواه ابن حبان والحاكم وصححه الألباني.

والمعنى أن:

▪ «مَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» في هذا المشروع الذي اجتمعت شروطه وانتفت موانع «كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ»؛ إن قُتِلَ كان شهيدًا، وإن رجع كان سعيدًا، إن قُتِلَ في سبيل الله كان شهيدًا، وإن رجع إلى أهله رجع بالأجور العظيمة فكان سعيدًا.

▪ «وَمَنْ عَادَ مَرِيضًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ» قال العلماء: إن مات عنده دخل الجنة؛ يعني إن ذهب يزور المريض فمات عند المريض يدخل الجنة، وإن رجع من عنده نال الأجر الكبير.

▪ «وَمَنْ عَادَ إِلَى مَسْجِدٍ أَوْ رَاحَ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ» نفس القضية قال العلماء: إذا مات في المسجد دخل الجنة، وإذا رجع إلى بيته رجع بالأجر العظيم.

▪ «وَمَنْ دَخَلَ عَلَى إِمَامٍ» يعني على أمير، محافظ ولاية ولا ولي أمر البلاد- «يُعَزَّزُهُ» يعني يُوقره ويُظهر هيئته من غير أن يُعينه على باطل ولا أن يُقره على باطل. انتبهوا يا أخوة: السلف كانوا ينهون عن الدخول على الأمراء في حال، ويدخلون على الأمراء ويحثون على ذلك في حال؛

- إذا كان ذلك من باب توقيره وإظهار هيئته لتحقيق المصالح الشرعية فهذا كانوا يفعلونه ويحثون عليه.
- أما إذا كان لموافقته على الباطل وإقراره على الباطل فهذا لا يجوز أن يُدخل عليه بسبب.

فأهل السنة والجماعة ما يرون الدخول على ولاية الأمر مع السكوت على الباطل والإقرار على الباطل، وإنما الدخول على ولاية الأمر لتعزيرهم وتوقيهرهم من غير كذب ولا إقرار على الباطل ولا تصديق على باطل.

▪ «كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ» إن مات دخل الجنة، وإن رجع رجع بالأجر.
▪ «وَمَنْ جَلَسَ فِي بَيْتِهِ لَمْ يَغْتَبْ إِنْسَانًا كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللَّهِ» يعني من اجتنب المجالس التي فيها معاصي الله وجلس في بيته فإنه يكون ضامنًا على الله.

فيستقر عندنا استقرارًا قطعياً أن حفظ هيبة ولي الأمر من أصول السنة وأصول السلف الصالح بالمنهج الرشيد الذي ذكرته لكم.

✦ يتفرّع عن هذا الأصل الذي هو السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية ولزوم الجماعة مع ما ذكرناه من الأصول، يتفرّع عن ذلك أمور:

⇐ الأمر الأول: أن معاملة ولي الأمر المسلم بما تقدّم عبادة شرعية، فليس سياسة تتبدل بحسب المصلحة، وإنما شرع متلقّى من الشرع، فالتعامل معها أو بها ليس مقايضة أعطني وأعطيك، وإنما أداء لحق شرعي سواء أعطاك حقك المقابل أو لم يُعطك، هذا هو الأصل عند أهل السنة، وقد قام

أحد الصحابة -رَضَوَانَ اللهُ عَلَيْهِمْ- فقال: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمْرَاءٌ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟

أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمْرَاءٌ، مَا شَأْنُهُمْ؟ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ نَبْذِلَ لَهُمْ حَقَّوْقَهُمْ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا مَا يُعْطُونَا حَقَّوْقَنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقام الرجل مرة ثانية فأعرض عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ثم قام الثالثة فقال النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ» وراه مسلم في [الصحيح]؛ يعني مع كونهم لا يُعْطُونَكُمْ حَقَّوْقَكُمْ فَأَعْطَوْهُمْ حَقَّوْقَهُمْ، اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ، ثُمَّ جَاءَتْ الْقَاعِدَةُ: «فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ».

بمعنى أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُرَبِّي فِينَا مِرَاقِبَةَ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَأَنَا إِذَا أَدِينَا الْحَقَّوْقَ الَّتِي عَلَيْنَا فَإِنَّ اللهُ سَيُثَبِّتُنَا عَلَيْهَا، وَهَمَّ إِذَا قَصُرُوا فِي حَقَّوْقِنَا فَإِنَّ اللهُ سَيُعَاقِبُهُمْ عَلَى هَذَا، فَلَيْسَ الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ مَقَابِضَةٍ وَإِنَّمَا الْمَسْأَلَةُ مَسْأَلَةُ آدَاءِ الْحَقِّ الشَّرْعِيِّ كَمَا أَرَادَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا» يَعْنِي سَيَكُونُ فِي الْوَالِيَّاتِ مِنْ بَعْدِي أَثَرَةٌ؛ أَيِ اسْتِثْنَاءٍ بِالْوِظَائِفِ وَالْأَمْوَالِ مَا تُعْطَى لِمُسْتَحْقِيقِهَا، «وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنَا؟ وَهَذِهِ يَا أُخُوَّةُ طَرِيقَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ يَرْجِعُونَ إِلَى السُّنَّةِ فِي مَعْرِفَةِ الْحُكْمِ، مَا يَحْكُمُونَ بِالْعَاطِفَةِ، مَا دَامَ أَنَا رَأَيْنَا أَثَرَةَ وَأُمُورًا نَنْكَرُهَا فَإِنَّا نَخْرُجُ عَلَيْهِ وَنُجْرِي الْمَظَاهِرَاتِ وَالْحَشُودِ، لَا، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ رَجَعُوا إِلَى الرَّسُولِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، مَا تَأْمُرُنَا إِذَا حَصَلَ هَذَا الْأَمْرُ؟ فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ» أَيِ تُوَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ اللهِ وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَلَى وِلي الْأَمْرِ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- الْحَقَّ الَّذِي لَكُمْ.

إِذْنِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ تَحْقِيقُ لِلشَّرْعِ وَلَيْسَ جَلْبًا لِلدُّنْيَا.

← الْأَمْرُ الثَّانِي الَّذِي يَتَرْتَبُ عَلَى الْأَصْلِ الَّذِي قَدَّمْنَاهَا -وهذه يا أخوة عدم فهمها سبب مشاكل للمسلمين في كل مكان، وهي قاعدة عند أهل السنة والجماعة والسلف- الأمر الثاني: أن ولي الأمر لا

يُنَازَعُ فيما جُعِلَ له، لا يُنَازَعُ في ولايته، بعض الناس يريد أن يكون والياً مع الوالي، يتحكّم في البلاد ويحكم في البلاد كما يحكم الوالي، وهذا غلطٌ عظيم، فإن كل شيءٍ يوكل إلى أهله ويُردُّ إلى أهله.

وفي قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] قال الإمام السعدي -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رحمةً واسعة-: "هذا دليلٌ لقاعدةٍ أدبية -يعني قاعدة أخلاقية ينبغي لزومها- وهي أنه إذا حصل بحثٌ في أمرٍ من الأمور ينبغي أن يُؤلَّى من هو أهلٌ لذلك ويُجَعَلُ إلى أهله -يُردُّ إلى أهله-، ولا يُتقدّم بين أيديهم فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ" فكل أمرٍ يُردُّ إلى أهله، ولا يُنَازَعُ ولي الأمر في ولايته وإنما يُنصَحُ ويُبيّن له والله سيحاسبه؛ إن اتق الله ما استطاع سليم، وإن لم يفعل فإنه مؤاخذٌ بين يدي الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

▲ مما يترتب على هذا الأصل من الأمور أمرٌ مهمٌّ جدّاً: وهو أن مصلحة نصب الإمام التي قلنا: إنها واجبة -أعني نصب الإمام قلنا: إنه واجب- مصلحة نصب الإمام قطعية لا يجوز تعطيلها، فيجب نصب ولي الأمر ولو كان هناك نقصٌ في الشروط، فلو تولّى من المسلمين إمامٌ وليُّ أمرٍ لا تتوفر فيه بعض شروط الولاية غير شرطين لا بد منهما دائماً ذكرناهما سابقاً: الإسلام والعقل، فإنه يكون والياً شرعياً، يعني قد يكون العلماء ذكروا شروطاً؛ فقد نكون في بلد بعض الشروط غير متوفرة، هل نعطل البلد من الولاية ونقول: لا، ما في شخص تجتمع فيه الشروط؟ الشروط غير الممكن يسقط إلا شرطي الإسلام والعقل، وما يتصور أنه يكون في البلد كله بدل المسلمين ليس فيه مسلم ولا عاقل. يعني مثلاً من الشروط التي يُطنطن عليها الحزبيون في إبطال ولايات الحكّام: أن من شرط الحاكم المسلم أن يكون قرشياً، لقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «الْأئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ» وهذا في الحقيقة نعم قول جمهور العلماء، جمهور العلماء يقولون: يُشترط في الحاكم أن يكون قرشياً، لكن هذا الشرط عند الإمكان، فإذا لم يمكن هذا الشرط فإنه يسقط، انتبهوا يا أخوة: هذا الشرط وغيره غير الإسلام والعقل إنما يكون عند الإمكان، فإذا لم يمكن فإنه يسقط.

يعني إذا كنا في بلد ما في أحد من قریش أو فيه لكن إما سفيه أو لا يُحسن تدبير الأمور فإنه يسقط هذا الشرط عند أهل العلم، وكذلك يسقط إذا تحققت الولاية؛ يعني إنما يكون ذلك عند الاختيار، يعني حتى لو كان ممكناً لكن تولّى غير قرشي وأصبح والياً واستتم له الأمر فإنه ثبت له الولاية. إذن شروط الولاية التي يذكرها العلماء غير الإسلام والعقل مشروطة بالإمكان وعند الاختيار، أما إذا لم تُمكن سقطت، وإذا كان ولي الأمر قد حصل على الولاية؛ إما بالسيف أو بغيره كما سيأتي إن شاء الله فإن هذه الشروط تسقط.

ولذلك قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ» هذا فقد شرطين: القرشية، والحرية، ومع ذلك يقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ» ما قال: أمروا عبداً لا، قال: «وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ» أصبح أميراً عليكم؛ إما مثلاً تغلب مع جماعته مثل المهاليك في ولايتهم، وإما عينه الحاكم مثلاً لو فرضنا أنه موجود الآن عينه الحاكم محافظاً ولا أميراً ولا والياً أو نحو ذلك، هو ابتداءً لا يجوز للحاكم أن يفعل هذا، لكن لو فعل فإنه بالنسبة لنا تكون له الولاية ونسمع ونطيع، «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ». إذن شروط الولاية التي يُقررها العلماء في السياسة الشرعية إنما تكون عند الإمكان وعند الاختيار، وإلا سقطت عند أهل العلم إلا الإسلام والعقل.

✦ الأمر الثاني عند أهل السنة والجماعة: أن من وصل إلى الولاية واستتب له الأمر ولو بطريق غير مشروع فيما يراه المسلم فإنه ثبت له الولاية، يعني يا أخوة: فرق بين التولية وأداء حقوق الولاية؛ التولية: لا يجوز أن يولي بطريق غير مشروع، ما يجوز أن نولي بالسيف ونخرج على الحاكم الأول ونولي شخصاً، أو بالضغط حتى نولي الشخص الذي نحب يتنازل عن الحكم له، هذا ما يجوز. كذلك مثلاً في اعتقادنا نحن أنه ليس من الطرق الشرعية لتولية الحاكم الانتخابات، لكن إذا وجدت في البلد وكانت التولية تتم بها، وإذا انتُخب الرئيس سلم له الجيش وأُعطي الولاية، فإن نتيجة الانتخابات عندنا تُقر وتثبت الولاية لمن وصل بطريق الانتخابات، مع أنهم لو استشارونا لقلنا: لا تسيروا في هذا الطريق، هذا ليس من الطرق الشرعية للوصول إلى الحكم، لكن إذا أخذ هذا طريقاً ووصل الحاكم وسلم له الجيش وأهل الحل والعقد في البلد فإنه ثبت له الولاية.

لو جاءت جماعة قالوا: نريد أن نخرج بالسيف على ولي الأمر، نريد أن نسقطه ونأخذ الولاية لقلنا لهم: حرام لا يجوز، هذا خروج ومن أقبح الذنوب، ما سمعوا كلامنا، ذهبوا يُقاتلون وفعلاً استولوا على الحكم وتأمّر واحدٌ منهم واستتبَّ له الأمر وسلّم له الجيش، فإنه تثبت له الولاية مع أن في الطريق نقول: إنه حرام، هذا أصل أهل السنّة والجماعة.

يقول الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ-: "ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفةً وسُمي أمير المؤمنين فلا يحلُّ لأحدٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً برّاً كان أو فاجراً"، يقول: (ومن غلب عليهم) أي على المسلمين (بالسيف) أي من المسلمين، (حتى صار خليفةً وسُمي أمير المؤمنين) يعني هذا على الألقاب التي كانت موجودة في ذلك الوقت، (فلا يحلُّ لأحدٍ) أي من أهل الولاية (يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت -ليلة يعني- ولا يراه إماماً) سواء كان هذا المتغلب برّاً أو كان فاجراً). واحتج الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- بما ثبت عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وعن أبيه أنه قال: "وأصليّ خلف كل من غلب" يعني أصليّ خلف الوالي الذي تغلب ولو بالسيف، وهذا أثرٌ ثابتٌ عن ابن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-.

ويقول الحافظ بن حجر في [فتح الباري] نقلاً عن ابن بطّال: "أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خيرٌ من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء" يعني لما في ذلك من تحقيق المصالح العامة، إلى أن قال: "ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليه" يعني ما دام أنه حصلت له الولاية ولو بالتغلب يجب أن تثبت له الولاية ونسمع ونطيع في غير معصية الله إلا إذا وقع في الكفر الصريح أو كان كافراً أصلاً، توَلَّى وهو كافر على المسلمين، فإنه لا يُقرُّ على الولاية بما ذكرنا من الشروط:

- أن تكون عند المسلمين قدرة.
- وألا يترتب على عزله وإخراجه مفسدة أعظم من الصبر عليه.
- وأن يوجد من المسلمين من هو أهل للولاية.

وذكرنا سابقاً أن هذه الشروط هي التي تُحقق مصلحة المسلمين؛ لأنه لو فرضنا ليس عندهم قدرة وعندهم قدرة لكن ليس عندهم من هو مؤهل ستدخل البلاد في الفوضى؛ في الصومال مثلاً لما رأوا أن سياد برِّي خرج من الإسلام وأطاحوا به كان عندهم قدرة لكن لم يكن هناك من هو مؤهل للسيطرة على البلاد والأخذ بالزمام، إلى اليوم وهم في فوضى، سنين طويلة ما استقرت لهم ولاية على البلد كله، تقوم مجموعة على جزء من البلد، ومجموعة على جزء من البلد.

فإذا ظهر منه الكفر الصريح أو كان كافراً فإنه لا يُقر على الولاية ولو تغلب إذا كان عند المسلمين قدرة على إزالته، وعلموا أنه لا تترتب على هذا مفسدة أعظم من الصبر عليه، وكان عندهم من هو مؤهل لذلك.

يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ-: "الأئمة مجتمعون من كل مذهب -كما قال ابن بطال: الفقهاء مجتمعون- على أن من تغلب على بلدٍ أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء".

✦ الأمر الثالث الذي يترتب على الأصول التي ذكرناها ويحفظ مصالح المسلمين وعليه السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-: أنه لا يجوز تعطيل ولاية أمور المسلمين في هذا الزمان بحجة تفرُّق البلدان، بعض الناس يأتيك ويقول: نعم ولي الأمر المسلم يجب أن يُسمع له ويُطاع، لكن هذا هو الخليفة الذي يكون على جميع المسلمين، أما ولي أمر على إندونيسيا، وولي أمر على ماليزيا، وولي أمر على سنغافورا، وولي أمر على السعودية، وولي أمر على مصر، لا، وهذا خطأ في التقرير، بعضهم مخطئ وبعضهم ضال؛ يعني بعض الناس أخطأ في المسألة مع صحَّة أصوله، وبعض الناس لا ضال أصلاً أصوله فاسدة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "السنة أن يكون للمسلمين إمامٌ واحد -يعني لجميع المسلمين-، والباقون نوابه" يعني يكون ولي الأمر الأكبر واحد ثم يكون له نواب على كل بلد كما في زمن أبي بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وعمر وعثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-، وعليّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-.

قال شيخ الإسلام: "فإذا فُرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية بعضها وعجز من الباقيين أو غير ذلك" يعني إذا فرضنا أن الأمة خرجت من أن يكون لها إمام واحد؛ إما لمعصية بعضها في بعض الأقطار قام شخص واقتطع هذا القطر وصار أميراً فيه دون الخليفة كما هو في زمن الأمويين بالنسبة

للأندلس، فإن الأندلس في زمن الأمويين خرجت عن حكم الأمويين وسار لها حكمٌ مستقل، وهكذا في تاريخ المسلمين.

"إِذَا فُرِضَ أَنْ الْأُمَّةَ خَرَجَتْ عَنْ ذَلِكَ لِمَعْصِيَةِ بَعْضِهَا وَعَجَزَ مِنَ الْبَاقِينَ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَكَانَ لَهَا عِدَّةٌ أئِمَّةٌ -يعني في أماكن مختلفة مثل حالنا اليوم- لكان يجب على كل إمامٍ -يعني في ناحيته- أن يُقيم الحدود ويستوفي الحقوق" يعني أن تكون له الولاية وحكم الولاية في مكانه.

ويقول ابن الأزرقي المالكي: "إن شرط وحدة الإمام بحيث لا يكون هناك غيره لا يلزم مع تعذر الإمكان" ولا شك أنه في زماننا متعذر، والنظر الصحيح يدل على ذلك فأنا لو قلنا مثلاً: إنه لا ولاية مع هذا التفرق ما النتيجة؟ إنما هي الفوضى وتعطيل المصلحة القطعية لنصب الإمام.

✦ الأصل الرابع من أصول أهل السنة والجماعة التي يضبطها لنا حتى نحفظها حديث العرباض بن سارية -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-:

- الأصل الأول: تحقيق التوحيد.
 - الأصل الثاني: تجريد الاتباع.
 - الأصل الثالث: تحقيق العبادة لله على مراد الله.
 - الأصل الرابع: السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله ولزوم الجماعة.
- ✦ الأصل الخامس الذي دلَّ عليه الحديث: الحذر من البدع وأهلها؛ لأن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال: «وَأَيَّاكُمْ -يعني أحذركم- وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ومعنى الحديث: أحذركم من الإحداث، إياكم أن تُحدثوا بدعةً فإنها لا تقودكم إلا إلى الضلال، فمن أصول السلف: الحذر من الابتداع والتحذير منه، والتحذير من البدع، وبيان أن البدع من أصول الشر في الأرض، من أصول وقوع الشر في الأرض والفساد في الأرض وجود البدع، والبدع مميّزةٌ للسنة عند الفرد والجماعة، إذا أُحييت بدعة أميتت سنة، ومن أُشرب قلبه حب البدع لا تجد في قلبه حب السنن.

ولذلك تجد المبتدعة في الغالب ما يُحبون اللحن، تجدهم حريصين على البدعة وكذا لكن اللحية ما يحرصون عليها، مع أن اللحية بالإجماع صفة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بالإجماع النبي -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان ملتجياً، ما أحد يُنازع في هذا الأمر، لكن ما تجد عندهم محبة لهذا، بل إذا رأوا الشخص الملتجى ترى البغض في وجوههم، وترى الاستحقار في وجوههم وأنت تسير: أسامة بن لادن، أسامة بن لادن، على سبيل الذم والاستهزاء.

سبحان الله! حب السنن يأخذ بعضه ببعض، فإذا تربى الإنسان على حب السنة كلما علم سنة أحبها، أما إحياء البدع فهو أولاً يُميت في نفس الإنسان حب السنة، فتجده حريصاً حريصاً على البدعة يبذل فيها الغالي والنفيس، ولكن لا تجد السنة تُحرّكه مقدار شعرة، وكذلك في المجتمع. ولذلك من أصول أهل السنة والجماعة: الحذر من البدع، الإحداث، فهم لا يُحدثون يُحدثون من الإحداث، ويبيّنون البدع ويردونها، طبعاً مع مراعاة الأصول الشرعية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يعني يا أخوة أحياناً تكون البدعة غالبية في البلد والأمر بيد أهل البدع، لو أنكرتما لسدوا عليك طريق السنة، أنا أقول لكم بكل صراحة: مثلاً أنا عندي معهد وأنا في منطقة أهل البدع لهم شوكة؛ إما الولاية في أيديهم، والجيش في أيديهم، والناس أكثرهم معهم، لكن الله يسّر لي أن أفتح معهداً سلفياً في هذا المكان وجاء المولد، وقمت وقلت: المولد بدعة وضلالة ومحدث، قلت حقاً وأنكرت بدعة، لكن قام هؤلاء عليّ وأحرقوا معهدي، أو أجلونني من المنطقة، أو أغلقوا معهدي، هنا لم تُطبّق القاعدة الشرعية في أنه إذا اجتمعت المفاصد ارتُكب أخفها لدفع أعلاها، وهنا الذي يُرتكب ليس المشاركة، ما أذهب أرقص معهم وأغني معهم في الموالد، ولكن أسكت مع إنكاري بالقلب وأتخين الفرصة لإنكار المنكر متى ما تيسر ذلك.

أقول هذا يا أخوة؛ لأن هذا الباب يجب النظر فيه إلى القواعد الشرعية فيه، وألا تُحمّل جميع البلدان على طريقة واحدة، السعودية ما هي مثل مصر، وإندونيسيا ليست مثل مصر، وهكذا، فالأصل هو إنكار البدع وردّها والتحذير منها، لكن إذا ترتب على ذلك مفسدة أعظم من وقوع البدعة فإن المسلم يسعه السكوت، ما يُحسّن البدع من أجل المصلحة، يقول: المولد طيب ما شاء الله؛ فيه خير، ويذكرون الله، لا، ما يجوز، أو يُشارك معهم ويذهب في يوم ثلاثة عشر ربيع من الصبح ومعه ماعون

فيه أكل ويُشارِكهم، لا، ولكن يجوز له أن يسكت في الحال التي ذكرناها مع بغضه بقلبه وإنكاره بقلبه على أنه يتحَيَّن الفرصة لإنكار هذا باللسان.

أقول هذا؛ لأن بعض إخواننا السلفيين إذا سمعوا منهج السلف في هذه القضية وشدَّتْهم في قضية البدع يتحمسون، فربما أوفعوا على أنفسهم شرًّا ومنعوا خيرًا عظيمًا بسبب هذا، وقد يكون يُضاع القانون أيضًا، يعني يكون بعض الإنكار بالنسبة للقانون جريمة، فلو أخذ إلى المحكمة لحُكِمَ عليه، فإِراعَى هذا الأمر ولا يوقع الإنسان نفسه فريسةً لأعدائه.

✽ من أصول أهل السنة والجماعة في هذا الباب: الرد على أهل البدع، ويرون ذلك من الفرائض ومن الجهاد في سبيل الله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة" (أهل المقالات المخالفة) مثل الذين يقولون: القرآن مخلوق، (والعبادات) مثل الموالد وغير ذلك.

"فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجبٌ باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبُّ إليك أو يتكلم في أهل البدع؟" أيها أحبُّ إليك: رجل يصوم ويصلي ويقرأ القرآن ويعتكف ومجتهد في العبادات لكن ليس له في بيان البدع والرد على أهلها والتحذير منها، أو الرجل يرد على أهل البدع؛ يعني مع عبادته لكنه يرد على أهل البدع، يتكلم في أهل البدع. فقال الإمام أحمد -رَحِمَهُ اللهُ-: "إذا صام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل"؛ لأنها مصلحة متعدية لعموم المسلمين، ولا شك أن التحذير من البدع والرد على المبتدعة فرض كفاية، فإذا قام به من كيفية سقط الإثم عن الباقي، وهذه قضية مهمة يا أخوة: لا يلزم الجميع أن يتكلموا ولكن يلزم الجميع ألا يجعلوا عدم الإنكار منهجًا لهم، لكن إذا رأى المسلم أن عددًا من إخوانه قد حدَّروا وبيَّنوا حتى قامت الحجة وبيان الأمر وحصل المقصود فإنه يسعه أن يسكت، لكن أن يكون منهجه السكوت فلا نراه يُحدِّر من أهل البدع أبدًا يقول: خلاص حدَّ من حدَّ، فهذا غلط منهجي.

فرق يا أخوة بين آحاد المسائل وبين أن يجعل الإنسان ذلك منهجًا له، فهو مراعاة لأهل البدع حتى يصبح إمامًا، ويعتبر ما يُنكر البدع ولا يُحدِّر منها، وهذا منهجه، هذا غلط، لكن أنا موجود ورأيت

بعض إخواني قد أنكروا وبيّنوا وقامت الحجّة، خلاص الحمد لله هذا فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقيين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- معلقًا على كلام الإمام أحمد: "فَيَنْ -أي الإمام أحمد- أن نفع هذا عامٌ للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تقهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشريعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم واجبٌ على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يُقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين لا شك" البدع فيروس مفسد للدين، "وكان فساد أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب على ديار المسلمين"؛ لأن هذا فساد للأصل، فسادٌ للدين.

وقال أيضًا -رَحِمَهُ اللهُ-: "وإذا كان الرجل مبتدعًا يدعو إلى عقائد تخالف الكتاب والسنة ويُخاف أن يُضِلَّ الناس بذلك، بيّن أمره للناس ليتقوا ضلاله وليعلموا حاله، وهذا كله -انتبهوا- يجب أن يكون على وجه النصيحة وابتغاء وجه الله تعالى، لا لهوى الشخص مع الإنسان -ليس لأنه يُبغضه بذاته يريد أن يسقطه، لا، هو نصيحة وابتغاء وجه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مثل أن تكون بينهما عداوةً دنيوية أو تحاسدًا أو تباغضًا أو تنازعًا على الرئاسة فيتكلّم بمساوئه مظهرًا للنصح وقصده في الباطن الغضب من الشخص" هو يتكلّم على أنه مظهر للنصح ويُريد السنة والله يعلم من قلبه أن يُريد كسر هذا الشخص بعينه؛ لأنه عدوه، أو لأنه منافسه على الإدارة فيريد أن يُبعده حتى يصبح هو المدير، فإن هذا حرام لا يجوز.

ولذلك كما يقول العلماء: قد يتكلّم في الرجل الواحد رجلان؛ أحدهما يؤجر والآخر يُؤذَى بحسب النية؛

- فمن تكلم في الرجل من أهل البدع على وجه النصيحة للمسلمين ولابتغاء وجه الله وإقامة الدين فإنه يؤجر.

- ومن تكلم في نفس الرجل على غير وجه النصيحة وليس لابتغاء وجه الله فإنه يؤزر وينال الوزر.

فهذه قضية مهمة.

وقال الصابوني في بيان علامات أهل السنة: "ويُبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يُحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يُجالسونهم، ولا يُجادلونهم في الدين، ولا يُناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرّت بالآذان وقرت في القلوب فضرت وجرّت إليها من الوسوس والخطرات الفاسدة ما جرّت، وفيه أنزل الله قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨]".

← يُبَيِّن الصابوني أصل السلف في هذا الباب:

أولاً: (يُبغضون أهل البدع) بقلوبهم من أجل بدعهم، (ولا يصحبونهم) لا يتخذونهم صحباً، (ولا يسمعون كلامهم، ولا يحضرون مجالسهم) لا يُجالسونهم، (ولا يُجادلونهم في الدين، ولا يُناظرونهم) أي أمام العامة؛ لأن مناظرة أهل البدع أمام العامة نثرٌ للشبه ونشرٌ لها، ولذلك من الخطأ ما يفعله بعض الأخوة من أن يأتي مناظرة في التلفزيون وينشر هذا للعامة، ويأتي خصمه ويُقرّر ما يُحب، يُمكن بعض العامة ما قد سمعوا هذه الشبه ويقولون: لا هذا كلامه صحيح؛ لأن ما عندهم ميزان علمي، والغالب أن أهل البدع يُخاطبون العواطف، وأهل السنة يُخاطبون العقول بالعلم، وقد تقر الشبه في القلوب.

ولذلك الصواب أن مناظرة أهل البدع مناظرةً علنية أمام العامة غير مشروعة، وإنما تُشرع مناظرة أهل البدع في حالتين:

- الحالة الأولى: عند أهل البدع، يذهب المتمكّن من العلم وليس الضعيف إلى أهل البدع في أماكنهم فيُنظرونهم أمامهم هم، أمام أهل البدع، كما فعل ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- مع الخوارج.
- والحالة الثانية: أن تكون شبههم قد انتشرت بين الناس وصارت معلومة فيُنظرونهم المتكّن ليكسر شبههم المعروفة؛ يعني عرفنا أن الشبه أصبحت منشرة بين الناس، هنا لا بأس من المناظرة العلنية أمام العامة؛ لأن المحذور قد زال؛ لأن الشبه أصلاً عُرِفَتْ وانتشرت بين الناس.

وقال الأصبهاني: "على المرء محبة أهل السنة في أي موضع كانوا" وهذا والله الواجب وهذا الذي ينبغي أن نفعله، الرجل من أهل السنة في إندونيسيا يُحب الرجل من أهل السنة في السعودية، يُحب الرجل من أهل السنة في مصر، يُحب الرجل من أهل السنة في أمريكا، يبلغه عن الرجل أنه صاحب سنة فيُحبه؛ لأنه صاحب سنة، وينبغي أن نقوّي هذا يا أخوة بيننا.

للأسف مسألة المحبة بين أهل السنة أصبحت تضحك حتى في المدينة الواحدة، التواصل والاجتماع والتشاور بدأ يضعف حتى بين الدعاة الذين على منهج السلف الصالح، ربما هذا في هذا المحي وهذا في هذا المحي لا يلتقيان ولا يتواصلان ربما السنة كاملة، وهذا في الحقيقة ينبغي أن نُعالجه.

✻ من أصول أهل السنة وعلاماتهم: محبة أهل السنة في أي مكان فكيف بالجار القريب؟! كيف بمن في محبته مصلحة أخرى من التعاون على الدعوة، وردّ الباطل، والقوة أمام أهل الباطل؟ لا شك أنه ينبغي أن يُعتنى بذلك.

قال: "وعلى المرء محبة أهل السنة في أي موضع كانوا رجاء محبة الله له، وعليه بغض أهل البدع في أي موضع كانوا حتى يكون ممن أحب في الله وأبغض في الله، قال: ولمحبة أهل السنة علامة، ولُبغض أهل البدع علامة؛ فإذا رأيت الرجل يذكر مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وعبد الرحمن الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، ومحمد بن إدريس الشافعي، والأئمة المرضيين فاعلم أنه بخير".

ونحن في كل زمان نقول هذا: إذا رأيت الرجل يذكر الألباني وابن باز والعثيمين والوادعي -رحمهم الله- فاعلم أنه على خير، وكذلك من الأحياء يذكر مثلاً الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-، وسماحة المفتي -حفظه الله-، والشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-، والشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله-، إذا رأيتهم يذكرهم بخير ولا يُشترط أن يوافقهم في كل ما يقولون، لكن يذكرهم بخير ويثني عليهم فاعلم أنه على خير.

قال: "وإذا رأيت الرجل يُخاصم في دين الله، ويُجادل في كتاب الله، فإذا قيل له: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: حسبنا كتاب الله، فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيت الرجل إذا قيل له: لما لا تكتب الحديث؟ يقول: العقل أولى فاعلم أنه صاحب بدعة، وإذا رأيت يمدح الفلسفة -والفلسفة

المقصود بها عند المتقدمين المنطق - ويمدح الذين أَلَّفوا الكتب فيها فاعلم أنه ضال، وإذا رأيت الرجل يُسَمي أهل الحديث حشوية أو مجسِّمة أو ناصبة فاعلم أنه مبتدع".

طبعًا يا أخوة أهل البدع دائمًا يرمون أهل السنَّة بالأوصاف المتنفرة وهذه من علاماتهم، ويُريدون أن يفصلوا أهل السنَّة عن منهج السلف، مثلًا يأتون في مسألة الأسماء والصفات فيقولون: الناس ثلاثة مناهج:

▪ السلف ومنهجهم التفويض في الصفات، ما يتعرَّضون لها، يؤمنون بها ألفاظًا بدون المعاني، هكذا يظنون، ومنهج السلف أسلم.

▪ والخلف وهم الذين يؤوِّلون الصفات على المعاني التي يُريدون، ويقولون: ومنهج الخلف أعلم وأحكم.

▪ والمجسِّمة والحشوية - وبعضهم يقول: الكفرة - وهم الذين يُثبتون الصفات على ظاهرها على ما يليق بجلال الله، وهم أهل السنَّة والجماعة هذا قديمًا.

واليوم تسمع من الألقاب التي يُطلقها أهل البدع على أهل السنَّة للتفنير منهم، فإذا رأيت الرجل يُطلق لسانه على من عُرفوا بالسنَّة ولم يُكذِّب فعلهم قولهم؛ فاعلم أنه صاحب هوى، واعلم أنه صاحب بدعة.

❖ ومن أصول السلف: ترك مجالسة أهل البدع، وكانوا يُكررون لا تُجالس صاحب بدعة فإنه يُمرض قلبك.

قال أبو الحسن الأشعري والذي منَّ الله عليه من الخروج من دائرة أهل البدع إلى دائرة علماء أهل السنَّة، وإن كان الأشاعرة أبوا أن يسيروا خلفه في هذا الطريق وبقوا في الدائرة الثانية التي كان فيها، يقول في كتابه [مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين]: "جملة معتقد أهل السنَّة أصحاب الحديث" وما قاله في هذا: "ويرون مجانبة كل داعٍ إلى بدعة".

وقال ابن أبي زمنين -رحمه الله-: "ولم يزل أهل السنَّة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم، ويُخوفون فتنهم، ويُجربون بخلافهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنًا عليهم" يعني ولا طعنًا مذمومًا عليهم.

وقال سفيان الثوري: "من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة فقد خرج من عصمة الله ووكل لها" يعني لا يزال الرجل صاحب السنّة محفوظاً بحفظ الله؛ فإذا أعطى أذنه لأهل البدع وكل إلى ذلك. ولذلك يا أخوة بالتجربة أنه من اقترب من أهل البدع ابتعد عن أهل السنّة ووقع في البدع، والنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي، وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ اسْتَشْرَفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ» مقصود الحديث: أنك كلما كنت بعيداً عن أهل الفتن كلما كنت محموداً، وكلما سلّم لك دينك.

وقال الفضيل بن عياض: "لا تجلس مع صاحب بدعة، فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة".

- في كلام سفيان الثوري هو خوف الفتنة.
- في كلام الفضيلة: خوف نزول اللعنة؛ لأن إذا جالستهم فأنت منهم وهم أهل وأحرى أن تنزل عليهم لعنات الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.
وقال -رَحِمَهُ اللهُ-: "من عظم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام".

فالسلف الصالح -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- كانوا يُحذِّرون من مجالسة أهل البدع وهذا الأصل: أن السلفي يتمايز عن أهل البدع والأهواء ولا سيما الدعاة إلى البدع وأنه لا يُجالسهم، والكلام يا أخوة هنا عن مجالسة أهل البدع الذين يدعون إلى البدع، أو الذين يفعلون البدع حال فعل البدعة حتى لو ما كانوا دعاة، لكن مجالسة عوام أهل البدع في غير حال فعلهم للبدع فهذا أمر اجتهادي؛ إنسان عنده جيران من العوام يُجالسهم ليتألف قلوبهم ويُقرّبهم إلى السنّة لا حال كونهم يفعلون البدعة فإن هذا أمر اجتهادي يدخله الاجتهاد.

أما مجالسة دعاة البدع الذين يدعون إلى البدع، ويُنظِّرون لها، ويقومون بالدعوة إليها فإن هذا لا يجوز، مجالسة أهل البدع من العوام الذي لا يدعون إلى البدع لكن حال فعلهم للبدع فإن هذا لا يجوز، أما مجالسة عوام أهل البدع حال كونهم لا يفعلون البدعة فإن هذا الأمر أمر اجتهادي يدخله الاجتهاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "قال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل عليّ أن أقول: فلان كذا وفلان كذا" مثلما يفعله كثير من إخواننا اليوم، يقول: والله يا أخي أنا ثقيل عليّ أن أحذّر من

فلان، أنا أدرّس وأُعلِّم، لكن أقول: فلان مبتدع، أو فلان فيه كذا، أو فلان فيه كذا، هذا يا أخي ثقيل عليّ، أنا ما أستطيع، والغالب أن هذا من وسوسة إبليس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "قال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل عليّ أن أقول: فلان كذا وفلان كذا، فقال الإمام -رَحِمَهُ اللهُ-: إذا سكت أنت وسكت أنا، فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟! " نحن نضر الجهلة المساكين ونضرهم بهذا السكوت؛ فهذا أصل من أصول أهل السنّة والجماعة، والباب فيه كلام كثير للسلف، ولكن يكفي ما يحصل به المقصود من تقرير هذا الأصل.

✻ والأصل الأخير من الأصول التي حواها حديث العرباض: هو الأخذ بمفهوم السلف ومنهج السلف، وهذا هو الذي نقرره في الموضوع الأول منهج السلف الصالح، وشرعنا اليوم في حكم الأخذ بمذهب السلف، وذكرنا بعض الأدلة، وغداً إن شاء الله نُكمل الموضوع.

هذه الأصول التي حواها حديث العرباض بن سارية، نحن إنما ربطناها بحديث العرباض بن سارية لنحفظها، وإلا فأصولها كثيرة من الكتاب والسنّة وعليها أهل السنّة والجماعة، هناك أصول أخرى سنذكرها غداً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- في مثل هذا الوقت من يوم غدٍ يوم الخميس إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ولعلنا نقف هنا والساعة الآن الساعة السادسة وعشر دقائق، فبقي خمس دقائق من الوقت فلعلنا نُجيب عن سؤال أو سؤالين والله أعلم.

[من أصول السلف - ٣]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمرحباً بإخواني الأحبة في هذا اللقاء في المجلس الثالث من مجالس يوم الخميس من أيام الدورة الشرعية الأولى في جزيرة لومبوك [دراسات في المنهج]، وهذا المجلس في كل يومٍ مخصّص للكلام عن أصول السلف، أصول أهل السنّة والجماعة التي فيها العدل والرحمة والخير والبركة والمصلحة كلها، والذي من لزمها كان سلفياً، ومن ترك واحداً منها أو أكثر خرج من دائرة أهل السنّة والجماعة وصار من أهل الفرقة وأهل البدع.

وَالْيَوْمَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- نَتَكَلَّمُ عَنْ بَعْضِ الْأَصُولِ الْمَهْمَةِ مِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: **❖** فَمَنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: أَنَّهُمْ لَا يُكْفَرُونَ إِلَّا مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يُكْفَرُونَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا مَا دَلَّ الدَّلِيلُ عَلَى أَنْ فَعَلَهُ كُفْرًا وَأَنَّهُ يَكُونُ بِذَلِكَ كَافِرًا، أَمَا الْكِبَائِرُ فَإِنَّهُمْ لَا يُكْفَرُونَ بِهَا وَإِنَّمَا هِيَ عِنْدَهُمْ تَنْقِصُ الْإِيمَانَ.

أهل السنّة والجماعة قلوبهم قلوبٌ سليمة مضيئة، يُحِبُّونَ الْخَيْرَ وَيَفْرَحُونَ بِكَثْرَةِ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَلَا يُرِيدُونَ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُخْرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، كَمَا أَنَّهُمْ أَهْلُ عَدْلِ فَلَا اعْتِدَاءَ عِنْدَهُمْ وَلَا ظُلْمَ، فَلَا يَحْكُمُونَ عَلَى أَحَدٍ بِالْكَفْرِ؛ لِأَنَّهُمْ يُبْغِضُونَهُ، أَوْ لِأَنَّهُ يُخَالِفُهُمْ، أَوْ لِأَنَّهُ يُوَالِي السُّلْطَةَ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يُكْفَرُونَ مَنْ كَفَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَكَفَّرَهُ رَسُولُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَدَلَّ الدَّلِيلُ الْبَيِّنُ الْوَاضِحُ أَنَّهُ كَافِرٌ، فَمَنْ أَتَى بِالشَّهَادَتَيْنِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ حُكْمَ لَهُ بِالْإِسْلَامِ، وَيُثَبَّتُ لَهُ عَقْدُ الْإِسْلَامِ، وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى الشُّبُهَاتِ فَيُتَّهَمُ بِأَنَّهُ لَمْ يُسَلِّمْ حَقِيقَةً مَهْمَا كَانَتْ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ.

يقول النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا فَعَلُوا قَالُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ» النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ» أي الذين أذن الله في قتالهم أو أمر بقتالهم، إلى حدّ ينتهي

عنده القتال وهو أن يقولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فمن قال: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثبت له الإسلام وأحكام الإسلام فيُعصم دمه وماله إلا إذا أتى بمعصية يستحق بها أن يُقتل فإنه يُعاقب بجريمته؛ فمن أظهر الإسلام قبل عند أهل السنة إسلامه ولا يُشق عن قلبه، فيحكمون له بالإسلام ظاهراً، وأما قلبه فالله أعلم به -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

جاء في قصة أسامة بن زيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال: "بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى الْحُرَقَةِ -منطقة- فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلِحَقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ كَانَ ذَا نِكَايَةٍ فِي الْمُسْلِمِينَ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَكَفَّ الْأَنْصَارِيُّ فِطْعَتَهُ بِرُحْيٍ حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَلِكَ فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ: أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قَالَ أُسَامَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَيَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ".

وفي رواية قال: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!» فقال أسامة: يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي، قَالَ: «وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟».

سبحان الله! هذا رجل من الكفار يُقاتل المسلمين بقوة، حتى أنه جاء في بعض الروايات أنه كلما شاء أن يقتل رجلاً عمد إليه فقتله من قوته، فلما انهزم القوم لم يقف ويقول: أشهد أن لا إله إلا الله بل فرّ، فلما أدركه أسامة والرجل الأنصاري ورفع عليه السلاح قال: لا إله إلا الله، انظر هنا الشبهة كيف؟ يعني أي إنسان هنا يقول: هذا ما قالها معتقداً، هذا قالها ليسلم من السيف، لكن الأنصاري من فقهه أنه لما سمع لا إله إلا الله كفّ رحمه، أما أسامة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فطعنه حتى قتله، لماذا؟

لأنه اعتقد أنه ما قالها صادقاً، فلما بلغ ذلك النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لام أسامة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وقال: «أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّمَا قَالَهَا مُتَعَوِّذًا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا -يعني قلبه- أَمْ لَا؟ أَيْنَ تَذْهَبُ مِنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فمن

أظهر الإسلام ولم يأت بناقض من النواقض وجب علينا أن نقبل إسلامه، وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، فيرون أن الكفر حكم شرعي يُبنى على الدليل.

♣ ومما يتعلق بهذا من المسائل عند أهل السنة والجماعة: أن التكفير لا يُعاقب به، ما معنى هذا؟ يعني الأصل أن جزاء السيئة سيئةٌ مثلها، فتقابل السيئة بسيئة، طيب جاء واحد وقال لك: يا كافر، لا يجوز أن تعاقبه بقولك: يا كافر، فأهل السنة والجماعة يُقررون أن الكفر حكم شرعي لا يثبت بالمقابلة ولا يُعاقب به، ومن جاء بمكفر عند أهل السنة والجماعة فإنه لا يُحَكَّم بكفره مباشرة حتى تجتمع الشروط وتتفي الموانع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- مبيِّناً أصل أهل السنة والجماعة في هذا الباب: "ولهذا كان أهل العلم والسنة لا يُكفِّرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يُكفِّرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يُعاقب بمثله، كمن كذب عليك، أو زنا بأهلك -عياداً بالله-، ليس لك أن تكذب عليه، وليس لك أن تزني بأهله؛ لأن الكذب والزنا حرامٌ لحق الله، وكذلك التكفير حقٌ لله".

مقصود شيخ الإسلام ابن تيمية أن يُبيِّن أن أهل السنة والجماعة يرون أن الحكم الشرعي الذي هو حقٌ لله لا يُعاقب به، شخص كذب عليك وقال: فلان يفعل ويفعل وهو يكذب، لا يجوز أن تقابل كذبه بكذب فتكذب عليه وتقول: فلان يفعل ويفعل وهو لا يفعل، كذلك من كَفَرَ لا يجوز أن تُكفِّره.

وعند أهل السنة والجماعة أن كل معصية لم يدل الدليل على أنها كفر لا يُكفَّر فاعلها إلا إذا استحلتها مع العلم بحُرمتها، كل معصية لم يدل الدليل الشرعي على أنها كفر لا يُكفَّر فاعلها إلا إذا استحلتها وعلماً يقيناً أنه يراها حلالاً مع العلم بحُرمتها؛ فالربا معصيةٌ عظيمة ومن أقبح المعاصي، ومن فعل الربا فقد آذنه الله بحربٍ منه ومن رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ومع ذلك فأهل السنة والجماعة لا يُكفِّرون المتعامل بالربا بل الذي يفتح بنكاً ربوياً لا يُكفِّرونه بهذا؛ لأنه فعل إلا إذا اعتقد أنه حلال وعلماً منه هذا، ليس بالشبهات والاحتمالات والتسلسلات، وإنما علماً منه أنه مستحل مع العلم بأنه يعلم أنه حرام فإنه إذ ذاك يكون كافراً، ولكنهم في نفس الوقت يرون أن مرتكب الكبيرة على خطرٍ عظيم، وأن إيمانه ينقص بارتكاب الكبيرة، فهم وسطٌ في هذا

الباب بين المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنبٌ والمعاصي لا تُنقص الإيمان، وبين المكفرة كالمعتزلة والخوارج الذين يُكفرون بكبائر الذنوب.

هذا الأصل يُخالف فيه جميع أهل الفرق، فهم:

- إما تكفيرون مثلما سمعنا عن الإخوان المسلمين ورجالهم وسندكر بعضهم اليوم، يُكفرون بغير المكفّرات الشرعية ويعتدون في التكفير.
- وإما مرجئة يتساهلون في الذنوب ويرون أنها لا تضر.

☞ هذا الأصل الكلي نفسره ونفّصله بأصول:

☞ الأصل الأول من أصول أهل السنة والجماعة في باب التكفير: التكفير حكمٌ شرعي لا بد من قيام الدليل عليه، هذا أصلٌ عظيم؛ فالتكفير والحكم على الناس بالكفر حكمٌ شرعي، والحكم الشرعي لا يثبت إلا بالدليل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته الله-: "الكفر حكمٌ شرعيٌّ وإنما يثبت بالأدلة الشرعية".
ويقول الشيخ ابن عثيمين -رحمته الله رحمةً واسعة-: "الكفر حكمٌ شرعيٌّ مردّه إلى الله وإلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فما دلّ الكتاب والسنة على أنه كفرٌ فهو كفرٌ، وما دلّ الكتاب والسنة على أنه ليس بكفرٍ فليس كفرًا، فليس على أحدٍ ولا له أن يُكفّر أحدًا حتى يقوم الدليل من الكتاب والسنة على كفره".

فالتكفير بالظنون وبوكالة يقولون لا مكان له عند أهل السنة والجماعة، اليوم يا أخوة يُنسب إلى الناس ولاسيما إلى الحكّام من المسلمين أمور وأمور في وسائل الإعلام، ما يجوز التكفير بناءً عليها، فإن الأصل انتفاء ذلك.

☞ والتكفير شأنه خطيرٌ جدًّا:

يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا؛ فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ» متفقٌ عليه، فالناس بخير ما لم تخرج كلمة التكفير، فإذا خرجت هذه الكلمة:

- فإما أن يكون الذي قيلت فيه كافرًا.

- وإما أن ترجع إلى قائلها.

ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ» والحديث رواه البخاري، «مَنْ قَذَفَ مُؤْمِنًا» أي سبّه بالكفر فكيف بمن اعتقد كفره؟ هذا أشد، يا أخوة القذف هو السب وقد لا يكون عن اعتقاد، يقول له: يا كافر لكن في قلبه ما يعتقد أنه كافر، هذا حرام كقتل المسلم، وسيأتينا إن شاء الله في أصل الدماء خطورة القتل، فكيف بالذي يعتقد بقلبه كفر المسلم؟! يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "وإذا كان تكفير المعين على سبيل الشتم كقتله، فكيف يكون تكفيره على سبيل الاعتقاد؟ فإن ذلك أعظم من قتله" يا أخوة: الذي يعتقد أن مسلمًا كفر من غير وجود الدليل وتحقق الشروط وانتفاء الموانع، ذنبه أعظم ممن يقتل مؤمنًا متعمدًا، ولا يجوز إلحاق التكفير إلا بالدليل البين الظاهر الذي مثل الشمس.

ولذلك لما بايع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أصحابه على ألا يُنازعوا الأمر أهله، قال: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» إلا أن تروا من الفاعل من الحاكم كفرًا، لاحظوا يا أخوة: «إِلَّا أَنْ تَرَوْا» ما هي وكالة يقولون، «إِلَّا أَنْ تَرَوْا» ماذا؟ «كُفْرًا» يعني دَلَّ الدليل على أنه كفر، «بَوَاحًا» ظاهرًا ما فيه لبس، «عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» والبرهان يقول العلماء: هو الدليل الذي لا يحتمل التأويل.

ولذلك كان المقرر عند أهل السنة والجماعة لا عند المتهورين أن الغلط في إثبات الإيـان أيسر من الغلط في إلحاق الكفر، عند أهل السنة والجماعة أن أخطئ فأثبت الإيـان لمن كفر أيسر من أن أخطئ فألحق الكفر بمن لم يكفر؛ لأن إثبات الإسلام هو الأصل، وهذا يا أخوة يقوله الفقهاء المتمكنون حتى أن الغزالي وهو من فقهاء الشافعية وإن كان أشعريًا وليس من أهل السنة لكن هو يُقرر هذه القضية التي هي عند أهل السنة والجماعة يقول: "الخطأ في ترك ألف كافر أهون وأيسر من أن تُخطئ في سفك دم مسلمٍ واحد" طبعًا من كفر دمّر، التكفير قنطرة القتل، يقول الغزالي: الخطأ في ترك ألف كافر يستحق القتل أيسر من قتل مسلمٍ واحدٍ بغير حق.

✽ الأصل الثاني في هذا الباب: الأصل في المسلم الإسلام فلا يرتفع إلا بيقين، الأصل فيمن أظهر الإسلام الإسلام ويثبت له الإسلام، فلا يرتفع إسلامه إلا بيقين، ولذلك إذا نظرت إلى الرجل فإن الأمر لا يخلو من ثلاثة أحوال:

- الاحتمال الأول: أن تتيقن أنه كافر وهذا له طريق سنتكلم عنه بعد قليل إن شاء الله.
- الاحتمال الثاني: أن تتيقن أنه لم يكفر، هو مسلم لم يكفر، فهنا تُثبت له الإسلام وجوبًا.
- الاحتمال الثالث: أن تُشك، والله الأم غير واضح فُتُثبت له الإسلام وجوبًا؛ لأن الأصل الإسلام ولا يرتفع بالشك، فإذا وجدنا الشك أرجعناه إلى الأصل اليقين الذين هو الإسلام.

يقول المحافظ بن عبد البر -رَحِمَهُ اللهُ-: "القرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره بيان لا إشكال فيه" يعني كل من يعرف القرآن والسنة يعرف أن الأصل النهي عن تكفير المسلم وتفسيقه، يقول: "القرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره بيان لا إشكال فيه، ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقتٍ بإجماعٍ من المسلمين -والمسلمون مجموعون على أن من أتى بالشهادتين ثبت له الإسلام- ثم أذنب ذنبًا، أو تأوَّل تأويلًا، فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنًى يُوجب حُجَّةً، ولا يُخرِج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاقٍ آخر".

يعني بأن يتفقوا على أنه كافر، إذا اتفقوا على أنه مسلم ومن أتى بالشهادتين اتفقوا على أنه مسلم لا يجوز أن يُخرِج من هذا الإسلام الذي اتفقوا عليه إلا باتفاقٍ آخر، أو سنَّة ثابتة لا معارض لها؛ يعني أن يثبت بالدليل أنه كافر، وسيأتي إن شاء الله كيف يكون ذلك.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "من ثبت إسلامه بيقين لم يُزل ذلك عنه بالشك".
ويقول ابن نُجيم وهو من فقهاء الأحناف: "ما يُشكُّ أنه ردَّة لا يُحكَّم بها، إذ الإسلام الثابت لا يزول بشك".

وبعض العلماء يقولون: "إذا كانت الحدود تُدرأ بالشبهات فمن باب أولى الكفر؛ لأنه أشد من الحدود"؛ يعني يا أخوة من فعل فعلاً وكانت هناك شبهة في فعله فإنه لا يُقام عليه الحد، الحدود تُدرأ بالشبهات بإجماع العلماء، فمن باب أولى الكفر.

ولذلك يا أخوة كما قلت لكم: إذا رُمي إنسان بكفر، إنسان سواء حاكم أو عالم أو عامي من الناس؛

- فإما أن يثبت أنه كفر وهذا له أحكام.
- وإما أن نشك فيجب أن نُعيده إلى الأصل وهو الإسلام.
- وإما أن يثبت عندنا الإسلام فيجب أن نعمل به.

✽ الأصل الثالث لأهل السنّة والجماعة وهو أصلٌ عظيمٌ في هذا الباب: أنه لا بد من اجتماع الشروط وانتفاء الموانع للحكم بالتكفير، القاعدة عند العلماء: أن كل حكم لا يثبت حتى تجتمع شروطه وتتفني موانعه، وهذا في كل الدين، يعني جاءنا إنسان وقال: أنا أريد أن أصلي، هل يجوز أن أصلي؟ فإننا نسأله أولاً: هل أنت متوضئ؟ إذا قال: نعم نظرنا، وإذا قال: لا قلنا: لا يجوز أن تصلي وأنت غير متوضئ، اذهب وتوضأ، لا بد من اجتماع الشروط، ونسأله أيضاً متى ستصلي؟ قال: سأصلي نافلة بعد العصر، نقول له: لا؛ لأنه يوجد مانع وهو وقت النهي، وكذلك في جميع الأحكام، ومن ذلك مسألة التكفير.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "القول قد يكون كفراً فيُطلق القوم بتكفير صاحبه"؛ أي من جهة الإطلاق لا من جهة التعيين، فيُقال: فعل كفراً، أو يُقال: هو على كفرٍ، أما الحكم عليه بأنه كافر فهذا شيء آخر، يقول: "القول قد يكون كفراً فيُطلق القوم بتكفير صاحبه ويُقال: مَنْ قال كذا فهو كافر، ويُقال للمعيّن: فعل كفراً"، (ويُقال: مَنْ قال كذا فهو كافر) مثلما هو معروف عند أهل السنّة والجماعة يقولون: من قال بخلق القرآن فهو كافر، هذا من حيث الإطلاق لا من حيث الحكم على الأشخاص بأعيانهم.

يقول: "لكن الشخص المعين الذي قاله لا يُحكّم بقوله -يعني لا يُحكّم عليه بقوله: أنه كافر- حتى تقوم عليه الحجّة التي يكفر تاركها" انتبهوا: ما قال: حتى تقوم عليه الحجّة وسكت، قال: "حتى

تقوم عليه الحجّة التي يكفر تاركها"؛ لأنه أحياناً قد يكون الذي يُقيم الحجّة ما يُحسن إقامتها فلا تكون الحجّة قد أُقيمت، فلا بد أن تقوم عليه الحجّة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-: "إن تكفير الشخص المعين وجواز قتله موقوفٌ على أن تبلغه الحجّة النبوية التي يكفر مخالفتها".

﴿ وقضية أن الإنسان لا يُحكّم عليه بكفر حتى تجتمع فيه الشروط وتنتفي الموانع دلّت عليها أدلة كثيرة؛

﴿ منها ما أخبر به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في قوله: «لِلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَأَنْفَلَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيْسَ مِنْ رَأْسِهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخَطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ. أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» هذا الحديث في [صحيح مسلم].

طبعاً النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ بَعْدَهُ الْمَذْنِبُ إِذَا أَقْلَعَ عَنِ الذَّنْبِ وَأَنَابَ إِلَيْهِ وَرَجَعَ إِلَيْهِ، يَفْرَحُ بِهِ فَرَحًا شَدِيدًا، وَاللَّهُ يَا إِخْوَةَ إِنِّي أَسْتَعْرَبُ مِنْ قَسْوَةِ الْقُلُوبِ، كَيْفَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ الْعَاصِيَ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ هَذِهِ الْمَعْصِيَةَ وَتَابَ إِلَى اللَّهِ يَفْرَحُ بِهِ وَلَا يَفْعَلُ هَذَا؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! اللَّهُ يَفْرَحُ بِكَ فَرَحًا شَدِيدًا إِذَا فَعَلْتَ فَكَيْفَ مَا تَتْرَكَ هَذَا؟!

لكن الشاهد في المثال: رجل كان بفلاة ومعه دابته وعليها طعامه وشرابه ففقدتها، بحث عنها ما وجدها، أيس قال: خلاص والدنيا صحراء قال: الموت قادم قادم، فذهب إلى شجرة واضطجع في ظلها ينتظر أن يموت، لا ماء معه ولا طعام ولا يستطيع أن يمشي، صحراء، فبينما هو كذلك إذا بخطام الدابة يصيب وجهه، رفع وجهه فإذا الدابة أمامه، أمسك بخطامها لا شك أن هذا سيفرح فرحاً شديداً، لما فرح فرحاً شديداً قال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك) طبعاً هذه الجملة من حيث هي لو أُطلقت بقصد فهي كفر، يقول: يا رب؛ أنت عبد، أعوذ بالله، لكن لما كان مخطئاً من شدة الفرح لم يُحكّم بكفره لوجود مانع أذهل قلبه وهو شدة الفرح.

ولذلك يقول المحققون من الفقهاء: إن الإنسان لا يؤاخذ بقوله إذا شغل ذهنه شيء غطاه، واحد فرح فرحاً شديداً حتى غطى ذهنه وقال لامرأته: (أنتِ طالق، أنتِ طالق) أخطأ من شدة الفرح، يريد أن يقول لها: أنتِ امرأة مباركة التي بشرتني بها، أخطأ من شدة الفرح، ما يؤاخذ بقوله.

رجل غضب غضباً شديداً حتى غطى ذهنه، ما يعرف السماء من الأرض، ولا أمه من زوجته، فقال لامرأته: (أنتِ طالق) فجاءت أمه فقالت: يا بني قال: (أنتِ طالق)، هذا لا يقع طلاقه لوجود المانع وهو تغطية الذهن. الشاهد: أن الكفر لا يُحكم به بمجرد فلا بد من انتفاء المانع ووجود الشروط.

← كذلك ما جاء في [الصحيحين] أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «**أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بِنَبِيِّهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا، قَالَ: فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَالَ اللهُ لِلْأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتَ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشِيْتُكَ يَا رَبَّ - أَوْ قَالَ: مَخَافَتِكَ - فَعَفَّرَ لَهُ بِذَلِكَ».**

يعني هذا الرجل يا أخوة كان كثير الذنوب، أسرف على نفسه بالذنوب، فلما حضره الموت قال لأبنائه: إذا أنا ميت فاحرقوني بالنار والباقي دقونه واسحقوه ثم ذروه في الريح على البحر، ما هدفه من هذا؟ أن يضيع أثره كأنه ظنَّ إذا فعل ذلك أن الله لا يبعثه، وطبعاً هذا الاعتقاد كفر، الله على كل شيء قدير ويبعث الموتى، ففعلوا به ذلك والله على كل شيء قدير، فقال للأرض: أدد ما عليك؛ أي يخرج من الأرض ومن البحر الأجزاء تخرج حتى اجتمعت، فقال له الله: «**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: خَشِيْتُكَ يَا رَبَّ**» يعني كأنه قال: يا رب؛ إن خوفك غطى على عقلي حتى قلت ما قلت فغفر الله له.

المعلوم يا أخوة: أنه لو كان كافراً بهذا ما غفر الله له، فالله لا يغفر بالكفر، فدَلَّ ذلك على أنه لم يكفر أصلاً مع أنه قال كافراً واعتقد كافراً، لكن لما وجد المانع وهو شدة الخوف من الله التي غطت على عقله حتى قال ما قال غفر الله له.

← كذلك من الأدلة على هذا الأصل العظيم: أنه قبل تحريم الخمر كان حمزة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مع بعض أصحابه في البيت يشرب الخمر، وكانت هناك جارية تخدمه فقدَّم لهم حمزة السويق، طعام من

دقيق وسمن ونحو ذلك، فقالت الجارية: يا حمزة؛ أنأكل السويق والرواحل بالباب؟ كان عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - مرَّحَلٌ بعيرين لكي يُسافر عليهما وكان عند باب البيت، فقالت الجارية كأنها تقول لحمزة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: يا حمزة أنت بنخيل، تُعطينا السويق والراحلة عند الباب ما تذبحها لنا، ما تنحرها لنا، فأخذ المديّة فنحر إحدى البعيرين وقال: كلوا.

طبعًا البعير لعليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - وصاروا يقطعون ويشوون ويأكلون، فلما جاء عليّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ورأى ما رأى ذهب إلى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يشكو، فقال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حمزة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - ومعه أنس وعلي - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -، فلما دخل على القوم كَلَّمَ حمزة في هذا الموضوع، فقال حمزة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "وهل أنتم إلا أعبدٌ لأبي؟" يعني كأنه يقول للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَنْ أنت حتى تُكلمني، ما أنت إلا عبد عند أبي؟! هذا الكلام لو قيل للنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في عقل لكان كفرًا، لكن ماذا يقول أنس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -؟ قال: فعلم أنه ثمل فنكص رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على عقبيه وخرج وخرجنا.

هذه القصة في [الصحيحين]، هنا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عليم وجود المانع فلم يُكفر حمزة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ولم يقل له من الغد لما لقيه: يا عمّاه؛ قد قلت كذا وهذا كفر فتشهد أو أسلم أو نحو ذلك، فدلّ هذا على الأصل العظيم عند أهل السنّة والجماعة.

✻ من الأصول المتعلقة بهذا الباب عند أهل السنّة والجماعة: أن المرجع في تنزيل الأحكام العامة للعلماء، وهذا حصن للأمة وحماية للأمة من الشر: أن الأمور العامة الخطيرة لا يجوز أن يتكلم فيها إلا العلماء الكبار، ولا شك أن التكفير من الأمور العامة الخطيرة جدًّا، فعند أهل السنّة والجماعة أن التكفير ليس لعامة الناس وليس لطلاب العلم.

بخلاف غيرهم الذين يعتقدون في التكفير، التكفير لكل أحد، تجد النجار يُكفر، وسائق التاكسي يُكفر، والمهندس يُكفر، والطبيب يُكفر، أسهل شيء عندهم التكفير، أما أهل السنّة والجماعة فالمرجع في هذا إلى العلماء، وقد قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] الله عاب

المنافقين بأنهم إذا جاءهم أمرٌ عظيمٌ يُسبب خوفاً أو أمناً تصدّروا هم له وأذاعوا به، وبين ما يجب على المؤمنين وهو الرد إلى السنّة وإلى العلماء الربانيين حتى يتكلّم فيه أهل الاستنباط. فالواجب على عامة المسلمين بما فيهم طلاب العلم أن يتبعوا العلماء في هذا الباب، وألا يتصدّر عامة المسلمين للحكم بالتكفير، وليس للشباب مهها زخرف لهم الشيطان أن يكفّروا، وللأسف أن هذا الأصل لما غاب عند كثيرٍ من الناس رأينا الاعتداء في التكفير، ورأينا المسألة تنعكس؛ فالشباب يكفّرون العلماء.

في المناصحة يا أخوة لأهل التطرّف: في شاب معه الثانوي لما جلس معه المشايخ وقالوا له: نذكر لك كلام العلماء، قال: مَنْ من العلماء؟ قالوا: الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، أستغفر الله! قال: لعنة الله على هذا وعلى هذا، هذا أكفر من هذا، شاب معه الثانوي والله ما يمكن أن يُفتي في خبز. واحد منهم كنا في وقت الحج وكنت أناصحه فقلت له: اجلس يا أخي، قال: أنا لست أخاك، قلت له: أنت عندي أخي، أما أنا عندك فهذا شأنك، أنا ما أكفرك حتى لو كفرتني، أما أنت فلا تقول لي: يا أخي، أما أنا فأنا أعتقد أنك مسلم وأنا أعتقد أن المسلم أخي، فدار بيننا كلام طويل، وكنت أنا وأحد المشايخ، فكان هو يُجب المنطق، تعلّم المنطق في مكان وهو شاب صغير معه الثانوية، فكنت أنا أناقشه بالمنطق، ثم قمت أنا لأتوضأ فيقول للشيخ الذي معي: الرّحيلي أعلم منك ولكنه أكفر منك؛ لأن الله أضلّه على علم، أما أنت جاهل.

أنا أذكر لكم هذا لتعرفوا يا أخوة كيف أن التكفير يُفسد العقول، ثم يقول لي: رأيت هؤلاء الحجّاج أكثر من مليونين، كنا في جدة وكنا في وقت الحج، قال: رأيت هؤلاء الحجّاج أكثر من مليونين ليس فيهم رجلٌ عرف الله، وأمثال هذا كثير، فعكسوا الطريق فأظلمت قلوبهم، فبدلاً من أن يستفيدوا من العلماء حكموا على العلماء بالكفر.

✽ الأصل الخامس لأهل السنّة والجماعة في هذا الأمر الكلي العظيم: أن الذنوب تنقسم إلى أقسام، المتقرر عند أهل العلم أن الذنوب ليست على درجة واحدة، كلها معصية لله، لكنها ليست على درجة واحدة؛

▪ فمنها ذنوبٌ تُخرج من الإسلام وهذا كفر. مثال الأول (ذنوبٌ تُخرج من الإسلام): سب الله وسب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

▪ ومنها ذنوبٌ كبائر لا تُخرج من الإسلام. ومنها مثلاً الزنا، فالزنا مع قبحه لا يُخرج من الإسلام، فلو أن مسلماً - والعياذ بالله - يزني في كل يوم ما قلنا: إنه كافر وإن كان على خطرٍ عظيمٍ وعلى ذنبٍ كبيرٍ.

▪ وذنوبٌ هي صغائر وهي دون الكبائر، ولكن لا يعني هذا أنه لا خطر لها، بل لها خطرٌ عظيم؛ لأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةً سَوْدَاءَ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَرِينَ عَلَى قَلْبِهِ».

فالذنوب يا أخوة خطيرة كلها، وينبغي على العاقل أن يجتنب كل الذنوب: الصغير والكبير والكفر، لكن مقصودنا هنا أنه ليس كل ذنبٍ كفرًا، فقد يفعل المسلم الذنوب ويكثر من ذلك ولا يكون كافرًا بهذا.

✦ أختتم هذا الأصل بطريقة أهل السنّة والجماعة في التكفير:

لا ينبغي للمؤمن أن يحكم على أحدٍ بالكفر إلا باتخاذ الطريق الصحيح؛ وأول الطريق الصحيح: أن يثبت مما نُسب إلى القائل أو الفاعل، هل قاله أو لم يقله؟ هل فعله أو لم يفعل؟ فليس كل ما نُسب إلى الناس يكون صحيحًا، ولا سيما في هذا الزمان الذي أخذ فيه الكذب دينًا عند بعض الناس، الآن تجد الرجل ملتحي وهو من أكذب الناس ويكتب ديانة؛ يكذب على الحُكَّام، ويكذب على كذا، ويكذب على كذا، والإنترنت اليوم ومواقع التواصل الاجتماعي مليئة بالأكاذيب، فلا بد من التثبت. طيب إذا تثبتنا وبحثنا لا تخلو النتيجة من ثلاثة أمور:

- الأمر الأول: أن يثبت أنه قال أو فعل فهذا سنأخذه للدرجة الثانية.
- الحالة الثانية: أن يثبت أنه لم يقل ولم يفعل فيفرح المؤمن بذلك؛ لأن كما قلنا: المسلم سليم القلب يُحب أن يبقى الناس على الإسلام، فيقول: الحمد لله الذي سلّمه من هذا القول.

▪ والاحتمال الثالث: أن يشكُّ؛ يعني لا ينتفي ولا يثبت بل الأمر محتمل، فهنا نرجع إلى الأصل والأصل هو السلامة والإسلام فننفي ذلك عنه.

الخطوة الثانية: من ثبت أنه قال أو فعل لا بد أن نتبَّت أن هذا القول وهذا الفعل كفرٌ، فليس كل ما قال الناس: إنه كفر يكون كفرًا، بل لا بد من الرجوع إلى الدليل إلى الكتاب والسنة، حتى بعض الفقهاء غلو في مسألة عد الكفر، حتى أن بعض الفقهاء يا أخوة يقولون: إذا قال أحد عن المسجد: مُسَيِّجِد على جهة التصغير، أو عن المصحف مُصَيِّحِف على جهة التصغير أنه يكفر، وهذا غير صحيح، ليس كل ما قاله الناس: إنه كفر يكون كفرًا، الآن التكفيريون في هذا الزمان يعدُّون أشياء كثيرة على أنها كفر وهي ليست بكفر.

﴿ فإذا تَبَيَّنَّا فَإِنَّ النِّتِيجَةَ أَيْضًا لَا تَخْلُو مِنْ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: ﴾

▪ الأمر الأول: أن يثبت عندنا بالدليل أن هذا القول أو هذا الفعل كفر، فهذا نأخذه إلى الخطوة الثالثة.

▪ الاحتمال الثاني: أن يثبت بالدليل أنه ليس كفرًا، نعم معصية لكنه ليس كفرًا، فنخرج من دائرة التكفير، أن نشكَّ نقرأ للعلماء فنشك والله هل هو كفر أو ليس بكفر؟ فنرجع إلى الأصل وهو أنه عدم الكفر.

▪ هذا الذي ثبت أنه قال وفعل كفرًا نتقل به إلى الخطوة الثالثة: هل قاله أو فعله على الجهة التي يكون بها كفرًا؟ فإن بعض الأمور تكون لها جهات؛ من جهة يكون كفرًا، ومن جهة لا يكون كفرًا.

وأعطيكُم مثالًا: شخص لبس الصليب، لا بد أن نعرف هل لبسه على الوجه الذي يكون به كفرًا أو لا؟ لأنه يكون كفرًا إذا كان على وجه تعظيم الصليب، أما إذا لم يلبسه على وجه تعظيم الصليب فإنه لا يكون كفرًا.

وأذكر لكم مثالًا يمكن أنتم ما تعرفونه: قبل سنين كان هناك الساعات ليس مثل اليوم، وكان في ساعة سويسرية هي تعتبر أحسن ساعة فيها صليب، في داخلها صليب، فكان الناس يُحبونها لأنها أصلية ويلبسونها، ما يلبسونها من أجل الصليب ولا يُعظِّمون الصليب، لا شك أن هذا ليس كفرًا.

بعض الناس يذكرون وأنا عندي في هذا نظر أن شارة شيفرولية صليب، طيب هذا الذي يقول: سيارة شيفرولية والشارة مطبوعة على السيارة ومطبوعة على المقود، هل هو فاعل لهذا على سبيل التعظيم للصليب، بل هو هل فعله على أنه صليب؟ الجواب: لا، فلا يكون كفرًا بل هذا مما عمّت به البلوى، لو فرضنا أنه صليب فإنه يُخفف فيه.

الآن أنت لو وقفت في الشمس وقلت هكذا، سترسم ظلك هو صليب في الحقيقة، لكن أنت تريد الصليب، ولا تفعله على وجه الصليب؟ هذا لا يُحكّم به، فلا بد من التثبّت أنه فعله على الوجه الذي يكون به كفرًا، فإذا ثبت -طبعًا نفس الاحتمالات الثلاثة- أنه فعله على الوجه الذي يكون به كفرًا ننقله إلى الخطوة كم؟ الرابعة: وهي النظر هل اجتمعت الشروط وانتفت الموانع، فإن اجتمعت الشروط وانتفت الموانع أخذناه إلى الخطوة الخامسة، وإن تجتمع الشروط وتنتفي الموانع فإننا ننفي عنه التكفير، وإذا شككنا فالأصل الإسلام.

طيب ظهر لنا أنه قد اجتمعت فيه الشروط وانتفت الموانع؛ فهنا نتقل إلى الخطوة الخامسة: وهي أن الأحكام المترتبة على ذلك على قسمين:

▪ القسم الأول: أحكام تخص المعتقد نفسه.

▪ والقسم الثاني: أحكام متعدية.

الأحكام التي تخص المعتقد نفسه: مثل الصلاة عليه بالنسبة لي أنا تتعلق بي أنا أصلي عليه أو لا أصلي عليه، مثل الاستغفار له هذا يتعلق بي أنا فأفعله بناءً على اعتقادي.

أما الأحكام المتعدية: مثل قتله، ومثل حرمانه من الميراث ونحو ذلك، فيرجع في ذلك إلى العلماء والحكّام، لا بد من حكم من عالم أو قاضي.

ولكي أقرب لكم المسألة أقربها بمسألة مشهورة: وهي مسألة تارك الصلاة، إذا كنت أعتقد أنا أن تارك الصلاة كسلاً كافر، وجاري تارك للصلاة وأنا أعرف أنه تارك للصلاة، إلى أن مات لا يُصلي لا في البيت ولا في المسجد إلى أن مات، وعرفت أنه كافر واعتقدت أنه كافر؛

بالنسبة للأحكام المتعلقة بي أفعل بحسب اعتقادي: فلا أُصلي عليه مع الناس؛ لأنني أعتقد أنه كافر والكافر ما يُصلى عليه لكن ما أمنع الناس من الصلاة عليه، لو كان مورثاً لي ما أخذ نصيبي من الميراث لكن لا أمنع الورثة من أخذ النصيب.

أما الأحكام المتعدية: كقتله مثلاً فهذا ليس لي، يُرَجَع فيه إلى الحاكم القاضي، ولذلك الكل مجمعون على أن تارك الصلاة لا يجوز قتله إلا من قَبَل الحاكم بعد أن يستتبه ثلاثاً، يعني يأخذه يستتبه ثلاثة أيام أو ثلاثة مرات، فإن أبى الصلاة قتله، بعضهم يقول: كفرًا، وبعضهم يقول: حدًا، وبعضهم يقول: تعزيرًا، لكن ليس لي أنا أني أعرف أن جاري ما يُصلي فأتربص له وأقتله وأقول: لأنه تارك لدينه مفارق للجماعة، هذا لا بد فيه من الرجوع إلى الحاكم القاضي.

هل أفرِّق بينه وبين زوجته أنا؟ أنا أنصحها، أنا أقول لها: ما يجوز أن تبقي معه، يجب أن ترفعي أمرك إلى القضاء من أجل أن تفارقيه، لكن لست أنا الذي أحكم بهذا، لا بد من الرجوع إلى العلماء والقضاة للفصل في هذه القضية. هذا الطريق الواضح اليّين عند أهل السنّة والجماعة لو عرفه شبابنا ونُشر لهم لسلمنا من آفة التكفير التي ضيعت الكثير من المصالح، وسببت الكثير من الفساد، ولكن للأسف لما كان الصوت العالي اليوم للفرق المخالفة لأهل السنّة والجماعة انتشر التكفير.

وللأسف أن الصوفية يُحاولون استغلال خوف العالم من التكفير والتفجير والذي يُسمى بالإرهاب الذي سيأتينا الكلام عليه إن شاء الله، ويُحاولون إصباق هذا الأمر بأهل السنّة والجماعة، ويُحاولون التحالف مع الدول الغربية ضد أهل السنّة والجماعة بزعم أن أهل السنّة والجماعة هم أهل التكفير والتدمير، بينما لا تسلّم الأرض كلها من التدمير والتفجير إلا في ظل منهج أهل السنّة والجماعة؛ لأن أهل السنّة والجماعة يعتقدون حرمة هذا دينًا وليست من باب المصالح، فيحمون الناس منه كما سيأتينا إن شاء الله الكلام عن أصل حرمة الدماء.

فينبغي أيها الأخوة أن نحرص على بيان هذا المنهج وهذا الأصل العظيم من أصول أهل السنّة والجماعة للناس في خطبنا، في دروسنا، في تقاريرنا لنسأهم في استئصال هذا الداء الذي هو الاعتداء في التكفير، لعلنا نقف عند هذا الوطن ونُكمل إن شاء الله دروسنا بعد المغرب الساعة السابعة، واجمعوا الأسئلة وبعد الدرس الثاني إن شاء الله سأجيب عنها، فنقف هنا إن شاء الله ثم نُصلي المغرب

ثم نعود إلى الدرس بعد المغرب، ثم نُجيب عن الأسئلة بالوقت الذي نستطيعه، ثم نتوقف إن شاء الله، والله أعلم وصلّى الله على نبينا وسلّم.



[من أصول أهل السلف-٤]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فأرحّب بإخواني جميعاً في هذا المجلس الثالث من مجالس يوم الجمعة، وأسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يفقهنا وأن ينفعنا ويجعلنا من العالمين العاملين.

في الحقيقة أيها الأخوة بالتشاور مع القائمين على الدورة رأينا أن نختم الدورة الليلة تخفيفاً على إخواننا، والحمد لله قد ذكرنا الأصول والأمور التي نريد أن نؤسسها ونبيّنها، والباقي الذي أردناه في يوم السبت إنما هو متممات لما قررناه، ورأينا أن مصلحة التخفيف عن الأخوة وخاصةً أن بعضهم من مكانٍ بعيد تقتضي أنا إن شاء الله نختم الدورة الليلة، فبعد هذا الدرس نأخذ الدرس الثاني إن شاء الله بعد المغرب، ونُجيب عن الأسئلة، ونأخذ ما يمكن من الوقت حتى لو أطلنا شيئاً، ونختم الدورة إن شاء الله -عزَّ وجلَّ- في هذه الليلة.

أيها الأخوة: موضوع هذا المجلس كعهدكم به في مثل هذا الوقت يتعلق بأمرٍ مهم بأصول أهل السنة والجماعة العامة، بأصول منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- والتي تميّزوا بها ويتحقق بها العدل والأمن والخير، وتتحقق بها التقوى، ولو عمل الناس بهذه الأصول لعاشوا حياةً سعيدة، وأمّنوا وأمّن غيرهم، ولذلك ينبغي علينا أن نعلمها أولاً، ونفهمها ثانياً، ونعمل بها ثالثاً، وندعو إليها رابعاً، ونصبر على ذلك خامساً.

اليوم نتكلم عن أصلين عظيمين كبيرين من أصول أهل السنة والجماعة من أصول السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ- حصل فيهم خلطٌ كثيرٌ عند الفرق ولا سيما عند المعاصرين:

✦ أما الأول منها: فهو أصل الولاء والبراء؛

فمن أصول أهل السنة: الولاء لمن والى الله وأطاعه، والبراء ممن حادَّ الله ورسوله، والمعلوم أن المؤمن متميّزٌ في دينه، متميّزٌ بدينه، أعظم حبٌّ عنده هو حبه لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فأعظم الحب وأعلاه

وأغلاه وأحلاه عنده هو حبه لربه، ولا شك أن ربنا يُحِبُّ ويُحِبُّ، نسأل الله أن يوفقنا إلى محبته وكمال محبته وأن يُجِنَّا، ثم محبة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

فالمؤمن يُحِبُّ الله ويُحِبُّ الله، والله يُحِبُّ حَبًّا مطلقًا، وكل من دون الله يُحِبُّ الله، الله يُحِبُّ حَبًّا مطلقًا، المؤمن يُحِبُّ الله حَبًّا مطلقًا، وكل من دون الله ابتداءً من رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى أقل المحبوبات يُحِبُّ الله، فمحمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحِبُّ لا لذاته وإنما لأنه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وهذا عاد على ذاته بالبركة والخير، ولكننا نُحِبُّه لأنه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو أحب إلى المؤمن من النفس -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

ثم يُحِبُّ من أحبه الله وما أحبه الله، ومن رؤوس من أحبه الله: الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ-، ويُبغض ما أبغضه الله ومن أبغضه الله، فهو يُبغض الشرك والكفر، ويُبغض المشركين، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ هنا تلحظون يا أحبة أن الله -عَزَّ وَجَلَّ- نفى الوجود، وهذا في الحقيقة ليس الوجود الحقيقي؛ لأنك تجد من الناس من يُحِبُّ من حادَّ الله ورسوله، وقد ينتسب إلى الإسلام يُحِبُّ من حادَّ الله ورسوله، ولكن هذا نفس للوجود الحكمي؛ فحكمًا لا يوجد مؤمنًا يواد من حادَّ الله ورسوله:

▪ فإما أنه مؤمن لا يواد من حادَّ الله ورسوله.

▪ وإما أنه يواد من حادَّ الله ورسوله وليس بمؤمن.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢] وسنبيِّن إن شاء الله في الأصول التالية ضوابط هذه المودَّة.

وقال الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] فالله -عَزَّ وَجَلَّ- مع أنه جعل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى أحكامًا ليست لغيرهم من الكفار فأباح مثلاً للمسلم أن يتزوج كتابية، أن يتزوج يهودية أو نصرانية، وأباح للمسلم أن يأكل ذبائح أهل الكتاب إلا أنه حرَّم على المؤمنين أن يتخذوا اليهود والنصارى أولياء؛ وذلك لأن اليهود والنصارى قد حرَّفوا الدين وحادَّوا الله ورسوله.

وقال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣] فحرَّم الله -عزَّ وجلَّ- على المؤمنين أن يتخذوا من كفر بالله ولياً ولو كان أباً أو كان أخاً.

وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ» رواه أبو داود وصححه الألباني؛ «مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ» فكان حبه في الله، «وَأَبْغَضَ لِلَّهِ» فأبغض ما أبغضه الله ومن أبغضه الله، «وَأَعْطَى لِلَّهِ» فتصدَّق وأعطى وأنفق ابتغاء ما عند الله، «وَمَنَعَ لِلَّهِ؛ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ» كما عند أحمد وغيره بإسنادٍ قوَّاه الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة.

فما هو الولاء؟ وما هو البراء؟ وما ضوابط ذلك؟

الولاء: أصله الحب وتتبعه أمور، فالولاء مشروعٌ وممنوعٌ:

- المشروع منه: حب الله، وحب ما يُحِبُّه الله ومن يُحِبُّه الله.
- والممنوع منه: حبُّ ما يُبْغِضُه الله ومن يُبْغِضُه الله.

والبراء: أصله البُغْضُ وتتبع أعمال:

منها مثلاً: عدم النُصرة، فإن عدم النُصرة يتبع البراء، والبغض مثل الحب منه مشروع ومنه ممنوع؛

- فالمشروع منه: بغض ما أبغضه الله ومن أبغضه الله.
- والممنوع منه: بغض ما أحبه الله أو من أحبه الله.

فهذا الأصل العظيم حتى نضبطه ولا نقع في الزلل الذي وقعت فيه الفرق لا بد أن نعرف ضوابطه والأصول التي تضبطه؛

← وأول ضابطٍ وأول أصلٍ يضبط هذا الباب: أن الولاء والبراء أصلان شرعيان، ومعنى ذلك أن الولاء والبراء يقومان على الدين، فلا يجوز للإنسان أن يبينهما على الأهواء ولا على الآراء، ولا أن يجعل الولاء والبراء وسيلةً لتحقيق مآربه السياسية أو مآربه الشخصية، وإنما هما دينٌ يُتَلَقَّى من الدين ويُبنى على الدين، الولاء والبراء تؤخذ أحكامهما من الدين ويُبينان على الدين وجوداً وعدمًا.

وقد دلت الأدلة على أن الولاء للكفار حرام، وأن حب الكفار حرام، لكنه ليس على درجة واحدة؛

- فمنه ما ينقض الإيمان ويُخرج من الملة.
- ومنه ما يُنقص الإيمان لكنه لا يُخرج من الملة.
- ومنه ما يخرج عن حكم التحريم فلا تتعلق به المؤاخذة.

أما الذي ينقض الإيمان: فهو حب الكفار لدينهم، أن يُحب المسلم الكافر لدينه الذي كفر به، فهذا يُخرج من الإسلام؛ لأن محبة الكفر تنقض الإسلام، فلو قال إنسان: أنا أحب الكفار لأن دينهم فيه حرية وليس فيه قيود، نقول: هذا كفر يُخرج من ملة الإسلام.

وأما الذي ينقص الإيمان ولا ينقضه: فمنه محبة الكافر من أجل معصية، ليس لأنها كفر، هو لا يجبه من جهة كفره، لكنه يُحب كافرًا من أجل معصية يفعلها هو يُحبها، مثال ذلك: محبة المطربين المغنين من الكفار، فيُحب هذا الكافر من غير نظرٍ إلى دينه وإنما لمعصية، هذا يحدث الآن كثيرًا من الشباب يُحب المطرب الفلاني أو المطربة الفلانية، تجد بعض شباب المسلمين يقول: أنا أحب ما يكل جاكسون، بعضهم يقول: أنا أحب مادونا وهم كفار، ولكن هم لا ينظرون إلى دين بل ربما لا يعرفون دينهم، ولكن يُحبونهم من أجل الغناء والرقص، وهذه معصية لو صدرت من مسلم أصلًا معصية، فهذا الحب حرام ويُنقص الإيمان.

هذا الحب حرام باتفاق العلماء لأمرين:

- الأمر الأول: لأنه حبٌّ لكافرٍ.
- والأمر الثاني: لأنه حبٌّ من أجل معصية.

وهذا الحب لا يجوز لو كان المؤمن من أجل هذه المعصية ما يجوز؛ يعني الذي يأتي يقول: والله أنا أحب محمد عبده مطرب سعودي، مغني سعودي يقول: أنا أحبه لأنه مطرب، نقول: حرام ما يجوز أن تُحبه لهذا، ما يجوز أن تحبه من أجل المعصية.

أيضاً من محبة الكافر التي تُنقص الإيمان ولا تنقذه: محبة الكافر لمصلحة دنيوية، ليُحصّل الإنسان مصلحة دنيوية، مثل: أن يُحب الكافر لأنه شريكه في التجارة وهو شاطر وماهر ويدخل عليه أرباح فيُحبه، يُحبه هو لهذه المصلحة الدنيوية التي تدخل عليه، وهذا حرام ومعصية.

ومن ذلك ما جاء في قصة حاطب بن أبي بلتعة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه- أنه كتب كتاباً للمشركين يُخبرهم بأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيغزوهم، وهذا نوع من المحبة ونوع من الولاء، ولكن ما الذي دفعه لذلك؟ هذا ظاهرٌ في الحديث، وقد أمر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- علياً والزبير والمقداد بالحقوق بامرأة وقال: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ» مكان قريب من المدينة على مكة **«فإن بها ظعينة -أي امرأة- ومعها كتاب فخذوه منها»** فانطلقوا حتى انتهوا إلى الروضة، فإذا بالظعينة هناك فقالوا لها: أخرجي الكتاب. فقالت: ما معي من كتاب. قالوا: لتخرجي الكتاب أو لتلقيني الثياب "نحن متأكدون أن معك كتاباً؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبرنا، فأنت بين أمرين: إما أن تخرجي الكتاب بنفسك، أو نُعريك حتى نُخرج الكتاب.

"فأخرجته من عقاصها، أخرجته من جمارها من شعرها وضعتها في الشعر ولفت الشعر عليه، فأتينا به رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين سأمهم من أهل مكة، يُخبرهم ببعض أمر رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لحاطب: «يا حاطب، ما هذا؟» طبعاً النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعلم ما هذا، لكن سألته لما فعلت هذا؟ هذا المقصود بالسؤال، فدلل هذا على أنه ليس بمجرد كفر، بل يختلف باختلاف الدافع؛ إذ لو كان كفراً بمجرد ما احتاج أن يسأله ويستفصل، الاستفصال لا يكون إلا عند الاحتمال.

فقال: «يا حاطب، ما هذا؟» قال حاطب: "يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنتُ امرأً مُلصقاً في قريش" يعني لم أكن من أصول قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة، يُحْمُونَ بها أهلهم وأموالهم، فأحببتُ إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن ألتجئ عندهم يداً يُحْمُونَ بها قرابتي، وما فعلتُ كفراً ولا ارتداداً ولا رضا بالكفر بعد الإسلام".

يعني يقول: يا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنا والله ما فعلت هذا كفرًا ولا ردّةً، أنا فعلت هذا من أجل مصلحة دنيوية حتى تكون لي يد عندهم؛ فإن كانت الغلبة لك يا رسول الله فالحمد لله، وإن كانت الغلبة لهم فأنا أحمي أهلي بذلك وأقول: أنا قد كتبت لكم.

فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «لَقَدْ صَدَقْتُمْ» يعني صدقكم أنه ما فعل هذا كفرًا ولا ردّةً ولكنه فعله لما ذكر، فدلّ ذلك على أن هذا الفعل وهو الإعانة في الحقيقة والمحبة مثل الإعانة، إذا كان للدنيا ليس كفرًا ولكنه معصية.

فَقَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : " يَا رَسُولَ اللهِ؛ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ " غيرةً من عمر - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - على دين الله وعلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : « يَا عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» والقصة في [الصحيحين].

هنا حاطب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كاتب قريشًا لمصلحة دنيوية ذكرها، وهذه معصية؛ لأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» إذن هو ذنب يحتاج إلى مغفرة، فدلّ ذلك على حُرمة أن يُجِبَ الإنسان الكفار من أجل المصلحة الدنيوية، والنظر يدل على ذلك؛ لأنه لو أحبه من أجل المصلحة فهذا ذريعة لأن يُجِبَ دينه، وقد يصل الأمر إلى أن يُجِبَ دينه أو يُجِبَ لدينه.

بقي معنا أن يُجِبَ المسلم الكافر لأمرٍ مباح، ليس لدينه وليس لمعصية وليس لمصلحة دنيوية وإنما لأمرٍ مباح: مثلاً: لعب الكرة من حيث الأصل مباح، فإن يُجِبَ المسلم كافرًا؛ لأنه لاعب كرة، لأنه ماهر في الكرة، يقول مثلاً بعض الشباب: أنا أحب ميسي، أنا أحب رونالدو، هذا لا يُجِبَ لدينه ولا لمعصية ولا لمصلحة دنيوية وإنما لأمرٍ مباح؛ لكونه يلعب بمهارة فهو يُجِبُه، وانتقل هذا إلى حب الأندية: تجد أن شباب المسلمين يتعصّبون أصبحوا لأندية الكفار، تجد بعض الشباب يقول: أنا أحب ريال مدريد، والثاني يقول: لا أنا أحب برشلونة، ويختصمون في هذا؛ هذا أحسن، وهذا أحسن، ونحن نغلبكم كأنهم معهم، وهذا محبةٌ للكفار من أجل أمرٍ مباح.

والذي يظهر لي والله أعلم أن هذا يدخل في كلام أهل العلم في المحبة المحرّمة وأنه لا يجوز، لاحظوا يا أخوة أننا نتكلم عن محبة الكافر لا الإعجاب مثلاً بالللاعب نفسه، يُحب الكافر لأنه ماهر، يقول: أنا أحب ميسي ما هو لعب، نحن ما نتكلم عن محبة اللعب، نحن نتكلم عن محبة اللاعب نفسه بسبب لعبه، هذا حرام ولا أعرف شيئاً يُخرجه من الأدلة الدالة على التحريم، ومن نصوص أهل العلم بالتحريم، ولا شك أنه ذريعة لمحبهته لدينه، بل هو ذريعة لفعل بعض الأمور التي يفعلها لكفره.

فالآن بعض شبابنا تجدهم يلعبون الكرة وإذا سجل هدف قام؛ لأنهم يرون ميسي إذا سجل هدف يفعل هكذا، فأصبحوا يُقلّدون ويفعلون حتى هذا فهذا واقع، فهو ذريعة إلى المحرّمات والذريعة إلى المحرّمات محرّمة.

فهذه الأقسام كلها حرام، ولكنها في الحرمة على درجة واحدة:

- أعلاها في الحرمة محبة الكافر لدينه وهذا ينقض الإسلام ولا يجتمع مع الإيمان.
- ثم محبة الكافر لمعصية، وهذا للأسف مستشري جدّاً في شباب المسلمين خاصة في وسائل التواصل الاجتماعي تجد أن أكثر الذين يُتابعون مشاهير الغرب من المسلمين، ولو جاء مطرب إلى بلد من بلاد المسلمين اجتمع الملايين وربما تقاتلوا، ولو جاء شيخ ولا داعية يأتي مئة ولا كذا.

والمتابعات في وسائل التواصل الاجتماعي للأسف بعض الكفار يصلون إلى خمسين مليون، خمسة وخمسين مليون، تقول الإحصاءات: أن أكثرهم من المسلمين، فهذا يجب أن نهتم به وألا نهون من شأنه، وأن نُبيّن للناس أنه حرام لا يجوز.

- ثم يليه محبة الكافر لمصلحة دنيوية.
- ثم يليه في الحرمة: محبة الكافر من أجل أمرٍ مباح.

بقي أمرٌ لا يتعلق به التكليف لا مدح ولا ذم: وهو المحبة الفطرية التي لا يملكها الإنسان، التي توجد من الإنسان غصباً، فهذه لا يؤاخذ بها الإنسان بشرط أن يُبغض ذلك الكافر لدينه، مثل: محبة الولد لوالده، ومحبة الوالد لولده، قد يكون الوالد مسلماً والولد كافراً وهو يُبغضه لكفره لكن في قلبه

أنه ولده، فهذا لا يؤاخذ به الإنسان؛ لأنه ليس بيده والله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] وهذا ليس في وسعه وليس في يده وإنما أمرٌ مخلوقٌ فيه.

ولذلك نوح -عليه السلام- لما جاء الطوفان وأغرق الناس وكان في السفينة مع من آمن، كان ينظر إلى الناس وهم يغرقون ما نادى أحداً إلا ابنه، قال: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ [هود: ٤٢]؛ وذلك لأن علاقة الوالد بولده تبقى موجودة حتى نهاه الله -عَزَّ وَجَلَّ- عن هذا، أعني أن يدعو الله أن يُنجي ابنه.

ومحمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- استأذن الله في أن يزور قبر أمه فأذن له، واستأذن الله في أن يستغفر لها فلم يأذن له، فبكى وأبكى من حوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لماذا استأذن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في أن يزور قبر أمه؛ لأنه قبر؟ فالقبور جميعاً متساوية، وإنما لأنه قبر أمه وهو ولد، واستأذن الله أن يستغفر لها فلم يأذن له.

قال العلماء: هذا دليل على أنها ليست مؤمنة؛ لأنه النهي عن الاستغفار للكفار؛ لأن بعض الناس يقول: ليس هناك دليل على أن أم النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كافرة، أما أبوه ورد حديث: «أَبِي وَأَبُوكَ فِي النَّارِ» عند مسلم، هذا الحديث يدل على هذا، وإن كنا نقول: هذه المسألة ليست من المسائل الأصلية التي ينبغي ان نتعرض لها وأن نجادل فيها، نقف عند النصوص.

الشاهد: فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تربطه بأمه علاقة الولد بأمه، والقلب ما يملكه الإنسان، ولذلك كان النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يعدل بين زوجاته ويقول: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تَلْمُنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ» الذي هو القلب الذي يغلب على الإنسان من غير سببٍ منه.

▲ ومما يدخل في هذا القسم: محبة الرجل المسلم لزوجته الكتابية، من المعروف يا أخوة أن الأصل أن المحبة بين الزوجين أمر يقع في القلب، وأن الأصل أن الزواج جالب للمودة؛ ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١] ما دام أن الله أذن للرجل أن يتزوج كتابية، من المحال أن يُجرم عليه أن يُحبها محبة الزوج؛ لأنه لا يمكن العيش بين الزوجين بلا حبٍّ ومودة، فهذا أمرٌ طبعي فطري لا يؤاخذ به الإنسان لكن يجب أن يُغضها لدينها؛ لأنها ليست مسلمة.

ومن ذلك أيضاً من الصور في هذا الباب: محبة الكافر إذا أحسن، وهذه المحبة قد تهجم على القلب بدون إرادة، أصوّر لكم الصورة: مثلاً مسلم مرض أبوه مرضاً شديداً وكان ينتظر الموت، قال الأطباء: ليس عندنا علاج له، وجاء طبيب كافر زائر وكشف عليه وأجرى له عملية فشفى، قد يجد الإنسان في نفسه محبة من أحسن من غير أن يكتسب هذا، فهذا لا يؤاخذ به الإنسان، لكن لا بد أن نستصحب أنه يجب أن يُغضه لدينه.

ويذكر العلماء في هذا أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما حضرت الوفاة أبا طالب جاءه قال: «يَا عَمَّاهُ قُلْ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ» ولكن أبا طالب استجاب لجلسائه ولم يقلها، فحزن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فأنزل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] (مَنْ أَحْبَبْتَ) هنا تفسيرها على قولين:

- القول الأول: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَهُ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.
- والقول الثاني: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ هدايته فالمحبة للهداية، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.

وعندي أن الأول أقوى من الثاني؛ لأن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحب هداية جميع الكفار وليس عمه فقط، ولكنه كان يُحب عمه من جهة إحسانه إليه؛ فقد ربّاه صغيراً بعد جدّه، وحمّاه كبيراً حتى أنه دخل الشعب معه لما حاصرت قريش، فيُحبه المحبة الفطرية وهذه لا يؤاخذ بها الإنسان.

وقبل أن نتقل عن هذا الضابط نُنبه على شيء: وهو أن الولاء شيء وإظهار الولاء شيء آخر، فإظهار الولاء للكافر باللسان عند الحاجة الشرعية مع بغض القلب لا يُعدُّ ولاءً ممنوعاً، يعني إذا كان الإنسان يعيش في بلاد الكفر مثلاً ولا يستطيع أن يُظهر لهم المعادة، وخاصةً هذه الأيام التي فيها الاتهام بالإرهاب لو أظهر المعادة ربما سُجن وحُكِمَ، فيضطر بعد الأخوة أن يُظهر الولاء باللسان فيقول مثلاً: أنا أحب بلادي، وأنا أحب أهل بلادي، وهو يُغض الكفار بقلبه، فهذا ليس من الولاء الممنوع.

يقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] فحرَّم الله -عزَّ وجلَّ- موالاته الكفار واستثنى من ذلك التُّقاة.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "نهى الله المؤمنين عن أن يُلاطفوا الكفار، أو يتخذونهم وليجةً من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار عليهم ظاهرين، فيُظهرون لهم اللطف، ويُخالفونهم في الدين"، (فيُظهرون لهم اللطف) لاتقاء شرِّهم، (ويُخالفونهم في الدين) أي أن قلوبهم منكورة لما هم عليه ولا يوافقونهم في دينهم.

وذكر ابن جرير عن السُّدي أنه قال: "أما أولياء يعني الذي نهى الله عنه فيؤاليتهم في دينهم، ويُظهروهم على عورة المسلمين، فمن فعل هذا فهو مشرك، فقد برأ الله منه إلا أن يتقي منهم تُقاة، فهو يُظهر الولاية لهم في دينهم والبراءة من المؤمنين" يُظهر لهم هذا وإلا فالحقيقة التي في القلب العكس: هو يؤالي المؤمنين ويبرأ من الكفار.

وقال ابن كثير -رحمه الله-: "قوله: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ [آل عمران: ٢٨] إلا من خالف في بعض البلدان أو الأوقات من شرِّهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيَّته.

↪ الضابط الثاني لمسألة الولاء والبراء: أن الولاء الكامل إنما هو للخُلص من المؤمنين، ونقصه بالولاء الكامل الحب الكامل الذي لا بغض معه، وهذا واجبٌ للخُلص من المؤمنين، وعلى رأسهم بعد الأنبياء صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومنهم: آله المؤمنون فهؤلاء يُحبُّون حبًّا خالصًا وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وهذا أمرٌ متقررٌ في عقيدة أهل السنة والجماعة.

↪ الضابط الثالث والأصل الثالث لهذا الباب: البراءة الكامل إنما يكون من الكفار، والبراءة الكامل هو البغض الذي لا حبَّ معه، وهذا يكون من الكفار، فيُغض المؤمن الكفار بغضًا مطلقًا ولا يُحبُّهم حبًّا مكتسبًا على التفصيل الذي ذكرناه.

↪ الضابط الرابع والأصل الرابع في هذا الباب: يجتمع الولاء والبراء في المؤمن العاصي، والمؤمن العاصي يا أخوة: كل مؤمن أتى بمعصية لم يخرج بها من الإسلام ومنها البدع، فإن المبتدع بدعة

ليست مكفرة مؤمنٌ عاصي، وكذلك الذي يفعل الكبائر كالذي يفعل الزنا ونحو ذلك، والقاعدة عند أهل السنة والجماعة، عند السلفين، عند السلف الصالح: أن من ثبت له الإيمان ثبت له الحب؛ يعني من كان عنده إيمان ولو قليل يثبت له الحب في قلب المؤمن، فمن دخل في الإسلام انعقد له لواء الحب في القلب؛

- فإن كان دينًا خالصًا صالحًا تقدّم أن له الولاء المطلق التام الكامل.
- أما إذا كان مؤمنًا عاصيًا فقد اجتمع فيه سبب الحب وهو الإيمان، وسبب البغض وهو المعصية.

وقد يتفاوت هذا فيكون سبب الحب كبيرًا وسبب البغض صغيرًا، وقد يكون العكس، فهذا من ناحية القلب يُحب لإيمانه ويُبغض لمعصيته، وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان والبغض يجتمعان في الشخص الواحد لكن باختلاف السبب، لكن إظهار الحب شيء آخر.

يعني يا أخوة: كل مؤمن ولو كان مبتدعًا، لو كان يُبغضنا، ويتكلم علينا، ويتكلم على السنة، ويُقرّر البدع، لكننا لم نُكفره نُحبه في قلوبنا من جهة إيمانه، ونُبغضه من جهة معصيته، لكن الذي نُظهره يختلف، فالأصل عند أهل السنة والجماعة أن أهل البدع يُظهر لهم البغض ولا تُظهر لهم المحبة، ما يُقال له: والله أنا أحبك لأنك تصلي وأبغضك لأنك تقيم المولد، لكن طبعًا يُفرّق بين العامة والأئمة منهم والدعاء، العامة جهلة في الغالب فيعاملون باللطف رجاء استجابتهم.

وكذلك الذين يفعلون المعاصي الكبرى مثل: الربا ويصرون على ذلك، والزنا، وشرب الخمر، ويصرون على ذلك فإننا نُظهر لهم البغض، ما نُظهر لهم محبة زجرًا لهم ولغيرهم عن هذه الذنوب.

مثل هذا الشيء بالشيء يُذكر: مسألة الصلاة عليهم والاستغفار لهم علنًا، أهل السنة والجماعة يا أخوة لا يمنعون من الاستغفار لمؤمن ولو كان مبتدعًا، ولو كان عاصيًا، ولكن أهل الأهواء والبدع لا يُظهر الاستغفار لهم علنًا زجرًا عن البدع، وإن كان الإنسان في نفسه يستغفر لهم، وإذا كان لوحده يستغفر لهم لكن لا يُظهر ذلك على رؤوس الأشهاد؛ لأن هذا يهون من شأن معاصيهم في نفوس العامة، ويُجزئ العامة على ذلك.

كذلك الصلاة عليهم: أهل السنّة والجماعة لا يمنعون من الصلاة على المبتدع، ولا يمنعون من الصلاة على الزاني، ولا يمنعون من الصلاة على السارق، ولكن الذي يُقرره العلماء أهل السنّة والجماعة أن أهل العلم والفضل لا يُصلون عليهم وإنما يُصلي عليهم العامة؛ إظهاراً لإنكار هذه البدع وهذه المعاصي الكبيرة.

وهذا له أصل فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كان إذا أتى برجل وعليه دين مع أن هذه ليست من المعاصي، لكن عليه دين إذا ذكر له أن عليه دين قال: «صَلُّوا عَلَيَّ صَاحِبِكُمْ» فكيف بأهل البدع وأهل المعاصي؟ أولى بهذا أن أهل الفضل لا يصلون عليهم؛ فهذه قضية مهمة جدًّا، أهل البدع وأهل المعاصي الكبرى الأصل عند العلماء أنه في الظاهر ليس لهم إلا البغض في الظاهر، ما يُظهِرُ إلا البغض إلا إذا وجدت ضرورة أو سبب قاهر، وأما في القلب فلا تُبغضهم بغضًا مطلقًا.

↳ الضابط الخامس لهذه الأصل، والأصل الخامس الذي يضبط هذا الأصل: البراء لا يُجيز الظلم والاعتداء، البراء من الكفار، والبراء من أهل البدع، والبراء من العصاة لا يُجيز الاعتداء عليهم، ولا يُجيز ظلمهم، فمن أصول أهل السنّة والجماعة كما ذكرنا اليوم العدل وعدم العدوان، فالدين كله عدلٌ، ولا يجوز الاعتداء على من تُبغضه، بل يجب أن نُعامل الناس بالعدل، ويُعاملون بالمعاملة الشرعية.

ولذلك مرة سُئل سماحة الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ- عن السيّاح الكفار الذين يدخلون بعض ديار المسلمين ويفعلون بعض الأشياء المحرمة المعروفة عنهم، قال السائل: فبعض الناس يضربونهم، فقال الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- كلامًا معناه أنه لا يجوز للأفراد أن يعتدوا عليهم، أو يظلموهم، أو يضربوهم، وإنما الواجب أن يُراجعوا السلطات وأن يرفعوا الأمر إلى السلطات.

↳ الضابط السادس والأصل السادس لهذا الأصل العظيم: أن المعاملة الدنيوية لا تقدر في البراء، المعاملة الدنيوية نقصد بها البيع والشراء، هذه لا علاقة لها بالولاء والبراء، هذه تقوم على مصالح الناس، فيجوز للمسلم أن يشتري من الكافر، وأن يستدين من الكافر، ويجوز للدولة الإسلامية أن تشتري من الدول الكافرة، وأن تقيم المعاهدات الدنيوية مع الدولة الكافرة، بل ويجوز للمسلم أن يُهدي إلى الكافر، ويجوز له أن يقبل هدية الكافر، لكن مع مراعاة القلب؛ لأن الهدية مفتاح القلوب.

ويدل لذلك: أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يُعامل الكفار؛ فقد مات ودرعه مرهونة عند يهودي، فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير، أخذ ثلاثين صاعاً من شعير ورهن درعه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - . والشاهد: أنه كان يتعامل مع الكفار.

ولما هاجر إلى المدينة وكان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُحب زمزم كان يُرسل إلى أحد أهل مكة وهو سهيل بن عمرو أن يُهدي له من ماء زمزم، فكان - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو بالمدينة يُرسل إلى سهيل بن عمرو أن أهدني لنا من ماء زمزم، فكان يقبل الهدية من المشركين، واشترى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شاةً من مشرك، وكان يقبل هدايا اليهود، وتعرفون المرأة التي أهدت إليه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - شاةً وقد وضعت فيها السم.

وكان الصحابة - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ - يُدركون هذا، فكان ابن عمر - رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ - إذا ذبح شاةً يتصدق بها على الناس، إذا جاء إلى البيت أول ما يسأل: أهديتم لجارنا اليهودي؟ ولا سيما إذا كان المقصود من الهدايا إظهار ساحة الإسلام لعلهم أن يُسلموا.

وقد أفتت اللجنة الدائمة بأنه يجوز للمسلم أن يزور جاره الكافر من غير محبة لدينه ومن غير منكرات؛ يعني ما يزوره وهو يُجالس النساء ويجلس على مائدة عليها الخمر، ولا سيما إذا كان غرضه أن يُظهر ساحة الدين، فإن هذا جائز، أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء عدّة فتاوى في هذا الباب.

نتقل إلى الأصل الثاني من أصول أهل السنّة والجماعة اللذين نذكرهما في هذا المجلس وإلا تقدّمت أصول كثيرة، لكن اليوم قلنا: سنذكر أصليين؛

■ الأصل الأول: في الولاء والبراء.

■ الأصل الثاني: تعظيم الدماء؛

وذلك أن مما اتفق عليه الأنبياء ولم تخل منه شرعية حفظ الدماء، فحفظ الدماء من ضروريات الدين، والدم المعصوم بالإيمان أو الأمان يجب حفظه.

■ يقول الله - عَزَّ وَجَلَّ - : ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

▪ ويقول النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا» وهذا الحديث عند البخاري.

▪ وفي الحديث الآخر: «لَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ مُعْنِقًا صَالِحًا مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ» رواه أبو داود وصححه الألباني.

(مُعْنِقًا) في الظاهر يعني طويل العنق، والمقصود أنه يعمل الصالحات حتى لو كان عنده معاصي، لا يزال يُرجى منه الخير، وأن يتوب ويُرجى له الخير، «مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا فَإِذَا أَصَابَ دَمًا حَرَامًا بَلَّحَ» أي انقطع من الخير، وهذا فيه تعظيم الدماء.

▪ وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَزَوَالِ الدُّنْيَا -بأسرها- أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ» رواه الترمذي والنسائي وصححه الألباني.

▪ وأخبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الدم الحرام قد يحول بين المسلم والجنة؛ فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «وَمَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ بِمِلءِ كَفِّهِ مِنْ دَمٍ أَهْرَاقَهُ فَلْيَفْعَلْ».

والأدلة على تعظيم الدماء عظيمة، وعظم أهل السنة الدماء لعظيمهم السنة وتمسكهم بالسنة.

☞ ويتفرع عن هذا الأصل أصولٌ توضحه وتضبطه:

▲ الأصل الأول: عصمة الدماء تكون بالإيمان لأهل الإيمان، فمن ثبت له الإسلام ثبتت له العصمة، ولا يجوز أن يُقتل إلا بالحق الذي بينه الله -عَزَّ وَجَلَّ- وبينه رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمن جعل له ذلك، ولذلك يا أخوة من لطيف الكلام أن العلماء يُقررون أن المسلم الذي ثبت له الإسلام لا يجوز لفردي من المسلمين أن يقتله أبدًا، حتى لو ارتدَّ عن دينه لا يجوز لفردي من المسلمين أن يقتله.

يعني رأى مسلمًا من جيرانه يسب الله، ويسب القرآن، ويسب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ما يجوز له أن يذهب ويأتي بمسدس وينتظره في الليل ويغتاله؛ لأنه يقول: فعل ما يوجب القتل، هذا لولي الأمر المسلم، ولا يجوز للأفراد أن يفعلوا ذلك، وقتل المسلم شأنه عظيم، حتى أنه جاء عن المقداد -

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال لرسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِّنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلْتَنِي فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا ثُمَّ لَأَذَمْنِي بِشَجَرَةٍ".

شوفوا الصورة يا أخوة كيف: في ساحة المعركة مسلم يُقاتل كافر، الكافر ضرب يد المسلم اليسرى وقطعها، ثم اختفى خلف شجرة، فقال: أَسَلَمْتُ اللهُ، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: «لَا تَقْتُلُهُ» ما دام قال: أسلمت لله فلا تقتله حتى في هذا الموطن، قال: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: إِنَّهُ قَطَعَ يَدِي ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا أَفَأَقْتُلُهُ؟ هُنَا يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ مُسْلِمًا حَقِيقَةً وَإِنَّمَا قَالَهَا؛ لِأَنَّهُ قَطَعَ يَدِي وَخَافَ أَنْ أَقْتُلَهُ، فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «لَا تَقْتُلُهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ» بمعنى أنه مسلم؛ لأنه قال: أسلمت لله، وأنت تكون فعلت ذنبًا عظيمًا وليس المقصود أنه يكفر بهذا، لكن المقصود أنه يكون فعل ذنبًا عظيمًا بهذا، والحديث في [الصحيحين].

▲ الضابط الثاني والأصل الثاني الذي يضبط هذا الأصل: عصمة الدماء تكون بالعهد والأمان للكفار، ليس كل كافر يجوز قتله، وإنما الكافر قد يكون معصوم الدم، وذلك إذا كان معاهدًا، أو من أهل الذمّة، أو من أهل الأمان؛

■ معاهدًا: أي أعطي العهد ودخل بالعهد، ومن عهود المسلمين اليوم التأشيرات، فإذا أُعطي للكافر تأشيرة ليدخل البلد أو أُذن له بدخول البلد المسلم ولو بدون تأشيرة فقد صار معاهد.

■ أو من أهل الذمّة من اليهود والنصارى الذين يُقيمون بين أظهر المسلمين.

■ أو من أهل الأمان: أُعطي الأمان ولو من رجلٍ مسلم، لو ما هو من الدولة، لو من رجلٍ مسلم ثبت له العصمة.

بل من عدالة الإسلام يا أخوة أن الفقهاء ذكروا: أن الكافر لو فهم الأمان خطأً ثبت له العصمة حتى يُرد، ذكر ابن قدامة شيئًا عجيبًا قال: "لو أشار مسلمٌ وهو في الصف إشارةً ففهم الكافر منها الأمان" يعني مثلًا من الأشياء المشهورة عند الناس أن الراية البيضاء تدل على الأمان، أنا لابس هذه العمامة البيضاء مثلًا ونحن في الصف نقاتل، فأخذت عمامتي هكذا وأصبحت أشير بها أنفصها من

الغبار، فرآها كافر فظن أني أشير إليه بالأمان، فنزل فجاء إليّ فقبض عليه فقال: هذا أشار لي بالأمان، قلت: لا، أنا كنت أنفض الغبار من عمّامي، قال ابن قدامة: "وجب على المسلمين رده إلى مأمنه" شوفوا يا أخوة: في ساحة المعركة وكافر جاء وسلّمنا نفسه، لكن لأن في شبهة أمان وفهم هذا عَصِم. ويدخل في ذلك العكس: إذا عاهدناهم نحن مثل الآن التأشيرات يأخذ المسلم تأشيرة بلد كافر ويدخل، هذا عهد يجب الوفاء به ولا يجوز أذيتهم في بلدانهم.

▪ وقد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ**» وهذا في [الصحيح]، «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا**» وهذا يشمل كل كافر آمن من قبل المسلمين بأي سبب من الأسباب؛ الأطباء، السفراء، السياح، مَنْ قتله لم يريح رائحة الجنة.

▪ وقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ لَمْ يَجِدْ رِيحَ الْجَنَّةِ**» رواه الإمام أحمد والنسائي وصححه الألباني.

▪ وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بغيرِ حِلِّهَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا**». «**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهِدَةً بغيرِ حِلِّهَا**» هذه مثل المسلم لا يجوز قتله إلا بالحق، وكذلك المعاهد لا يجوز قتله إلا بالحق مثل أن يقتل مؤمنًا متعمدًا أو نحو ذلك، والحديث رواه الإمام أحمد والنسائي وصححه الألباني.

▪ بل قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ**» وبعض العلماء يضبطها «**مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ فَقَتَلَهُ أُعْطِيَ لَوَاءَ غَدْرِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» رواه أحمد وابن ماجه والنسائي وصححه الألباني؛

- إما على لفظ «**مَنْ آمَنَ رَجُلًا**» كافر آمن رجلاً على نفسه، ظنّ أنه آمنه فقتله كان غادرًا وأُعطِيَ لواء الغدر يوم القيامة.

- وعلى ضبط: «**مَنْ آمَنَ رَجُلًا عَلَى نَفْسِهِ**» سواء هو بنفسه، أو برئيس الدولة، أو غير ذلك فقتله فإنه كان غادرًا يُعطى لواء الغدر يوم القيامة.

بل قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بَغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ، فَأَنَا حَاجِبُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أبو داود والبيهقي وصححه الألباني، والمعاهد كما قلنا: يشمل كل كافرٍ أُعطي الأمان.

هذه بعض المسائل المتعلقة بأصول أهل السنة والجماعة وأصول السلف الصالح -رِضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- ذكرناها لنعلمها، ونفهمها، ونعمل بها، وندعو إليها، ونصبر على ذلك، فنسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يُفَقِّهَنَا فِي دِينِهِ، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِالْعِلْمِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا رَحِمَةً لِلأُمَّةِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَصَلَّى اللهُ عَلَيَّ نَبِينَا وَسَلَّمَ.

لعلنا نقف وبعد المغرب إن شاء الله نأخذ جزءاً من الوقت في الكلام عن شخصيات شوّهت الإسلام، ثم نأخذ بقية الوقت في الإجابة عن الأسئلة التي وصلتنا وهي كثيرة، لكن سنُجيب عما نستطيع إن شاء الله، والله أعلم وَصَلَّى اللهُ عَلَيَّ نَبِينَا وَسَلَّمَ.



[شخصيات شوّهت الإسلام - أبو الأعلى المودودي]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمرحباً بإخواني الأحبة في هذا المجلس الرابع من مجالس يوم الخميس من أيام هذه الدورة التي أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعلها مباركة، في هذا الموضوع ذي الخطورة الكبرى والأهمية العظيمة، وهو الكلام عن شخصياتٍ شوّهت الإسلام حيث نسبت إليه ما ليس فيه، وهذا الشخصيات كما قلنا سابقاً شخصياتٌ قدّمت للعالم الإسلامي على أنها أئمة يُقتدى بها مع أن فكرها مجانفٌ للحق، مجانفٌ للصواب، مخالفٌ لما عليه أهل السنة والجماعة.

✦ واليوم نبدأ الكلام بالكلام عن أبي الأعلى المودودي قبل أن تكلم عن سيّد قطب؛ وذلك لأن المودودي هو الصورة الأصل لسيد قطب، فإن سيد قطب يكاد أن يكون نسخةً من المودودي حتى في أدق المسائل، غير أن سيد قطب تميّز بالبلاغة، فنبدأ بالمودودي قبل أن نتحدّث عن سيد قطب، وهذه الشخصيات كلها يجمعها رابط الغلو في السياسة.

وأبو الأعلى المودودي كالمتمدّمين الذين تكلمنا عنهم: جمال الدين الأفغاني، وحسن البنا سيطرت عليهم فكرة السياسة وإقامة الخلافة الإسلامية على فهمهم هم وبطريقتهم هم، وكانوا يرون أن تحقيق هذه الغاية تُغتفر فيه الوسائل، فالوسائل يُتساهل فيها من أجل تحقيق هذه الغاية؛ لأن الغاية تبرّر الوسيلة.

✍ أبو الأعلى المودودي من علماء الهند، ولد في الهند سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة، وعاش نحو ثمانٍ وسبعين سنة، وقد اشتغل في أول أمره بالصحافة، وأسّس الجماعة الإسلامية في الهند في سنة ألف وثلاثمائة وستين من الهجرة، وكان زعيماً ومفكراً لها، وقد كانت له أفكار تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة بناءً على سيطرة هذه الفكرة التي ما سيطرت على رأسٍ إلا حرفته، وهي: "الفكرة السياسية"، فكان عنده غلوٌ في السياسة والحكم حتى جعل ذلك غاية

الغايات من بعثة الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام - مخالفاً للأدلة وما أجمع عليه أهل السنّة والجماعة من أن الغاية من بعثة الرسل هي تحقيق التوحيد والعبودية لله - عَزَّ وَجَلَّ - .

يقول المودودي وقد ذكرنا شيئاً من كلامه فينا تقدّم في كلامنا عن خطر جماعة الإخوان، يقول: "الغاية المنشودة من رسالة أنبياء الله - عَلَيْهِمُ السَّلَام - في هذه الدنيا أن يُقيموا فيها الحكومة الإسلامية، ولذلك سعى كل نبيٍّ وكل رسولٍ لإحداث الانقلاب السياسي حينما بُعث... " إلى آخر كلامه الذي ذكرته لهم عندنا تكلمنا عن خطورة الإخوان المسلمين.

وقال: "إن إقامة حاكمية الله هي الهدف الذي بَعث من أجله الأنبياء - عَلَيْهِمُ السَّلَام -" وهم يقصرون الحاكمية على السياسة، هم عندما يتكلمون عن الحكم يقصدون بذلك السياسة فقط وعلى فهمهم.

ولذلك من لطائف الشيخ الألباني - رَحِمَهُ اللهُ - أنه ذكر في شريطٍ له أنه صلّى الجمعة في مسجد من مساجد الأردن وكان الخطيب - يقول فينا ذكر - لابساً البدلة والكرافتة، وكان يتكلم عن الحكم بغير ما أنزل الله بحماس، قال: وبعدهما فرغ من الخطبة قال قلت له: جزاك الله خيراً على حماسك وبيانك وجوب الحكم بما أنزل الله، لكن لا أراك تحكم بما أنزل الله، فأنت تلبس هذا اللباس الإفرنجي وحليق، وحكم الله أنه يجب أن تُعفي اللحية، وأنت نفسك ما تحكم بما أنزل الله.

هم طبعاً ما يرون أن الحكم بما أنزل الله يعني أن تلزم شريعة الله، بل في حقيقة أمرهم لا يعنون أن الحكم بما أنزل الله هي أن تقوم بتحكيم الشريعة في الحدود وغيره، هم يعنون أن تصل بالشريعة إلى الحكم، فهي سُلّم للوصول إلى الحكم.

ولذلك كان عند المودودي غلوٌ في الحاكمية وإيجاب السعي للوصول إليها، يقول: "كل من له أدنى بصيرة بمسائل الحياة الإنسانية لا يخفى عليه أن المسألة التي تتوقف عليها قضية صلاح شؤون البشرية وفسادها إنما هي مسألة زعامة الشؤون البشرية ومن بيده زمام أمرها"، وهذا يدل على أن هذا الرجل وسائر الرجال القادة في الفكر جماعة الإخوان المسلمين هم ينظرون إلى الحكومة، ولا ينظرون إلى تربية الناس على الدين، والعمل على إصلاح الناس بالدعوة إلى التوحيد والسنّة؛ لأن

المعلوم أنه إذا صلحت الرعيّة صلح الراعي، ما يعملون بهذا، وإنما هدفهم كله تربيةً وعملاً هو القمة، الرأس، الحكومة.

يقول المودودي: "إن مسألة القيادة والزعامة إنما هي مسألة المسائل في الحياة الإنسانية وأصل أصولها" بل إنه غلا حتى جعل الدعوة إنما تكون لهذه المسألة وتتمحور حول هذه المسألة، وأن هدف الدعاة يجب أن يكون تحقيق هذه المسألة.

يقول المودودي: "الذي يأتي داعياً إلى طريقٍ مخصوص لمعالجة شؤون الدنيا ويعتقد أن في اتباع هذا الطريق الفلاح والنجاة فلا بد له من أن يسعى ويجتهد لإحراز مقاليد السلطة والحكم" النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «لَا تَسْأَلُ الْإِمَارَةَ» وهم يقولون: الداعي يجب أن يكون هدفه أن يصل إلى مقاليد الحكم ومقاليد الزعامة، ولهذا كغيره كان يُجْرَسُ على الحُكَّام ويعتبر أن الحاكم الظالم الباغي الجائر تبطل ولايته بذلك، خلافاً لما عليه أهل السنة والجماعة من وجوب الصبر والنصيحة، وما دَلَّت عليه الأدلة.

يقول: "إذا تسلط ظالمٌ أو فاسقٌ على منصب الإمارة أو الإمامة فإمارته باطلة في نظر الإسلام" وهو يُصور الإسلام على أنه دين دموي ثوري، فيقول: "إن الإسلام فكرةٌ انقلايية"، أولاً: وصف الإسلام بأنه فكرة، وهذا من جهلهم، الإسلام ليس فكرة، الإسلام دين مبني على الوحي، "إن الإسلام فكرةٌ انقلايية ومنهاجٌ انقلاي".

ويُقرّر ويكرر أن الجهاد إنما هو الجهاد ضدَّ الحُكَّام، وأن الجهاد ليس قصده الإصلاح -إصلاح الناس- وإنما قصده الولاية، ولذلك يقول: "الجهاد الإسلامي لا يتعرّض لعقائد الناس ومناسكهم، أو مناهج شؤونهم الاجتماعية التي اختاروها وآثروها لأنفسهم، فلهم الخيار في أن يدينوا بما شاءوا من العقائد، ولهم الحرية التامة في أن يختاروا ما استحسَنوه من المناهج، لكنه لا يُرضى أن تكون لهم الحرية في تفسير دفة الحكم".

ويقول حاثاً على الثورات والنزاع المسلح، ومهوّناً من شأن منهج السلف ومنهج أهل السنة والجماعة في أن طريق الإصلاح هو الدعوة إلى التوحيد والسنة وعبادة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، يقول: "يُصبح من العبث الدعوة إلى الإسلام على طريقة التبشير المسيحي" انظر إلى ما في هذا الكلام من تنفير

وتقبيح لمنهج الدعوة السلمية، يقول: هذه الدعوة التي تقوم على السلم، وعلى التوحيد، وعلى عدم منازعة الحُكَّام، هذه مثل التبشير المسيحي عبث.

يقول: "يُصبح من العبث الدعوة إلى الإسلام على طريقة التبشير المسيحي ولو طُبعت ملايين النشرات تدعو إلى التمسُّك بالإسلام، وتصيح بالناس أن اتقوا الله صباح مساء لما كانت ذات فائدة تُذكر؛ إذ ما هي الفائدة العملية التي ستجتم عن تأكيد أن الإسلام صالحٌ لكل زمانٍ ومكان، وأن فوائده ومزاياه ليس لها مثيل عن طريق القلم والخطابة".

طيب ماذا يتصور؟

يقول: "إن حاجة العصر تتطلب إبراز هذه المزايا بصورة عملية، إنا نعيش في عالمٍ يقوم على الصراع والكفاح، والخطابة والوعظ لن تفلح في تغيير مجراه، ولكن الكفاح الثائر وحده هو الذي يستطيع ذلك".

▲ فجاء بمخالفتين عظيمتين للمنهج الشرعي:

- المخالفة الأولى: التهوين من شأن الدعوة السلمية الصحيحة.
- والمخالفة الثانية: الدعوة إلى الكفاح المسلح في داخل الديار الإسلامية.

ويقول مبيِّنًا ثمرة هذا الكفاح الذي يدعو إليه مهونًا من شأن الدعوة، ومعنى هذا: "أنتم يا معاشر التجار الذين تطبعون كتب التوحيد وتطبعون الرسائل لا تُضيِّعوا أموالكم في هذا، هاتوا أموالكم عندنا نحن للكفاح المسلح".

يقول: "لعله قد تبين لكم من كتاباتنا ورسائلنا أن غايتنا النهائية التي نقصدها من وراء ما نحن بصددنا الآن من الكفاح إنما هي إحداث الانقلاب في القيادة، وأعني بذلك: أن ما نبتغي الوصول إليه والظفر به في هذه الدنيا أن نُظهِر الأرض من أدناس قيادة الفسقة الفجرة وسيادتهم" ليس أن نُظهِر الأرض من الشرك، ليس أن نظهر الأرض من البدع، وإنما ان نُظهِر الأرض من أدناس قيادة الفسقة الفجرة وسيادتهم، فهم لا يرون هؤلاء الحُكَّام باعتبار أنهم فسقة بقولهم: أنهم حُكَّام بل يجب

إزالتهم والكفاح ضدّهم، وبهذا هم يُجيبون العمل المنظّم، فلا بد من أن يكون الإنسان متميّماً للتنظيم.

يقول المودودي: "إذا أراد أحدٌ اليوم أن يُطهّر الأرض ويستبدل فيها الصلاح بالفساد -يعني يُبدل الفساد بالصلاح-، والأمن بالاضطراب -يعني يُبدل الاضطراب بالأمن-، والأخلاق الزكية بالإباحية، والحسنات بالسيئات، لا يكفيه أبداً أن يدعوهم إلى الخير، وأن يعظهم بتقوى الله وخشيته، ويُرغّبهم في الأخلاق الحسنة، بل من المحتوم عليه أن يجمع من عناصر الإنسانية الصالحة ما يتمكن من جمعه، ويجعل منها كتلةً متضامنة، قوةً جماعية، تُمكنه من انتزاع زمام الأمر من الذين يقودون موكب الحضارة في الدنيا وإحداث الانقلاب المنشود في زعامة الأرض".

وهذا الفكر يقوم عليه كثير وفي كل البلدان، تجد بعض الناس حتى بعض خريجي الجامعات الإسلامية لا همّ له في الدعوة إلى التوحيد والسنة، المهم كله أن يمشد قوة تؤثر في السياسة، فعمله كله منصب على هذه القضية؛ لأنه ينطلق من هذا الفكر فكر المودودي وأمثاله.

✦ ولذلك كان المودودي يرى أن من فرائض الدين إسقاط الحكومات:

يقول: "كل من يؤمن بالله وبرسوله ويدين بدين الحق لا ينتهي عمله بأن يبذل الجهد المستطاع لإفراغ حياته في قالب الإسلام" ما يكفي أنه يجتهد أنه يجعل حياته كلها في الإسلام، "بل يلزمه بمقتضى ذلك الإيمان أن يستنفذ جميع قواه ومساعيه في انتزاع زمام الأمر" إذا كان يستنفذ جميع قواه ماذا بقي للدعوة والتوحيد والسنة؟ كل قواه يستنفذها في انتزاع زمام الأمر من؟ من أيدي الكافرين والفجرة الظالمين؛ يعني من أيدي هؤلاء الحكّام.

ومن أجل هذا الغلو في هذه الفكرة السياسية واستباحة إسقاط الحكّام ولو لم يكونوا كفرة، وهذه الفكرة في أصلها فكرة مخالفة لمنهج السلف الصالح مع ما ترتب عليها، لم يكن لأهل الفضل قيمة عند هذا الرجل، ولذلك تعرّض للصحابة، وطعن في عثمان كما ذكرنا سابقاً عنه فيما أحسب يقول: "كان الخليفة الثالث عثمان لا يتصف بتلك الخصائص التي أوتيها العظيومان اللذان سبقاه، فوجدت الجاهلية سبيلها إلى النظام الاجتماعي الإسلامي -أو الجماعي الإسلامي-".

ويقول أيضًا: "إن سيدنا عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حين خلف عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أخذ يجيد عن هذه السياسة رويدًا رويدًا" يعني أخذ يجيد عن سياسة أبي بكرٍ وعمر رويدًا رويدًا، معنى هذا أنه ينحرف، ثم قال: "فطفق يعهد إلى أقربائه بالمناسك الكبرى -هذه خيانة- ويخصهم بامتيازاتٍ أخرى اعترض الناس عليها".

ويقول أيضًا: "في القرون التي تلت ذلك العصر الزاهر -الذي هو عصر أبي بكرٍ وعمر- جعلت تبدل المعاني الأصلية الصحيحة لكلمات الإله، الرب، العبادة، الدين الطاغوت، -يعني تبدلت- فكانت النتيجة أن تعذر على الناس أن يدركوا حتى الغرض الحقيقي والمقصد الجوهرى من دعوة القرآن، فإذا دعاهم القرآن ألا يتخذوا من دون الله إلهًا ظنوا أنهم وفوا مطالب القرآن حقها لما تركوا الأصنام واعتزلوا الأوثان، والحال أنهم لا يزالون متشبثين بكل ما يسعه ويحيط به مفهوم الإله ما عدا الأوثان والأصنام وهم لا يشعرون أنهم بعملهم ذلك قد اتخذوا غير الله إلهًا".

لما رضوا بالحكّام ولم يُناوؤهم قد اتخذوا الحكام آلهة، فهذا الارتداد قديم في المسلمين بسبب أنهم سلّموا للحكّام، لاحظوا يا أخوة أن كلامه يشمل زمن الإمام أحمد، ويشمل زمن الأئمة الأربعة، هؤلاء ما لهم قيمة؛ لأنهم ما كان يُناوؤن الحكّام.

ويقول: "من الحق الذي لا مرأى فيه: أنه قد خفي على الناس معظم تعاليم القرآن، بل قد غابت عنهم روحه السامية وفكرته المركزية".

ويقول: "انتقلت أزمة السياسة والحكومة بعد عمر بن عبد العزيز إلى أيدي الجاهلية إلى الأبد" يعني من زمن عمر بن عبد العزيز المسألة صارت جاهلية، طبعًا هم يرون أنه من زمن عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بدأت الجاهلية، لكن من بعد عمر بن عبد العزيز انتقل الحكم إلى أيدي الجاهلية فصار الناس في جاهلية إلى الأبد.

يقول: "انتقلت أزمة السياسة والحكومة بعد عمر بن عبد العزيز إلى أيدي الجاهلية إلى الأبد، فقامت سلطة بني أمية، فبني العباس، فالملوك الأتراك، والذي جاءت به هذه الحكومات؛ هنا يا أخوة تلاحظون أن زهمهم أنهم يسعوا إلى الخلافة الإسلامية كذب؛ لأنهم هم يرون أن الخلاف الإسلامية التي كانت جاهلية، يُريدون خلافتهم هم وولايتهم هم، ولذلك حتى الخلافة العثمانية ما يرونها

حكومة شرعية، ولذلك ماذا يقول؟ "فقامت سلطة بني أمية -هذه جاهلية-، فبني العباس -جاهلية-، فالملوك الأتراك -جاهلية-".

ويقول بالنسبة للمسلمين في زمنه: "غير خاف أن الأمة التي تتسمّى اليوم بالمسلمين قد جمعت بين أحضانها كل رطبٍ ويابسٍ من الأفراد والرجال، فقد يوجد فيهم كل ما يوجد في الأمم الكافرة من أنواع الطبائع والأخلاق".

✦ ولذلك اعتبر أن الديار ديار كفر:

يقول: "وحيث إنه لا توجد دارٌ للإسلام كمدينة الرسول خارج القارة الهندية" يعني كمدينة الرسول في زمن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، (وحيث إنه لا توجد دارٌ للإسلام) لا في إندونيسيا، لا في ماليزيا، لا في السعودية، لا في مصر، لا في... ما توجد دار للإسلام، إذا ما هو دار للإسلام فهو دار كفر. يقول: وحيث إنه لا توجد دارٌ للإسلام كمدينة الرسول خارج القارة الهندية، فلا بد لنا من أن نوجد مثل هذه الدار في هذه البلاد" يعني نسعى لإقامة دار إسلام في الهند.

ويقول محمد عمارة وهو أحد مفكري الإخوان وأحد الكتّاب المشهورين ولا سيما في الصحافة: "لقد انفرد المودودي عن سبق من المفكرين والمجتهدين والمجددين وأعلام الصحوة الإسلامية بوصف واقع المسلمين ومجتمعاتهم بالجاهلية، وحكم عليها بالكفر"، طبعاً نحن سبق أن علمنا أن جمال الدين الأفغاني سبق المودودي في هذه القضية، لكن هم سلسلة، فكر يتوارثونه.

✦ وكتب المودودي وتفكره أثرت على سيد قطب جداً، ولذلك كما قلت لكم في المقدمة: إن سيد قطب يكاد يكون صورة من المودودي، فالمودودي أصل وسيد قطب فرع عنه، فهناك فقرات طويلة جداً ينقلها سيد قطب من كتب المودودي، وأما الفكر فهو الفكر، لكن حتى النقل ينقل فقرات طويلة جداً من كتب المودودي.

مثلاً: يقول محمد أحمد الراشد وهذا اسمٌ حركي: "قد اقتبس سيد في الظلال نصف رسالة الجهاد للمودودي في مكانٍ واحد".

وأثناء التحقيق مع سيد قطب كما في مضابط التحقيق سُئل: ألم تنقل هذه الأفكار -يعني الحاكمة والتكفير- من مؤلفات أبي الأعلى المودودي؟ فأجاب: "أنا انتفعت بكتب المودودي وغيرها من الكتب أثناء دراستي للإسلام".

ولذلك يقول أبي الحسن الندوي: "أعجب الكاتب الإسلامي الكبير الأستاذ سيد قطب إعجاباً شديداً بكتاب الأستاذ المودودي [المصطلحات الأربعة في القرآن]، ووافقه كل الموافقة في كل الآراء والأفكار التي يتضمنها".

ويقول الأستاذ القرضاوي: "تأثر سيد قطب تأثراً مباشراً بما كتبه المودودي".

ويقول راشد الغنوشي زعيم الإخوان في تونس وموجود الآن: "تأثر سيد قطب بفكر أبي الأعلى المودودي أشهر مفكري الإسلام في شبه القارة الهندية، لم تمنع مركزية العرب أن يتأثروا بالمودودي لدرجة التبعية ليحني العالم العربي نتيجة ذلك أفكاراً تكفيرية للأظمة والمجتمعات" وهذا منهم ويعترف بهذه القضية.

ويقول فهمي هويدي وهو أيضاً من الصحفيين المشهورين: "لما كان المودودي هو صاحب التأويل الجديد لفاعلية الشهادتين فقد كان طبيعياً أن يؤدي ذلك لفتح الطريق إلى اتهام المجتمع بالجاهلية، وهو ما يوحى به منهجه في كتاب [المصطلحات الأربعة]، وهو أيضاً ما نقله عنه وتوسع فيه الأستاذ سيد قطب بالأخص في مؤلفه الشهير [معالم في الطريق]، وفيه فقراتٌ صريحةٌ بهذا الصدد، وعندما أُثرت قضية التكفير في السبعينيات اتجهت الأنظار إلى كتابات المودودي وقطب".

ولما كانت هذه الفكرة السياسية مسيطرة على المودودي فإنه ما كان ينظر إلى الأمور الدينية، فما كان ينظر إلى سنّة وشيعة، وإنما ينظر إلى ثورة، ولذلك يمدح الثورات بغض النظر عن أهلها، ولما قامت الثورة الإيرانية أبدى المودودي تأييده لها وقال: "ثورة الخميني ثورةٌ إسلامية، والقائمون عليها هم جماعةٌ إسلامية وشبابٌ تلقوا التربية في الحركات الإسلامية، وعلى جميع المسلمين عامة والحركات الإسلامية خاصة أن تؤيد هذه الثورة، وأن تتعاون معها في جميع المجالات" وبهذا تعرف السر في كون جماعة الإخوان إلى اليوم ترتمي في أحضان إيران انطلاقاً من هذا، وقد زار المودودي الخميني وهناك بالثورة الشرعية التي قام بها في تلك البلاد.

وخلاصة الأمر يا أخوة: أن المودودي رجلٌ تأثر بفكرة السياسة والحاكمية حتى سيطرت على جميع أفكاره، وتفرّغ عن ذلك أفكاراً ضالّةً كثيرة، وهذه الأفكار الضالّة قد انتقلت إلى من بعده، ولا زالت مؤثرةً في شباب الحركات الإسلامية إلى اليوم.

لعلنا نقف هنا؛ لأن كما قلنا بالأمس نجعل الدرس هذا لمدة خمسين دقيقة ونقف الساعة السابعة وخمسين دقيقة ونُجيب عن بعض الأسئلة، ونُكمل غداً، أنبّه يا أخوة أن غداً إن شاء الله الجمعة سنبدأ الدروس الساعة الثامنة والنصف كالمعتاد، ونأخذ الدرس الأول الذي هو منهج السلف إلى الساعة التاسعة والنصف ثم نقف، ثم نأخذ الدرس الثاني مباشرة الذي هو [فِرَق خالفت منهج السلف] وغداً سنتكلم عن داعش إن شاء الله من الساعة التاسعة والنصف إلى العاشرة والنصف، ثم نقف تنصرفون للصلاة إن شاء الله والساعة الخامسة إلا ربع نبدأ دروس المساء.

[شخصيات شوّهت الإسلام - جمال الدين الأفغاني]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فإنني أحمد الله -عزَّ وجلَّ- أن يسّر لنا هذه اللقاءات، وهذه الدورة بحمد الله لها ميزاتٌ كثيرة:

- من أهمها: أنها تُلقَى عليكم أنتم من طلاب العلم والدعاة في هذه الجزيرة جزيرة لومبوك.

- ومنها: أنها في موضوعٍ شديد الأهمية تقوم عليه الدعوة ويقوم عليه خير الأمة.

- ومنها: أنها الدورة الشرعية الأولى التي تُقام في هذه الجزيرة.

وأسأل الله أن يجعلها مفتاح خير، وأن يُيسّر للأخوة إقامة دوراتٍ ودورات، فكما تقدّم معنا أن ميزات -وهذا سنتكلّم عنه إن شاء الله- أهل السنّة والجماعة: أنهم يهتمون بالعلم اهتماماً كبيراً، والعلم شجرة كل خير كما أن الجهل شجرة كل شر، فالحرص على العلم أمرٌ عظيم وأصلٌ كريم، ومن مظاهر ومعالِم الحرص على العلم في زماننا إقامة الدورات العلمية التي تُبنى على الأصول

العلمية الصحيحة، فأسأل الله الذي أنعم بهذه الدورة أن يُنعم ببركاتنا وخيراتها ونفعها، وأن يُنعم بإتمامها على خير، وأن يُنعم على الأخوة بالثواب العظيم وبالإعانة على إقامة مثل هذه الدورة. هذا الدرس وهو المجلس الرابع من مجالس يوم الثلاثاء خصصناه وما سيأتي إن شاء الله في الأيام التالية في نفس الوقت لموضوع مهم، وقد نبّه عليه مشايخ أهل السنّة وإن كان الاهتمام به قليلاً مع أهميته وخطورته؛ ألا وهو: [التنبية على شخصياتٍ شوّهت الإسلام فنسبت إلى الإسلام ما ليس منه، وصوّرت المسلمين بأقبح صورة].

فصورت المسلمين على أنهم قد ارتدّوا في الجملة، وأن مجتمعات المسلمين مجتمعات جاهلية كافرة وإن كانوا يؤدّون ويُصلون، وباعدت بين الراعي والرعيّة، وبين العلماء وعامة الناس، وبين الأب وابنه، والأخ وأخيه، وشجّعت على فشو التكفير بالجملة والاعتداء في ذلك، بل وشجّعت على استباحة الدماء والتقتيل والتفجير والتدمير، والإرهاب الشديد للناس من المسلمين وغير المسلمين الذين لا يستحقون الإرهاب، فهم وإن كانوا كفّارًا إلا أنهم غير محاربين.

وهذه الشخصيات من أسفٍ شديد أنها تُقدّم للمسلمين على أنها شخصيات علمية وأئمة، وينبغي أن يُقتدى بهم، وأن تُقتنى كتبهم، وأن تُقرّر مناهجهم، وصُبت كتبهم على الأمة صبًا، وتوزّع أحيانًا بالمجان ولا سيما على الشباب، وأنا في المرحلة الثانوية أهدي لي من كتبهم الشيء الكثير، ننجح بامتياز فيؤوزعون علينا هدايا، رأس الهدايا [معالم في الطريق] لسيد قطب، ندخل مسابقة فتنفوق فيُعطوننا هدايا رأس الهدايا [معالم في الطريق]، إلى غير ذلك من الكتب.

فكان من الحكمة والعلم ونحن نتحدث مع نُخب من طلاب العلم، ولا نتحدث مع العامة، نحن نتحدث في دورة علمية أن نُبيّن هذه الشخصيات، وأما الحديث مع العامة فيجب فيه مراعاة عقول العامة وحال العامة؛

▪ فإن كانت عقولهم تستوعب البيان وحالهم يتحمل البيان فإنه يُبيّن لهم الفرق الضالة بأسائها، والشخصيات الضالة بأسائها ويُبيّن ذلك.

▪ أما إذا كانت عقولهم لا تستوعب ذلك بل يكون ذلك لهم فتنة، والحال لا تناسب ذلك، فإنه يُحدّر من الفرق ومن الشخصيات ولو بدون ذكر الأسماء، فيقال: هناك أفكار

مثل فكر كذا بدون أن يُسمى جماعة الإخوان، جماعة التبليغ، أو سيد قطب، أو الأفغاني، أو نحو ذلك، لكن يُحذّر من الأفكار إذا كان كما قلنا: عقول العامة لا تستوعب البيان بالأسماء، وكانت الحال لا تناسب، فإنه لا يلزم ذكر الأسماء دائماً، ولا يلزم تركها دائماً. **﴿﴾** إذن يا أخوة: أنا أريد أن أُقرّر لكم قضية وأنتم دُعاة: أنه يجب أن يُفرّق بين التقرير العلمي بين طَلّاب العلم وبين مخاطبة العوام؛

أما التقرير العلمي بين طَلّاب العلم: فمجاله مفتوح وينبغي أن نعتني ببعضنا بذكر الأسماء وبيان الأخطاء ليقوّي بعضنا بعض، وحتى لا يدب إلى قلوبنا الباطل بدون أن نشعر. وأما العامة: فنعم إذا كانت عقولهم تستوعب والحال تُناسب فإننا أيضاً نذكر لهم ونُحذّر بالأسماء، أما إذا كانت عقولهم لا تستوعب والحال لا تُناسب فإننا نُحذّر من الأفكار ولا يلزم أن نذكر فلائناً وفلائناً.

﴿﴾ وأول الشخصيات التي نبدأ بها مجالس هذا القسم هو: [جمال الدين الأفغاني]؛ وهذه الشخصية شخصية مشهورة جداً، وتُعرّض للمسلمين على أنها شخصية مفكّرة ومن كبار الشخصيات في هذا الباب، وجمال الدين الأفغاني ولد سنة ألف وثمانمئة وثمانية وثلاثين ميلادي، والمترجمون له اختلفوا في أصله:

▪ فبعضهم يقول: أصوله أفغانية وهو من أفغانستان.

▪ وبعضهم يقول: أصوله إيرانية فهو من إيران.

ثم لأن أفكاره فيها اختلاط شديد المترجمون له اختلفوا أيضاً في عقيدته:

▪ فبعضهم يقول: هو سنّي يميل إلى الشيعة.

▪ وبعضهم يقول: هو شيعي يُجادع السنّة.

وسبب ذلك: ما في أفكاره من تداخل واضطراب.

﴿﴾ هذه الشخصية رحّالة، سافر كثيراً وكان نشيطاً جداً، وله أفكار ضالة شوّه بها صورة الإسلام: **﴿﴾** فمن ذلك: الغلو في السياسة، والغلو في الحاكمية، وجعل الحكم مجالاً للصراع بين المسلمين، فالأفغاني غلا في السياسة والحكم حتى جعل ذلك غاية الغايات، وكانت خططه وبرامجه وأنشطته

تقوم على هذه القضية؛ قضية الحكم والسياسة، وقد اصطبغ منهجه بالفكر السياسي، والفكر السياسي معلوم أنه يعتمد على أن الغاية تبرر الوسيلة، مبدأ ميكافيلي: "أن الغاية تبرر الوسيلة"، فكان في منهجه على هذه الطريقة.

يقول محمد عبده وهو أبرز تلاميذ جمال الدين الأفغاني، يقول عن شيخه: "إنه طموحٌ إلى مقصده السياسي، إذا لاحت له بارقةٌ منه تعجّل السير للوصول إليه" يعني هو طموح للسياسة فإذا لاحت له أي بارقة استعجل، ثم يقول محمد عبده: "وكثيرًا ما كان التعجّل علّة الحرمان" كما يقول الفقهاء: (من استعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه).

وبالمناسبة يا أخوة: هذه صفة ملازمة للإخوان، الإخوان لا يستفيدون من الدروس ويتعجّلون، ولذلك تتكرر مواقفهم مع جمال عبد الناصر، مع السادات، بعد سقوط مبارك، ما يستفيدون من التاريخ، دائمًا من يتصارعون معه يجعلهم كبش فداء ويتعجّلون؛

■ في زمن عبد الناصر تعجلوا فأظهروا رؤوسهم فقطعها.

■ في زمن السادات كذلك.

■ لما سقط مبارك يعرف الدهاة أنه بعد سقوط الرئيس ستكون المطالبات الشعبية عالية

جدًّا والطموح الشعبي عالي جدًّا، فالذي يأتي بعده سيحترق مهها فعلوا، فقدّم هؤلاء

وفازوا واحترقوا مباشرة، وهم محترقون أصلًا، منهجهم فاسد.

جمال الدين الأفغاني كان طموحًا للسياسة فإذا لاحت له فرصة تعجّل، هذا ما حكاه عنه تلميذه محمد عبده.

▲ والأفغاني يا أخوة هذا له مكانة عند قادة إيران الدينية والسياسية:

يقول خامنئي المرشد الديني في إيران: "إن مسألة الحاكمية والبعث الإسلامي الجديد طُرحتا للمرة

الأولى في الفضاء العالمي على يدي السيد جمال الدين الأفغاني" وهذا الطموح السياسي جعل الأفغاني

على طريقة الخوارج وعلى منهجهم للوصول إلى الغاية.

✪ ثانيًا من أفكاره المنحرفة التي شوّهت صورة الإسلام وهي مرتبطة بالفكر الأول: أنه يتخذ المنهج

التحريضي والثوري ضد الحكّام، فكان يُمجّد الثورات، يقول ممجّدًا الثورة الفرنسية وجاعلاً لها

مثالاً يُحتذى وأنه يجب على المسلمين أن يحتذوا بها وأن يقتدوا بها، يقول: "والدعوة لطلب الحرية في فرنسا وهي دعوة ومطلب حق، وكم صادف أهلها من المحن، وكيف استحرَّ فيهم القتل وسالت الدماء، واليوم فالعالم يُقدِّرهم ولسوف يقتدي بهم".

وكان تلاميذه يعرفونه بهذا حتى لقبَّوه بأبي الثورات، يقول أحد تلاميذه عنه: "إن السيد -والسيد يا أخوة هو لقب جمال الدين الأفغاني، إذا قالوا: السيد فمعلوم به جمال الدين الأفغاني- لم يكن شيئاً سوى رجلٍ ثوري المقصد، ناري الطبع، على بصيرةٍ وعلم -هكذا يزعم-، وكان داعيةً للهيّاج، غليظ القلب، شديد البطش".

ويقول محمد لطفي جمعة: "إني أفسّر كل ما حدث في البلاد من الثورات، والنهضات القومية، والنزعات الدستورية بفعل جمال الدين دون سواه"؛ فهو تُردُّ إليه فكرة الثورات.

وقد كان في أفغانستان والله أعلم؛ لأن هذا هو أصلاً من أفغانستان أو رحل إلى أفغانستان وكان يدخل في سلك الحكومة، حينما كان أمير أفغانستان دوست محمد خان، ولما توفي الأمير كان له ولدان، فتقلد إماره أفغانستان ولي عهده شير علي خان، وكان جمال الدين أفغاني يميل إلى أخيه، وتدخل في الثورات وقام نزاع بين الأخوين في الحكم، وأشعل الصراعات على الحكم في أفغانستان. ولما انتقل إلى مصر كان ذلك في عهد الخديوي إسماعيل، أول ما وصل قُدِّم على أنه عالم فتعرّف عليه بعض الأزاهرة، بعض طلاب الأزهر وكان يُحرضهم ويُحرض من يأتي إليه على ما يُسمونه بالتحريض والثورة، وسعى بعض الناس إلى أن يجعله يكتب في الجرائد ليروج فكره، وصار يكتب مقالات في الجرائد وأصبح له نفوذ وسمعة بتمرير فكره الثوري التحريضي، وكان يوزع على الناس ما يُحبون من أجل أن يستميلهم إلى فكره.

تعرفون ما يُسمى بالسعوط؟ التبغ يُصنع منه أحياناً سعوطاً، مسحوق يُدخل في الأنف، وهذا أحد أنواع التبغ، فكان يأتي في المقهى ويُوزع على الناس السعوط من أجل أن يُقبلوا إليه وينشر إليهم الفكر.

يقول الصحفي المصري أحمد بهاء الدين: "كان جمال الدين يجلس كل مساء في مقهى متاتيا -اسم المقهى- يوزع السعوط بيمناه والثورة يُسراه" وطبعاً يا أخوة هذه الطريقة طريقة الإخوان، هم

يجمعون الأموال من أغنياء المسلمين بحُجَّة التبرعات ومساعدة المسلمين ثم يستعملونها وسيلةً لتمير فكرهم وتقرير دروسهم، وكان يُجالسه بعض الذين قاموا بالثورات مثل: سامي البارودي، ومثل سعد زغلول، وغير ذلك، وأخذوا منه فكر الثورة، ثم أصبح يتدخل في السياسة في مصر بقوة؛ لأنه أصبح له أتباع وله نشاط وله وجود.

▲ وكان يخطب في العوام ويُحرضهم ويُشجعهم:

مثلاً مرة يقول لهم في كلمته: "إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وتربيتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم، وأنت تحملون عبئ نير الفاتحين، وتُعنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتكم الحيف والجور، وتُنزل بكم الحسف والذل، وأنت صابرون بل راضون، وتتزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلَّب من عرض جباهكم بالمقرعة والسوط -يعني الحكومة تأخذ منكم الضرائب وتأخذ منكم الأموال- وأنتم في غفلةٍ معرضون، فلو كان في عروقكم دمٌ فيه كرياتٌ حيوية، وفي رؤوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية لما رضيتم بهذا الظلم، ولما رضيتم بهذه المسكنة".

إلى آخر ما قاله من كلامٍ تحريضي مما يجعله يُبيِّج العوام، وطبعاً هذه طريقة الإخوان: مخاطبة عواطف العوام وتمييجهم، ويستخدمون لباس الدين وسيلةً لخداع العامة، فهم يستخدمون طريقتين:

- الأمر الأول: العاطفة؛ أنتم عبيد، وأنتم عبيد العبيد.
- والأمر الثاني: حب الدين، وأن للمجتمع صار كافرًا؛ لأن الحكومة كافرة ونحو ذلك.

وله خطبٌ كثيرة تحريضية في هذا الباب.

ومما استعمله في هذا: تأسيس الأحزاب السياسية، فأنَّس حزبًا سياسيًا في مصر من أجل أغراضه، ومما يُقال: أن جمال الدين الأفغاني وكذلك الإخوان لا يؤسسون الأحزاب للمشاركة، ولكنهم يؤسسون الأحزاب للمغالبة، طبعًا الديموقراطية هذا شيء ما نتكلَّم عنها الآن، لكن هم إذا أنشأوا حزب لا يُنشئونه ليشاركوا بقية الأحزاب، ولكن يُنشئونه ليصلوا إلى الحكم ليغلبوا ثم يمنعوا غيرهم.

وكان يستعمل المقالات في تبرير فكره، وكان يُشجّع أتباعه على إنشاء الجرائد والمجلات؛ لأنه يعرف أن وسائل الإعلام هي أعظم وسائل التأثير في الناس اليوم، وهكذا هم يتوجهون إلى الإعلام ليُسيطروا عليه، ولذلك إذا وجدوا أن الإعلام يُخالفهم يُحاولون القضاء عليه، ويُحاولون إبعاد أهل الحق عن وسائل الإعلام، ولذلك ينبغي على أهل الحق أن يعتنوا بوسائل الإعلام؛ إنشاء الإذاعات، إنشاء التلفاز، الكتابة في الصحف، بحسب الإمكان.

وكان تلاميذه يُنشئون صحفًا يتكلمون فيها عن فساد الطبقة الحاكمة وينشرون قصصًا، كما هو الواقع اليوم، الإنترنت مليء بالأكاذيب، ويأتون لك بصورة مركبة، يأتون بحاكم لدولة ما وحوله خمس نساء عرايا ويرقص بينهم ونحو ذلك، وهم يستخدمون الإعلام لدغدغة عواطف العوام، وأكثر ما يستعملونه أكاذيب.

ولذلك لما حدث ما حدث لإخواننا في بورما، أعلامهم كان يأتي بصور بشعة جدًا ويقول: هذا الذي حدث في بورما من أجل أن تمتلئ قلوب الناس حقًا على الحكام الذين لا يُساعدون إخواننا كما يقولون، وتبيّن أن الصور التي أتوا لها ليست لأحداث في بورما، نحن نعرف أن إخواننا يُعانون معاناة شديدة في بورما، لكن الذي أظهره في الصور بعضه كان حادثة في كوريا، وبعضه كان كذا، لكن أظهره على أنه حال إخواننا في بورما من أجل ليس لنصرة الأخوة في بورما لا، لكن من أجل ملء قلوب الرعية في كل بلد حقًا على الحاكم، وهذا هو المنهج الذي كان يسير عليه الأفغاني في الجرائد التي يجعل تلاميذه يُنشئونها؛ تنشر القصص والمقالات التي تملأ القلوب حقًا على الطبقة الحاكمة.

وعندما تولّى الخديوي توفيق الحكم تنبّه إلى خطر جمال الدين الأفغاني، وأنه يُخطط لإقامة دولة يكون رئيسًا لها هو جمال الدين الأفغاني، فنفته الحكومة المصرية فذهب إلى الهند بعد أن غرس الفكر الثوري في كثيرٍ من الشباب في مصر، ولما وصل إلى الهند أُقيم أو أُلزم بالإقامة الجبرية لتنبههم لخطورته من الناحية السياسية.

▲ والثورات في مصر كلها تعترف بأن القائد هو جمال الدين الأفغاني:

يقول سعد زغلول في خطبة له: "لست خالق هذه النهضة -يعني الثورة- كما قال بعض خطباءكم، لا أقول ذلك ولا أدعيه، بل لا أتصوره، إنما نهضتكم قديمة من عهد محمد علي وعرابي وللسيد جمال الدين الأفغاني وأتبعه وتلامذته أثرٌ كبيرٌ فيها، وهذا حقٌ يجب ألا نكتمه".

ويقول سيد قطب وهو شخصية من الشخصيات التي شوّهت الإسلام وسنتكلم عنه إن شاء الله، يقول: "إن ثورة ٢٣ يوليو سنة ثنتين وخمسين ليست سوى الامتداد الطبيعي لثروة ٩ سبتمبر سنة إحدى وثمانين، بل إن جذور ثورة ٩ سبتمبر ترجع إلى ما هو أبعد، ترجع إلى اليوم الذي وقف فيه جمال الدين الأفغاني قبل خلع الخديوي إسماعيل يخطب في الإسكندرية" طبعًا هذا الفكر التحريضي لجمال الدين الأفغاني كان منهجًا ممتدًا ووقع أيضًا في إيران ونحو ذلك.

والوقائع في هذا الباب كثيرة جدًا، ولكن يكفي أن نعرف أن هذا المنهج كان منهجًا له يُسيطر عليه، وهذا كان له تأثيره في فكر الإخوان المسلمين، حيث سيطرت على الإخوان المسلمين فكرة الحاكمية وإقامة الدولة والثورة على الحُكَّام.

✽ من فكر جمال الدين الأفغاني الذي شوّه الإسلام حيث أضاف للإسلام ما ليس منه، وكانت أصلًا لفكر الإخوان المسلمين كما سيأتي إن شاء الله -عزَّ وجلَّ-:

أنه كان يؤسس للاغتيالات السياسية واغتيال الخصوم والإرهاب، وهذا طبعًا يا أخوة لازم لكل من يسعى للوصول إلى الحكم بطريقة غير شرعية، لا بد أن يغتال مخالفه؛ إما معنويًا، وإما جسديًا، فكر الاغتيالات ملازم للجماعات السياسية وللشخصيات السياسية.

ولذلك يا أخوة نجد أن الإخوان المسلمين كما سيأتي إن شاء الله يقومون باغتيال خصومهم؛ إما معنويًا بالألقاب المنفرة وبالأوصاف المنفرة حتى يسقط الإنسان عند العوام؛ فهذا الداعية ليبرالي مع أن الداعية المسكين ما يعرف الليبرالية لكن ليبرالي ومع الليبراليين من أجل أن يسقط، وطبعًا في الفترة الأخيرة أحدثوا ألقابًا لأهل السنّة ليغتالوهم معنويًا، فإذا قام داعية وطالب علم وعُرف بين الناس قالوا: هذا مدخل، هذا جامي، هذا كذا من أجل أن يُسقطوه عند العامة، الآن عندكم إذا تكلم أحد ودرس طالب علم وكذا قالوا: هذا وهابي، هذا يأتي بالإسلام السعودي ليستقطوه ويغتالوه معنويًا، أو يغتالونه جسديًا ويُصنّفون جسديًا.

فكان جمال الدين الأفغاني يتخذ الاغتيالات وسيلة من وسائل تحقيق الفكر السياسي، ولا سيما اغتيال الحُكَّام، قال في حديث له مرة: "لا أمل في الإصلاح قبل قطع ستة أو سبعة رؤوس"، وسمي سبعة من الحُكَّام، يقول: لن يتحقق الإصلاح حتى نقطع رؤوسهم ونقتلهم.

وقال كلمة: "إن الحاكم إذا حنث بقسمه وخان دستور الأمة؛ إما أن يبقى رأسه بلا تاج، وإما أن يبقى تاجه بلا رأس"؛

▪ (إما أن يبقى رأسه بلا تاج) فيُسقط.

▪ (وإما أن يبقى تاجه بلا رأس) فيُعْتَال.

وقد خطط لاغتيال الحكام في زمنه وهذا ذكره تلاميذه وخواص تلاميذه، ولهم في ذلك خطط كثيرة في اغتيال الحكام في مصر وفي غير مصر، وسبحان الله هذا الرجل كان له تحريض عند السنة وتحريض عند الشيعة؛ لأن فكره السياسي هو الغالب عليه من غير نظرٍ إلى المذهب، وهذا الفكر انتقل أيضًا إلى شخصيات الإخوان كما سيأتي إن شاء الله.

✻ من فكره أيضًا: إنشاء التنظيمات السرية والاعتماد على السرية لتحقيق الأهداف السياسية، فعُرف عنه أنه كلما وصل إلى مكان أنشأ جماعة سرية، ولذلك يقول عنه رشيد رضا، يقول عن الأفغاني: "قل من يعرف أسرار الخفية ومقاصده السياسية"؛ لأنه يتخذ طابع السرية حتى يظهر فيقوم بالتحريض، وقد أنشأ جماعة سرية في بلاد الحجاز وسماها جماعة أم القرى لإقامة الخليفة كما يزعم، وقد تنبّه السلطان عبد الحميد لهذه الجماعة وعرفها وعرف أسرارها ففضى عليها بعد وقت يسير من تأسيسها.

هناك قضية خطيرة جدًّا في فكر جمال الدين الأفغاني والحقيقة أن هناك عدّة كتب تحدّثت عن هذه القضية وتحدّثت عن جمال الدين الأفغاني، لكن نحن نركز الكلام؛ لأن ليس عندنا وقت طويل:

من أخطر ما يتعلق بجمال الدين الأفغاني: أنه انضمَّ إلى الماسونية، إلى المحفّل الماسوني في أسكوتلندا، وعندما رأى أن هذا لا يُحقّق هدفه السياسي أنشأ محفلاً ماسونيًّا في فرنسا وأدخل فيه عددًا من أصحاب النفوذ في مصر، وألّفوا حزبًا سياسيًا، وهذا في الحقيقة ستجدون أنه صفة ملازمة لهذه

الشخصيات التي سنذكرها الدخول في الماسونية؛ لأن الماسونية تُحقق لهم أهدافهم السياسية، وكما قلنا: هم يتبعون المنهج الميكافيلي: الغاية تبرّر الوسيلة.

كل ما نذكره يا أخوة إنما هو مأخوذ من كلام تلاميذ جمال الدين الأفغاني والمؤرخين المعاصرين له: أنشأ جمعيات كثيرة سرية في كثير من الأماكن لتحقيق أهدافه، والتحق بالمنهج الماسوني، وكانت له صلات مشبوهة بدول استعمارية كثيرة.

يقول الشيخ رشيد رضا: "وجّه جمال الدين همّته إلى استخدام الماسونية في تعليم تلامذته ما لا يُمكن التصريح به إلا في جمعية سرية، فدخل في الماسونية، ودخل معه تلامذته النابغون، فجعل بهم قوة للمصريين، وصار رئيس محفلهم الماسوني".

يقول محمد عبده وهو كما قلنا: من أخص تلاميذ الأفغاني، يقول: "في أواخر أيام إسماعيل -يعني الخديوي إسماعيل- حاول البعض إدخال الماسونية إلى مصر، وكانت جميع المحافل المصرية متصلةً بالمحافل الأوروبية، وقد انضمَّ الشيخ جمال الدين إلى أحد هذه المحافل، ولكنه لم يجد لها قيمة فخرج منها" يعني دخل فيها من أجل أن يستغلها للحصول إلى مقاصده السياسية فلم يجد لها قيمة فخرج منها.

ومن فكر جمال الدين الأفغاني المنحرف الذي هو في الحقيقة صفة لازمة لهذه الشخصيات: التلون والمتاجرة بالدين، فكان يتلون بحسب مصلحته، وكان يُتاجر بالدين، فدعا دعوات لتحقيق مآربه، دعا إلى ما يُسمى بالجامعة الإسلامية يعني الخلافة، ودعا إلى ما سماه الجامعة الشرقية، ثم دعا إلى الرأسمالية، وهاجم الاشتراكية، ثم دعا إلى الاشتراكية وهاجم الرأسمالية، حتى جعله ذلك يُهاجم عثمان بن عفان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ويزعم أنه من رؤوس الرأسمالية، وسبحان الله هذا الخليفة الراشد هدف هذه الشخصيات، كلهم يُهاجمونه ويذمُّونه ويسبُّونه.

وكان هو يُنبّه على هذا التلاعب الذي يسير عليه، له جملة يقول فيها: "الدنيا لعب فمن ربحها ربح، ومن خسرها خسر" يقول: نحن في ملعب في لعب، فلا بد أن نربحها فنتلون بحسب ما نربح به القضية، وكان يُحاول أن يستصدر الفتاوى التي توافق فكره وتلبّس فكره لباس الدين، لكن ما وجد

عند أهل السنة هذا، ماذا فعل؟ ذهب إلى مراجع الشيعة ليستصدر فتاوى دينية تصبغ على فكره الصبغة الدينية.

✳ ومن فكره الخبيث الذي شوّه به الإسلام: الطعن في بعض الصحابة والزعم أن بعض الصحابة ثوريون، فهو يستخدم أمرين:

▪ الأمر الأول: الطعن في بعض الصحابة.

▪ والأمر الثاني: الزعم أن بعض الصحابة ثوريون.

ليوهم الناس أن الثورة منهج للصحابة -رَضَوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

كما انظروا ماذا يقول عن عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-:

يقول: "جاء زمن خلافة عثمان بن عفان وفي خلالها ظهر أثره خاصة للأمويين، وفي زمنٍ قصيرٍ من خلافة عثمان تغيرت الحالة الروحية في الأمة تغيرًا محسوسًا، وأشد ما كان منها ظهورًا في سيرته وسير العمال والأمراء وذوي القربى من الخليفة وأرباب الثورة" فيطعن في عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-؛ لأنه كان يؤثر أقاربه بالأموال والسلطة.

يقول: "وكان أول من تنبّه لهذا الخطر الذي يتهدد الملك والجامعة الإسلامية: الصحابيُّ الجليل أبو ذر الغفاري" فذكر قصصًا لأبي ذر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- تُظهره بمظهر أنه ثوري على ولاية الأمر في زمنه، وما كان أحدٌ من الصحابة -رَضَوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- على هذا المنهج الخبيث، وقد بين العلماء منهج أبي ذر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، حتى أن أبا ذر قال لعثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: "لو أمرتني أن أتعلق بعروة قطبٍ لتعلقت بها أبدًا حتى أموت" يعني يقول: لو أمرتني بشيء فأنا أطيعك، لو قلت لي: اذهب وتعلق بعروة قطب واجلس واعتزل الناس فإني سأذهب حتى أموت.

وقد جاء أنه لما خرج أبو ذر إلى الربذة المنطقة القريبة من المدينة لقيه ركبٌ من أهل العراق عندهم فتنه، فقالوا: يا أبا ذر؛ قد بلغنا الذي صنّع بك فاعقد لواءً حتى يأتيك رجالٌ ما شئت، نحن معك، اعقد لواء، اخرج على عثمان، فقال: "مهلاً يا أهل الإسلام، فإني سمعت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «سَيَكُونُ بَعْدِي سُلْطَانٌ فَأَعْرِزُوهُ، مِنَ التَّمَسِّ ذُلَّهُ نَغْرٌ تُغْرَةٌ فِي الإِسْلَامِ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ

تَوْبَةٌ حَتَّى يُعِيدَهَا كَمَا كَانَتْ»؛ فأبو ذر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- كان على منهج الصحابة جميعاً: على السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله، وعلى النهي عن الخروج.

✽ من فكر جمال الدين الأفغاني وهو الذي انتقل إلى من بعده كما سيأتيكم إن شاء الله: أنه كان يغلو في نقد الواقع وتصوير المجتمع بأبشع الصور من أجل الوصول إلى المقصود، يعني مثلاً: يقول شكيب أرسلان يقول: "قال لي جمال الدين في إحدى المرات: قد فسدت أخلاق المسلمين إلى حدٍّ ألا أمل بأن يصلحوا إلا بأن ينشئوا خلقاً جديداً، وجيلاً مستأنفاً، فحبذا لو لم يبقَ منهم إلا كل من هو دون الثانية عشر من العمر والبقية يموتون، فعند ذلك يتلقون تربيةً جدية تسير بهم في طريق السلامة".

وقال مرةً: "إن المسلمين -لاحظوا يا أخوة التعميم على المسلمين- قد سقطت همهم، ونامت عزائمهم، وقام شيءٌ واحدٌ فيهم وهو شهواتهم" يعني ما فيهم خير. فهذه بعض أفكار جمال الدين الأفغاني، ونحن بدأنا به يا أخوة؛ لأنه شخصية أظهرت للناس ولا زال إلى اليوم يُظهِرُونه على أنه مجدد، ولأن جميع الشخصيات المعاصرة التي انحرفت فكرياً لها تأثير بجمال الدين الأفغاني، والذي في أفكاره انتقل إلى من بعده من الشخصيات كما سيأتي إن شاء الله في الشخصيات الأخرى، حيث ستتكلم غداً إن شاء الله عن سيد قطب، طبعاً جمال الدين الأفغاني هناك أشياء كثيرة ذكرها المعاصرين له أنا طويتها من أجل الوقت فقط، غداً إن شاء الله ستتكلم عن سيد قطب، وعن الفكر الذي شوّه به الإسلام.

نحن يا أخوة لم نتكلم عن أشخاص جلسوا في بيوتهم، نحن نتكلم عن أشخاص أبرزوا للأمة على أنهم مثال، وعلى أنهم قدوة، وعلى أنهم أئمة، ونحن لا نتكلم عن جنة ونار، من مات قد أفضى إلى من تقدّم، الإمام الذهبي يقول في [سير أعلام النبلاء]: "إننا لتكلم في رجالٍ قد يكونوا قد حطّوا رحالهم في الجنة" ما ندرى، نحن ما نُكفّرهم حتى نقول: إنهم من أهل النار جزماً، ومن لم يكن كافراً فإن الله قد يغفر له.

نحن ما نتكلم عن جنة ونار، وما نتكلم عن كفر وإسلام، نحن نتكلم عن فكر هؤلاء الناس من جهة تشويهِهم للإسلام، ومن جهة أثره في تربية ناشئة الإسلام في زمنٍ من الأزمان على الفكر

المنحرف وعلى الطرق الضالة، أما هم فقد أفضوا إلى ما قَدَّموا، والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أعلم بعباده، لكن نحن نتكلم عن شخصيات نشرت فكرًا وأبرزت للناس على أنها شخصيات تقود الأمة لنُبِيْن أن هذه الشخصيات إنما تبنت أفكارًا ضالة، وحملت فكرًا ضارًا، وكانت سببًا في تشويه الإنسان في نظر كثير من المسلمين فاعتنقوا طرقًا غير صحيحة، في نظر غير المسلمين أيضًا.

فلعلنا نقف هنا، ونُكمل غدًا إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- حيث سنتكلم عن حسن البنأ ونتكلم عن سيد قطب إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-. لعله إذا كان في أسئلة نحن قلنا: نترك عشرين دقيقة في كل درس للأسئلة، وعندنا الآن بعد الدرس لقاء مفتوح، الحقيقة الأخوة جعلوه من ثمانية ونصف إلى تسعة، الآن الوقت ثمانية وربع، سنستمر إلى ثمانية وخمسة وأربعين دقيقة إن شاء الله ثم نتوقف؛ لأننا تعبنا وأنتم تعبتم.

← ولكن لا بد من صبرٍ على التعب، لا بد:

كما يقول ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ-: "لا تُنال الجنة إلا على جسرٍ من التعب، ومن أثر الراحة فاتته الراحة" الذي ما يصبر على التعب ويبحث عن الراحة تفوته الراحة الحقيقية. ويقول بعض الحكماء: "من لزم الوسادة لم يبلغ منازل السادة" من لزم الوسادة ويبحث عن الراحة، ومثلهما يقول الشيخ عبد الرحمن: عن النوم، وعن مجالس الضحك، والمجالس التي لا يكون فيها علم، لم يبلغ منازل السادة، سيبقى على الوسادة، فلا بد من صبر على التعب على أن تُراعي أيضًا هذه القضية، فلا نُثقل كثيرًا.



[شخصيات شوّهت الإسلام - حسن البنّا]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فهذا هو المجلس الرابع من مجالس يوم الأربعاء، وهو اليوم الثالث من أيام هذه الدورة في جزيرة لومبوك [دراسات في المنهج]، وهذا الوقت مخصّص في جدول الدورة لموضوع يحسن بطالب العلم معرفته، وأن يستفيدوا منه في البيان للناس بحسب حالة الناس وحاجة الناس؛ ألا وهو: [شخصيات شوّهت الإسلام].

ونعني بذلك أن هناك شخصياتٍ قدّمت للعالم الإسلامي على أنها شخصياتٌ قياديةٌ علميةٌ كبرى ينبغي الاقتداء بها والأخذ عنها، وهي في الحقيقة تحمل أفكارًا مخالفةً لمنهج السلف الصالح -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ- وتنسب إلى الإسلام ما ليس منه مما يخرج عن العدل إلى الظلم، وعن الرحمة إلى العنف، إلى غير ذلك من الأمور الضالة الضارة التي انتهجتها تلك الشخصيات.

وقد بدأنا المجالس بالكلام عن جمال الدين الأفغاني؛ لأن هذا الرجل قد أثر في أغلب الشخصيات التي شوّهت الإسلام، وهو مؤثّر رئيس في ظهور جماعة الإخوان المسلمين بأفكارها وخطرها الذي أشرنا إليه، وسترون أن أكثر ما نذكره عن هذه الشخصيات قد تقدّم ذكره عن جمال الدين الأفغاني؛ لأنه أصلٌ وهم فروع، واستمدوا منه نفس الطريقة ونفس الفكر.

✦ والشخصية الثانية التي نتكلّم عنها: هي شخصية حسن البنّا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، والإمام الأكبر عند جماعة الإخوان المسلمين؛ فالإمام المنتهى وبه الاقتداء عند جماعة الإخوان المسلمين.

حسن البنّا اسمه: حسن بن أحمد بن عبد الرحمن محمد البنّا الساعاتي.

▪ وقد وُلِدَ في سنة ستّ وتسعمئة بعد الألف من الميلاد؛ يعني ألف وتسعمئة وستة من

الميلاد، وقد نشأ في أحضان الصوفية، فانتسب منذ صباه إلى الطريقة الحصافية الصوفية،

وكان نشطاً في الدعوة إلى هذه الطريقة.

▪ وفي سنة سبعٍ وعشرين تخرَّج من مدرسة دار العلوم وعيَّن مدرسًا بإحدى مدن مصر، وفي أثناء ذلك نشأت فكرة إنشاء الجماعة في رأسه.

▪ وفي عام ثمانيةٍ وعشرين قام بإنشاء جماعة الإخوان المسلمين والأخوات المسلمات؛ لأنه بدأ بالإخوان الذكور، ثم أنشأ فرقة للأخوات المسلمات وذلك في سنة ثلاثٍ وثلاثين؛ يعني بعد خمس سنين من إنشاء جماعة الإخوان المسلمين.

ثم انتقل من تلك المدينة التي هي الإسماعلية إلى القاهرة، وأصبح المركز العام للإخوان المسلمين في القاهرة، وهو المحرِّك للإخوان المسلمين في العالم كله، فلا يتحرَّك إخوانيٌّ ولا يتخذ موقفاً إلا بإشارة من المركز العام في القاهرة.

وكانت فكرة الإخوان المسلمين تقوم على مسألة مناوأة الحُكَّام وعلى مسألة الحاكمة كما ذكرنا في مسألة الفرق المنحرفة المخالفة لمنهج السلف، وقد نشطت حركة الإخوان المسلمين في كتابة الرسائل والمطبوعات التي تُكرِّس لفكرها، وأول ما طبعوه: [القانون الأساسي للإخوان المسلمين] الذي تضمَّن الأصول، ويُعدُّ في الحقيقة هو الكتاب الأصل للإخوان المسلمين، وأصدروا أيضًا الصحف والمجلات، وأنشأوا مجلة اسمها: جماعة الإخوان المسلمين، كل هذا بأمر حسن البنَّا.

وكان حسن البنَّا يستهدف الطلاب، ولا زال الإخوان يستهدفون الطلاب، وذلك يحرصون على زرع الكوادر في المدارس ولا سيما آخر المتوسطة وأول الثانوية؛ لأن هذا السن سن السفطاط خاصة المرحلة الثانوية؛ يعني حتى أن بعضهم في المملكة تهيأت لهم فرصة التدريس في الجامعات فأخروا ذلك بقوا في الثانويات؛ لأنه مجال خصب للاستقطاب وزراعة الأفراد.

وأول خطاب لحسن البنَّا صرَّح فيه بمنهجه ألقاه على الطلاب في سنة ألفٍ وثلاثمئة وستة وخمسين من الهجرة، سنة ثمانٍ وثلاثين ميلادياً.

✦ وكان لحسن البنَّا نشاط سياسي: فقد ترشَّح في انتخابات النواب ثم ترك ذلك، وكان حريصًا على تنظيم الكتائب للإخوان المسلمين، وكانت له علاقات مشبوهة بدول الاستعمال، ولا زال الإخوان يربطون العلاقات الوثيقة بدول الكفر ويهاجمونها في العلن مثل الصوفية تمامًا.

الصوفية الآن يسعون إلى إقامة التعاون الوثيق مع الدول غير الإسلامية بزعمهم لنشر الدين الوسطي ومحاربة التطرف، طبعاً مباشرة تعرفون ماذا يقصدون بالتطرف، وهم الآن يفخرون بأنهم ذهبوا إلى أمريكا مع الجفري في وفد، فكانوا في الصف الأول في مجلس الكونغريس، وكانوا في الصف الأول في وزارة الخارجية، وأنهم اتفقوا على التعاون لمحاربة التطرف، وأن الصوفية هي الدين الوسطي.

وهكذا في الحقيقة كل من انحرف عن منهج السلف هم يرتمون في أحضان أعداء المسلمين، حتى لو صرَّحوا في العلن بالعداوة، فكان البنائين يقابل مناديب من السفارات؛ كالمندوب من السفارة البريطانية الذي التقى حسن البنائين ثم أعلن أن الإخوان المسلمين ينبغي تقديرهم، وأن صورة الإخوان المسلمين تغيرت في ذهنه بعد هذا اللقاء.

← طبعاً حسن البنائين قُتل أمام مقر جمعية الإخوان المسلمين، وكان ذلك في سنة تسع وأربعين وتسعمئة بعد الألف ميلادية، ولكنه خلف جماعةً باقيةً على فكره ومنهجه.

✦ وقد كان حسن البنائين يتصف بصفاتٍ سياسية وطرقٍ لتحقيق السياسة: منها مسألة التلؤن والتدرُّج، فتعامل كل مرحلة بحسب حالها، ويُمكن أن يُغيَّر الأسلوب بحسب الحال، ويُتدرَّج في ذلك، وهذا واضح في خطابات حسن البنائين وطرقته في الإخوان المسلمين.

مما يدلُّك على هذا يا أخوة: أن الإخوان المسلمين أول ما أنشئت أنشئت على أنها جمعية وجمعية نفع عام ولا علاقة لها بالسياسة، فكانت هناك مادة تمنع الإخوان من المشاركة في الأنشطة السياسية، لكن في عام خمسة وثلاثين ميلادية -يعني خمسة ثلاثين وتسعمئة بعد الألف ميلادية- عمل حسن البنائين على إلغاء هذه المادة، وهي المادة الثانية من قانون الإخوان التي تمنع الإخوان من المشاركة في الأنشطة السياسية.

وكان هذا الإلغاء من حسن البنائين لهذه المادة إيذاناً بإعلان المقصد الصحيح لإنشاء جماعة الإخوان المسلمين؛ وهي مسألة الأنشطة السياسية والوصول إلى الحكم، يعني في البداية يقولون: نحن جماعة تربوية ثقافية اجتماعية، ثم ألغوا هذه المادة.

وكتب حسن البنّا رسالة أسماها: [التعريف بالإخوان المسلمين] سنة ستّ وثلاثين ميلادية فقال: "الإخوان المسلمين غايتهم إنهاء العالم الإسلامي، وتوجيه نهضته إلى الاعتماد على الأصول الإسلامية الصحيحة لتكون كل مظاهر حياة الأمة مرتبطةً على قواعد الإسلام الصحيح، والإخوان المسلمون يعتمدون في تحقيق غايتهم على التربية والثقافة" طبعًا هذا زعم لكي يروج فكر الإخوان المسلمين، وإلا كما سمعنا سابقًا لما دخلوا في هذه الأنشطة أصبح كل شيء يمكن أن يُلغى ويوقف في سبيل تحقيق الدولة الإسلامية بفكرهم وطريقتهم.

وحتى مع إلغاء حسن البنّا للمادة التي تمنع الإخوان المسلمين من المشاركة في الأنشطة السياسية فإنه لم يبدأ بإظهار هذا مباشرة، بل بقي في ذلك يأخذ بطريقة التلميح وطريقة التعبيرات التي لا فهمها كل أحد، إلى أن تمّ التصريح بهذا.

ولما صرّح بهذا، طبعًا هو يُدرك أنهم كانوا يقولون: نحن جماعة تربوية ثقافية، نعمل على إنهاء المسلمين للأصول الصحيحة، ثم صرّحوا بالسياسة، فقال في خطابٍ له: "قد يقول بعض الناس بعد انصرافنا من هذا الحفل: إن الإخوان المسلمين قد تركت مبادئها، وخرجت على صفتها، وصارت جماعةً سياسية بعد أن كانت جمعيةً دينية، ثم ذهب كل متأولٍ في ناحيةٍ من نواحي التأويل ملتمسًا أسباب هذا الانقلاب في نظره، وعلم الله أيها السادة أن الإخوان ما كانوا يومًا من الإيذان غير سياسيين".

يعني من أول يوم وهم سياسيون، لكن هم يعتمدون على التلون والمخادعة، فأول ما ظهروا على أنهم جمعية دينية ثقافية تربوية للدعوة إلى الأصول الصحيحة، لكن انظروا ماذا يقول: "علم الله أيها السادة أن الإخوان ما كانوا يومًا من الإيذان غير سياسيين، ولن يكونوا يومًا من الأيام غير مسلمين" يعني أنهم سياسيون مسلمون.

"وما فرّقت دعوتهم أبدًا بين السياسة والدين"، قلت: بل إن دعوتهم جعلت الدين هو السياسة، والهدف هو السياسة، بل كما سمعنا من المودودي اليوم: أن الرسل إنما بُعثوا لإقامة الحكومات وللثورات.

وقال أيضًا: "وقد قرر الإسلام سلطة الأمة وأكدها، وأوصى بأن يكون كل مسلمٍ مشرفًا تمام الإشراف على تصرّف حكومته، يُقدّم لها النصيح والمعونة ويُناقشها الحساب"؛ يعني أن لهم ولاية على الولاية، وهذه مسألة سياسية، وأصبح يُمهّد للخروج والثورات.

فمن أقواله أنه قال: "ومن هنا كانت الكتيبة التي شقت عصا الطاعة على الحجاج وحاربت، وأنكرت عليه بقيادة ابن الأشعث تسمى كتيبة الفقهاء" تلميح لمسألة الخروج والثورات على الحاكم الفاسق. وقد عقد الإخوان مؤتمرًا برئاسة البنا وطالبوا فيه الهيئات الإسلامية جميعًا بالاشتراك الفعلي في السياسة، مع العمل على تكوين اتحاد عام لهذه الحركات السياسية في العالم الإسلامي، فظهر فكر حسن البنّا الإخواني القائم على السياسة، وليس قضية ثقافة وتربية دعوة إلى الأصول.

يقول محمود عبد الحليم: "حين قويت شوكة الدعوة -يعني إلى الجماعة- واشتدّ ساعدها بعد أن دارت رحى الحرب العالمية الثانية أخذ صوت حسن البنّا يُججلج -يعني بدأ يتكلم بوضوح وبصوت قوي- ولأول مرة اخترق صوته أذانهم حين وقف على منصة المؤتمر الخامس سنة سبع وخمسين وثلاثمئة وألف من الهجرة يُلقي بيانه الذي وضح فيه موقف الإخوان المسلمين من جميع الجهات والأفكار والهيئات في الداخل والخارج، وتعرّض فيه للساسنة المصريين".

وأنشأ حسن البنّا مجلة اسمها [النذير] وكتبوا في افتتاحيتها: "كانت مصر يوم أن نبتت هذه الدعوة المجدّدة دعوة الإخوان المسلمين لا تملك من أمر نفسها قليلًا ولا كثيرًا، يحكمها الغاصبون، ويستبدُّ بأمورها المستعمرون، وأبنائها يُجاهدون في سبيل استرداد حريتها والمطالبة باستقلالها، ولم يخلّ الجو من منازعاتٍ حزبية وحزازاتٍ سياسية تذكّنها مآرب شخصية، ولم يشأ الإخوان المسلمون أن يزجوا بأنفسهم في هذه الميادين منصرفين إلى ميدانٍ مثمرٍ منتج هو ميدان تربية الأمة، وتغيير العرف العام، وتزكية النفوس، وتطهير الأرواح، هذه مرحلة من مراحل الإخوان التي اجتزناها بسلام" هذه مرحلة، ليست هدفًا ولا مقصدًا ولا غاية.

"هذه مرحلة من مراحل الإخوان التي اجتزناها بسلام وفق الخطة الموضوعية لها" والسؤال: ما خطواتكم الثانية؟! أقول لكم فاسمعوا -هكذا يقولون في الافتتاحية-: سننتقل من خير دعوة العامة إلى خير دعوة الخاصة، ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال، وستتوجه

بدعوتنا إلى المسؤولين من قادة البلد وزعمائه ووزرائه وحكامه، وسندعوهم إلى مناهجنا، ونضع بين أيديهم برنامجنا، وسنطالبهم بأن يسيروا بهذا البلد المسلم، بل بجميع الأقطار الإسلامية في طريق الإسلام - على حسب فهمهم - في جرأة لا تردد معها، وفي وضوح لا لبس فيه، ومن غير مواربة أو مداورة، فنحن حربٌ على كل زعيمٍ أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصره الإسلام"

لا تعمل على نصره الإسلام بحسب فهمهم، ولذلك هم ما كانوا يرون أن الملك عبد العزيز وأبناءه من بعده دولة إسلامية مع أنهم يُحكّمون الشريعة، ويُحقّقون التوحيد، والمناهج عندهم في الدراسة كلها شرعية، لكن ليس هذا المراد، وإنما المراد عندهم بالإسلام الإسلام السياسي الذي يتبنّونه. "سنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة معها حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق".

ثم في سنة خمسٍ وأربعين وتسعمئة غيرٍ أيضًا قانون الإخوان المسلمين وأضيفت إليه مواد فيها العمل السياسي والنضال السياسي كما يقولون.

وقد تعمّد كما ذكرت لكم حسن البنا على أن يُموّه على الناس بهذه الجمعية: فأظهرها بأنها صوفية، وأظهرها بأنها كذا وتربوية وثقافية من أجل ألا يتتبه الناس لها.

ولذلك يقول عباس حسن السيبي وهو عضو بمكتب الإرشاد بجماعة الإخوان: "الحقيقة أن هذه الدعوة بقيت مجهولة للأعداد؛ إذ كانوا يعدّونها واحدة من الطرق الصوفية، أو جمعية دينية تقليدية من الجمعيات التي كانت منشرة في مصر آنذاك التي لا يتعدّى نشاطها الميدان الاجتماعي، حتى استصدر الإخوان رخصة بمجلة النذير وهي سياسية أسبوعية، وقد ظهر منها واضحًا اتجاه الإخوان الوطني وابتدأهم بالكفاح السياسي" وهذا كله فكر حسن البنا.

وحسن البنا من فكره: أن الخلافة هي الهدف الأعظم للمسلم، فيجب البدء بالأعلى وهو الخلافة، والحقيقة أنا أقول: إن الذي يدرس فكر حسن البنا يعلم أن الخلافة عنده هي البدء وهي المنتهى.

يقول حسن البنا: "الإخوان المسلمون يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها في رأس منهاجهم" وهكذا قرّر المرشدون من بعد حسن البنا هذه القضية، ومن آراء حسن البنا كما تقدّم معنا: أن العمل بالسياسة كمال لدين المسلم، وأن الذي لا يعمل بالسياسة فدينه ناقص، وله كلمات كثيرة في هذا الباب.

✦ وحسن البنّا كما ذكرنا عن جمال الدين الأفغاني عنده غلوٌ في باب السياسة وباب الخلافة على فهم الإخوان المسلمون، فهم ينسفون جميع الحكام المسلمين من أجل إقامة خلافتهم: يقول حسن البنّا: "ليس للمسلمين الآن إمام أبداً في أي مكان، فتعال ننسى كل شيء الآن - كما نقلت لكم اليوم-، وتعال نُعطّل كل شيء أمام القضية الكبرى قضية تحرير الأرض الإسلامية، فلنجعل هذا غايتنا الأولى؛ إذ أنه بدون هذه الحكومة الإسلامية التي تحمي شرع الله فلا نظام للمسلمين ولا أحكام".

ولذلك الإخوان المسلمون عندهم بيعة كما ذكرت لكم ولكنها ليست لعامة الناس، وهي بيعة بدعية ويُتكرون البيعة الشرعية التي هي البيعة لولي الأمر المسلم في البلد المسلم، من ذلك مثلاً تقول زينب الغزالي: "التقيت بالأستاذ البنّا فقلت له ونحن نصعد الدرج: "اللهم إني أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام، وأرخص ما أقدمه في سبيلها دمي - هذا تقوله زينب الغزالي - فقال: وأنا قبلت البيعة" فكان حسن البنّا يأمر بالبيعة ويلزم بها وهي بيعة بدعية غير شرعية. طبعاً حسن البنّا كان يطعن في الحكام ولا يعدّهم ولاه، ولا يعدّهم أئمة للمسلمين، وكلامه في هذا كثير وهو الذي انعكس على جماعة الإخوان المسلمين.

✦ حسن البنّا يرى أن الثورة ضدّ الحكام والخروج عليهم وخلعهم من الدين، عكس الأدلة:

يقول حسن البنّا: "إذا قصّرت الحكومة فالنصح والإرشاد ثم الخلع والإبعاد" يعني إذا لم يستجيبوا لنا فإننا نثور ونخلع الحاكم ونُبعده، ولذلك يا أخوة رسّخ حسن البنّا ومن بعده الإخوان المسلمون أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم عقد إجارة؛ يعني أن الناس استأجروا الحاكم؛ فهو ليس عقداً شرعياً، وليست بيعة شرعية وإنما هو عقد إجارة بين الحاكم والرعية، فالحاكم خادم والرعية هم السيد، والمعلوم أنه لو ترسخت هذه الفكرة فالسيد يفعل في الخادم ما يشاء، إذا لم يُعجبه الخادم طرده، ويخلع العقد متى شاء.

يقول حسن البنّا: "الحكومة الإسلامية بحق تؤدي مهمتها كخادمٍ للأمة وأجيرٍ عندها"، والمفكّرون الإخوانيون رسّخوا هذه القضية: أن الولاية للحكام هي عقد إجارة؛ لأن هذا يجعل السلطة للشعب وليس للحاكم، ويجعل العقدة التي بين الشعب والحاكم عقدة اختيارية حسب المصلحة، أنت لو

استأجرت أجييراً ليبنى لك مثلاً حائطاً، فرأيته يعمل فلم يُعجبك عمله، ماذا تفعل؟ تقول له: امشي، وهكذا بالنسبة للرعية مع الحاكم، وهذا كما تعرفون يُخالف الأدلة الشرعية في هذا المبدأ.

✦ وكلامهم في الحقيقة في قضية إسقاط الحاكم والخروج عليه كثيرة جداً، وحسن البناء رَسَخَ فكرة مهاجمة الحكام علناً، وهذا المنهج الفاسد الذي يُخالف المنهج الشرعي ويُخالف كمنهج السلف في مسألة التعامل مع الحكام كما ذكرنا في أصول السلف؛

يقول حسن البناء في افتتاحية العدد الخامس من مجلة [النذير]: " أيها الزعماء والوزراء والمترقبون والمنتظرون والآملون والمرشحون لمناصب الحكم ومظاهر السلطة: ما دمتم ضعاف العزائم والإرادات فلن تصلح على أيديكم مصر، وما دمتم تحبون أنفسكم أكثر من هذا الوطن، وتعملون لمصالحكم الشخصية أكثر مما تعملون لهذه الأمة، وتؤثرون التردّي في هذه الهوات النفسانية، وتخشون الناس أكثر مما تخافون الله، وتجاهلون الإنجليز والأجانب وغير المسلمين أكثر مما تجاهلون رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لكنهم قومٌ لا يعلمون، وأمتهم من بعده، فلن تصلح على أيديكم مصر ولن تحققوا لها أملاً صغيراً أو كبيراً، فأعذروا أنفسكم أيها الناس وارفعوا رايةً تدعون الوزراء والحكّام إليها؛ إن أجابوا ونفّذوا فهو صلاح أمركم وأمرهم، وإن أبوا فجاهدوهم جهاداً كبيراً".

فرسَخَ منهج الطعن في الإخوان علناً، وفي الإعلام، وفي الجرائد، وتهديد الحكّام، ومبدأ الخروج أيضاً، وهذا كثيرٌ في كلامه.

من فكر حسن البناء: كجمال الدين الأفغاني التكفير، وقد ذكرت لكم اليوم أن جماعة الإخوان جماعة تكفيرية منذ إنشائها، ولم يطأ عليها التفكير في فكر سيد قطب بل من الأصل، ونقلت لكم بعض كلام حسن البناء في هذا الأمر.

✦ وحسن البناء رَسَخَ فكرة النظرة السوداء للمجتمع وأنه مجتمع فاسد، فكان يُقرّر هذا، وأصبح هذا من فكر هذه الجماعة في كل مكان؛

مثلاً يقول حسن البناء: "إن مظاهر الفساد في حياة الأمة المصرية من كل نواحيها أوضح من أن يتناولها بيان أو يُفصلها قومه"، وجاء قوله: "إننا نعلم أن الزنا يُرتكب في مصر سرّاً وجهاراً، وأن

الخمر يُشرب على قارعة الطريق ليلاً ونهاراً" نحن طبعاً لا ننكر يا أخوة أن هذه موجودة، لكن نقول: هي فكرة النظرة السوداوية للمجتمع، وأن الضلال أصبح هو الأصل في المجتمع، هذا سيدعو الناس إلى ماذا الأتباع؟ إلى البحث عن مجتمع بديل.

ولذلك سيأتينا إن شاء الله يوم السبت وتكلمنا عن هذا أن الإخوان المسلمين يبدأون بالمفاصلة الشعورية للمجتمع، فيعيشون في المجتمع لكن كأنهم ليسوا معه، ثم ينتقلون إلى المجتمع البديل لهذا المجتمع الفاسد، فهم هكذا؛ أولاً: يغفلون في إظهار فساد المجتمع، ثم يجعلون الأتباع يُفصلون المجتمع مفاصلة شعورية، ثم تأتي الهجرة إلى المجتمع البديل.

يقول حسن البنّا في تصوير الناس في مصر: "يُحَيَّلُ إِلَى أن الناس قد فقدت الشعور بالكرامة، والإحساس بالشرف، فتحجّرت قلوبهم، وتبدّلت أفئدتهم، فغدوا لا يستنكرون جريمة، ولا يثورون على رذيلة، وانقلبوا آلات ميكانيكية تتحرك بغير عقلٍ أو عاطفة، وتسير على غير هدًى أو غاية، وقد أَلْفُوا المنكرات وألغتهم، وأنسوا إلى الفواحش وأنست بهم، فأصبحوا يسبحون في بحر الشهوات، ويغوصون إلى الأذهان في الأدران والقاذورات".

طبعاً لاحظ هذا التعبير: "يُحَيَّلُ إِلَى أن الناس" فالغلو في تصوير الواقع من أجل أن يبحث الناس عن مجتمع بديل ويُمهّد للخروج، هذا كان فكراً موجوداً عند حسن البنّا ونقله إلى الإخوان المسلمين، وطبعاً نقلت لكم اليوم أن حسن البنّا يؤسّس بمنهج التكفير، ونقلت لكم قوله: "قد عبد العرب قديماً الأصنام وهم لا يملكون نفعا ولا ضرا، وهنا نحن نعبد أصناماً في شكل زعماء".

ولما ألقى رئيس وزراء مصر كلمة خاطبه بقول: "يا رئيس وزارة مصر؛ ليس لي أن أطلب أن تلغي هذه الكلمة" ماذا قال؛ لأن رئيس وزراء مصر في لندن، فقال: "إنني رئيس وزراء مصر لا رئيس وزراء فلسطين" هو صادق، هو رئيس وزراء مصر ليس رئيس وزراء فلسطين، فيقول له: "يا رئيس وزارة مصر؛ ليس لي أن أطلب أن تلغي هذه الكلمة قبل أن أطلب إليك في غير غلو ولا إسراف أن تُجدد إسلامك"؛

■ فهو على المنهج التكفيري وكان يفعل ذلك.

▪ هو كذلك أيضًا على منهج الاغتيالات، ولذلك أنشأ النظام السري الذي تكلمنا عليه اليوم.

▪ وأيضًا قررت لكم اليوم أن حسن البنّا يرى أن أفكار سيد قطب هي أفكار الإخوان، وأنه حين قرأ كتاب [العدالة الاجتماعية] قال: "هذه أفكارنا".

كح طبعًا حسن البنّا أسس لفكر التعصّب لجماعة الإخوان المسلمين ووجوب السمع والطاعة المطلقة لقادة الجماعة، وخطاباته وبياناته في ذلك كثيرة جدًا حتى أنه جعل فكر الإخوان ميزانًا يوزن به الناس:

يعني مثلاً يقول: "موقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحبًا به، وما خالفها فنحن برآء منه" وهذا في الحقيقة المنهج تكّرس عند الإخوان، فأصبح المدح والولاء بموافقة الجماعة لا بالتدين والصلاح، وأصبح البغض والبراء بمخالفة الجماعة، وهذا الذي رسّخه حسن البنّا في فكره.

وهذا على كل حال بعض ما كان عليه حسن البنّا وترسّخ في فكر الإخوان المسلمين، وأستطيع أن أقول: إن كل ما ذكرناه من خطورة الإخوان المسلمين هو فكر حسن البنّا الذي شوّه الإسلام ونسب إليه ما ليس منه وما ليس فيه، لعلنا نقف عند هذا الموقف كما وعدنا أن نتكلم لمدة خمسين دقيقة ثم نُجيب عن الأسئلة لمدة ربع ساعة أو ثلث ساعة، وأسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعل فيما نقول نفعًا وخيرًا وبركة والله أعلم.

[شخصيات شوهت الإسلام - سيد قطب]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فهذا المجلس هو آخر مجالس يوم الجمعة، وهو في نفس الوقت آخر مجالس هذه الدورة التي أسأل أن يجعلها نافعةً لنا في الدنيا والآخرة، وأن يجعل ما قدّمناه فيها مما ينفع الأمة ويسرنا عند لقاء ربنا - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، هذا المجلس كما عهدتم نعقده في الكلام عن شخصياتٍ قدّمت للأمة على أنها أئمة وأنها قدوات، وأنها يؤخذ عنها الدين، والواقع أن فكرها فكرٌ فيه انحرافٌ كبيرٌ مما شوّه الإسلام بنسبتها إليه.

ونختم الكلام عن هذه الشخصيات بالكلام عن سيد قطب، وهو من أعظم الشخصيات تأثيراً في الفكر الثوري التكفيري السياسي، وقد أثر في الأمة شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً تأثيراً عظيماً، وكما قلت: نحن لا نتعرض لهذه الشخصيات في ذواتها، وإنما نتعرض لها باعتبار أنها قدّمت للأمة وأبرزت للأمة.

سيد قطب هو اسمه: سيد قطب إبراهيم الشاذلي، ولد في مصر في أسبوط في سنة أربع وعشرين وثلاثمئة بعد الألف من الهجرة، ودرس في دار العلوم بالقاهرة، وكان يُحب الثورات من شبابه، وشارك في ثورة سنة تسعة عشر وتسعمئة بعد الألف الميلادية، وكان في بداية أمره تلميذاً للأديب المشهور عباس محمود العقاد، ولازمه طويلاً واستفاد من أساليبه، واكتسب البلاغة العالية في الخطب والتأليف من هذه الملازمة.

وكان سيد قطب في ذلك الوقت يهتم بالأدب ويكتب مقالاتٍ أدبية لا تخلو من عباراتٍ ثورية، ولكنه كان في المسار الأدبي إلى الأربعينات الميلادية، وهناك بدأ التغيُّر يظهر عليه بعد أن كان قبل ذلك كما قلنا: يهتم بالناحية الأدبية، بل ويتبع بعض الأمور التي تحدث في أوروبا ومن ذلك مسألة التعرّي، كان في فترة من الفترات يدعو إليها وكتب مقالاً في هذا.

يقول محمود عبد الحليم وهو أحد المهتمين والمؤرخين من الإخوان المسلمين: "قرأت في ذلك الوقت في جريدة الأهرام مقالاً لسيد قطب يدعو فيه دعوة صريحة إلى العُري التام، وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم"، وكانت هذه البدعة قد انتشرت في بعض بلاد أوروبا.

ثم في الأربعينات بدأت الميول الدينية تظهر عند سيد قطب، وبدأ يكتب مقالات دينية، وبدأ يكتب بعض المقالات في تفسير القرآن، وفي سنة ثلاثة وخمسين بعد التسعمئة والألف الميلادية انضم رسمياً إلى جماعة الإخوان المسلمين بعد أن كان قبل ذلك متعاطفاً معهم، وانتُخب عضواً في مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين، وعُيّن رئيساً لتحرير مجلة الإخوان المسلمين، وحدثت أحداث معروفة وسُجن فيها سيد قطب وفي آخر الأمر حُكِم عليه بالإعدام وقُتل في سنة ألف وثلاثمئة وستة وثمانين هجرية وهي السنة التي ولدت فيها.

كان لسيد قطب أفكار كثيرة منحرفة يجمعها الانحراف السياسي والتكفيري كمن تقدّمه من الشخصيات، ولكنه كان أكثر تأثيراً في هذا الباب من تقدّمه وذلك لبلاغة أسلوبه مما جعل كتبه تنتشر في الآفاق، وقد طبع الإخوان كتبه بالملايين، وأصبحت كتبه توزّع على الناس في كل مكان حتى كانت توزّع في السعودية في الجامعات وفي الثانويات على أنها هدايا.

فكان سيد قطب كمن تقدّمه غالباً في شأن الحكم والسياسة يتبع المودودي خطوة بخطوة وذراعاً بذراع، حتى أنه عدّ الحاكمية هي مظهر لا إله إلا الله، فقال: "دين الله هو الحكم بما أنزل الله دون سواه" طبعاً لو كانوا يفهمون الحكم بما أنزل الله بمعناه الصحيح وأنه يشمل الدين كله لكانت هذه العبارة لها وجه صحيح، لكن هم يفهمون الحكم بما أنزل الله أن يتولوا الحكم لا أن يُحكّموا الشريعة، ولا أن يدعو إلى التوحيد، ولا غير ذلك، ما نقول هذا من أنفسنا، هذا واقع، لما تولوا الحكم في مصر قريباً عطّلوا تحكيم الشرعية قالوا: هذه مسائل فقهية أصلاً.

يقول: "دين الله هو الحكم بما أنزل الله دون سواه، فهذا هو مظهر سلطان الله، مظهر حاكمية الله، مظهر أن لا إله إلا الله".

ويقول: "إن أخصّ خصائص الألوهية هي الحاكمية" ولهذا هم يُفسّرون التوحيد الذي هو حق الله بالحاكمية، مثلما قلنا في التبليغ يُفسّرون التوحيد ويُفسّرون الكلمة الطيبة بتوحيد الربوبية ولهم

مخالفات في فهم توحيد الربوبية، فإن هؤلاء يُفسرون التوحيد ولا إله إلا الله بالحاكمية ولهم مخالفاتٌ كبرى في فهم الحاكمية، ولو طُبِّق عليهم ما يُقررونه في مسألة الحاكمية لحُكِمَ عليهم بالكفر، ولكن أهل السنة أهل عدل يحكمون على وفق الحق.

وقد كرر سيد قطب مرارًا وتكرارًا أن الشرك الأعظم هو شرك الحاكمية، وقد حكم على المجتمعات بالجاهلية وعلى الحُكَّام بالطاغوتية، يقول مثلاً: "إن الذي يحول دون تحول المجتمعات الجاهلية إلى النظام الإسلامي هو وجود الطواغيت التي تأبى أن تكون الحاكمية لله، فتأبى أن تكون الربوبية في حياة البشر، والألوهية في الأرض لله وحده، وتخرج بذلك من الإسلام خروجًا كاملاً" هذه المجتمعات الجاهلية والحُكَّام، فهو قصر توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وجميع التوحيد على الحاكمية، وهذا مخالفٌ لنصوص الكتاب والسنة ولما أجمع عليه سلف الأمة.

✦ ومن غلوه في هذا وأنه عدَّ المجتمعات أصلًا ليست إسلامية: أنه رأى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا مجال له الآن، لا يوجد مجال أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، لماذا؟ قال: لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع المسلم وما في مجتمع مسلم.

يقول: "إن كل النصوص القرآنية والنبوية التي ورد فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت تتحدث عن واجب المسلم في مجتمع مسلم، فأما المجتمعات الجاهلية التي لا تتحاكم إلى شريعة الله، فالمنكر الأكبر فيها هو رفع ألوهية الله" طبعًا رفع ألوهية الله يعني الحاكمية على مفهومهم هم، "هذا المنكر الكبير الأساسي الجذري وهو الذي يجب أن يتوجه إليه الإنكار قبل الدخول في المنكرات الجزئية؛ يعني عبادة القبور وما يتعلق بها هذه لا يُلتفت إليها الآن حتى تتحقق الدولة.

قال: "إنه لا جدوى من ضياع جهد الخيرين الصالحين من الناس في مقاومة المنكرات الجزئية" ما في جدوى أنك تقول للناس: لا تزنوا، لا تتعاملوا بالربا، لا تسجدوا للقبور على فهمهم أن هذه مسائل جزئية، فيجب أن تتوجه الجهود جميعًا إلى إقامة الدولة، وأن تُعطل الدعوة من أجل هذا الأمر.

يقول أيضًا: "إنه في هذه المرحلة ليس أمر تتبُّع الفرعيات مهما تكن ضخمة -الفرعيات كل شيء غير الحاكمية- حتى ولو كانت في حدود الله" فرعيات ما ينبغي الاعتناء بها حتى ولو كانت في حدود

الله، "فكل جهد في الفروع ضائع، وكل محاولة في الفروع عبث، والمنكر الأكبر أحق بالجهد والمحاولة من سائر المنكرات".

ويقول أيضاً: "حين يقوم المجتمع المسلم الذي تحكمه شريعة الله فيدين الله وحده ولا يدين لسواه، يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في داخل هذا المجتمع".

✦ وأطل الكلام في هذه المسألة، حتى أنه من غلوه في هذا الباب يرى أنه لا يُفتى في الدين، ما في داعي أن تُفتوا الناس، اتركوا الناس، لا تأمروهم بالمعروف ولا تنهؤهم عن المنكر ولا تفتوهم إلى أن تقوم الدولة الإسلامية.

يقول سيد قطب: "إنني أنكر وأستنكر استفتاء الإسلام اليوم في أي مشكلة من مشكلات هذه المجتمعات، إن الإسلام لا علاقة له اليوم بما يجري في الأرض كلها؛ لأن أحداً لا يُحكّم الإسلام في حياته" ليس لأن الحكّام لا يُحكّمون مع أن هذا ضلال، لكن لأن أحداً، "ما في أحد يُحكّم الإسلام في حياته، ولا يتخذ المنهج الإسلامي منهجاً لمجتمعه.

"والذين يستفتون بحسن نيّة أو بسوء نيّة هازلون، والذين يردّون على هذه الاستفتاءات بحسن نيّة أو بسوء نيّة، والذين يتحدثون عن مكان أي وضع من أوضاع البشرية الحاضرة من الإسلام ونظامه أشدّ هزلاً" يعني الفتوى والاستفتاء هذا هزل، وإجابة هؤلاء العلماء للناس أشدّ هزلاً من ذلك.

يقول: "هذا هو منهج الإسلام؛ فمن شاء من علماء هذا الدين أن يتبع منهجه بهذا الجِد فليطلب تحكيم شريعة الله في واقع الحياة أو على الأقل فليسكت عن الفتوى والقذف بالأحكام في الهواء".

✦ ترتب على هذا الغلو الدعوة إلى تعطيل العلم وتعطيل الفقه، وتعطيل الاجتهاد؛

يقول سيد قطب: "إن محاولة وضع أحكامٍ تشريعيةٍ فقهيةٍ إسلاميةٍ لمواجهة أفضية المجتمع الذي تعيش فيه البشرية والذي ليس إسلامياً" هذه نظرتة إلى المجتمعات أنها ليست إسلامية، يقول: إن محاولة وضع أحكامٍ تشريعيةٍ فقهيةٍ إسلاميةٍ لمواجهة أفضية المجتمع الذي تعيش فيه البشرية والذي ليس إسلامياً؛ لأنه يعترف بأن الإسلام منهجه ولا يُسلم للإسلام أن يكون شريعته إن محاولة وضع أحكامٍ تشريعيةٍ لأفضية مثل هذا المجتمع ليست من الجدّ في شيء، وليس من روح الإسلام الجادّة في شيء، وليست من منهج الإسلام الواقعي".

نحن نقول هذا يا أخوة بكلامه وألفاظه من كتبه؛ لأن هناك من يُدّلس على الناس ويقول: هذا غير صحيح، هو لا يحكم على المجتمعات كلها، هو يحكم على جهة فاسدة، هو كذا، هذه ألفاظه الصريحة التي ليس فيها الحكم على المجتمعات الإسلامية بالجاهلية فقط، بل فيها طلب تعطيل الدين كله والاجتهاد فقط في إقامة الحاكمية.

يقول: "المحاولات التي تبذلها جمهرةٌ مخلصّة من رجال الفقه والشريعة في شتى أنحاء الوطن الإسلامي ممن يُريدون أو يُبشرون بتنمية الفقه الإسلامي وتطويره لمواجهة الأوضاع والأنظمة والمؤسسات، والمخاطر القائمة في المجتمعات الحاضرة، إنهم يُحاولون استنبات البذور في الهواء، وإلا فأين هو المجتمع الإسلامي الذي يستنبطون له أحكاماً فقهيةً إسلاميةً يُواجه بها مشكلاته".

✦ ولما كان ذلك كذلك فإنه أشار إلى إنشاء فقهٍ جديد بدلاً من الاشتغال بالفقه التقليدي الذي اشتغل به علماء الإسلام، ما هو هذا الفقه الذي ينبغي الاشتغال به؟ هو فقه الحركة أو الفقه الحركي. يقول سيد قطب: "فقه الحركة لا يُعني عنه فقه الأوراق" يا أخوة: هذا هو الذي أسموه فقه الواقع، وقالوا: فيه فقه الأوراق الصفراء وفيه فقه الواقع، فقه الواقع هذا هو فقه الحركة لكنهم يُعيرون الأسماء بحسب الفترات الزمنية حتى تروج على الناس.

يقول سيد قطب: "فقه الحركة لا يُعني عنه فقه الأوراق، إن الفقه المطلوب استنباطه في هذه الفترة الحاضرة هو الفقه اللازم لحركة الناشئة في مواجهة الجاهلية الشاملة، هذا النوع من الفقه هو الذي تحتاج إليه الحركة الإسلامية الوليدة، أما الفقه الخاص بأنظمة الدولة وشرائع المجتمع المنظم المستقر فهذا ليس أوانه، لماذا؟ إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولةٌ مسلمة ولا مجتمعٌ مسلم قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي".

✦ ومن أجل هذا الغلو في الحكم على الناس دعا الأتباع إلى أن ينشئوا مجتمعاً جديداً ولو في أنفسهم، وأن يُفصلوا هؤلاء الناس ويفصلوا عن هؤلاء الناس؛

يقول سيد قطب: "إن تميّز المسلم بعقيدته في المجتمع الجاهلي لا بد أن يتبعه حتماً تميّزه بتجمعه الإسلامي وقيادته وولائه، وليس في ذلك اختيار".

ويقول أيضًا: "الذين يشهدون أن لا إله إلا الله على هذا النحو - يعني على نحو الحاكمية أما أنتم لا- عليهم أن يتجمّعوا في تجمّع حركي بقيادة مسلمة، وينسلخوا من التجمّع الجاهلية وقيادته الجاهلية".

طبعًا واضح من هذا أنه لا يعد الحُكَّام مسلمين، وبالتالي لا يعدُّهم حُكَّامًا، ويجب السعي لإسقاطهم، فإذا كان الحاكم الفاسق عنده لا يُسمع له ويُطاع فكيف وقد حكم على الحُكَّام والمجتمع بالجاهلية؟! يقول في كلامه عن الحاكم: "فإن فسق فقد سقطت طاعته".

✦ وأما التكفير عند سيد قطب فهو أوضح من الشمس، ولذلك حكم على المجتمعات بالجاهلية لهذا الأمر، وهذا كلامه كثير في هذا الباب، وقد ذكرنا شيئًا منه في أثناء كلامنا عن خطر الإخوان المسلمين.

↩ وقد قسّم المجتمع المسلم في نظرنا وإلا المجتمعات عنده جاهلية إلى ثلاثة أقسام:

- طواغيت.
- ومسلمون مستضعفون وهم قلة.
- وقطعانٌ جاهلية وهم الكثرة.

فالناس ثلاثة أقسام:

- مسلمون مستضعفون في الأرض وهم قلة وهم الذين على فكر الحاكمية.
- قطعانٌ على الجاهلية وهم أكثر المسلمين.
- طواغيت وهم الحُكَّام.

يقول سيد قطب: "هؤلاء الذين يزعمون أنفسهم مسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قاعدون لا يُجاهدون لتقرير ألوهية الله في الأرض، وطرده الطواغيت الغاصبة لحقوق الربوبية وخصائصها في حياة العباد، ولا يُقتلون ولا يُقتلون ولا يُجاهدون" هؤلاء حكم عليهم بالكفر.

مثلًا يقول: "نحن نعلم أن الحياة الإسلامية قد توقفت منذ فترةٍ طويلة في جميع أنحاء الأرض" يعني ما هو الآن هذا من قديم، "وأن وجود الإسلام ذاته من ثمَّ قد توقف كذلك، ونحن نجهر بهذه

الحقيقة الأخيرة على الرغم مما قد نُحدثه من صدمةٍ وذعرٍ وخيبة أملٍ للكثيرين ممن لا يزالون يُحبون أن يكونوا مسلمين".

ويقول: "الأعداء الماكرون يُخدّرون مشاعر الكثيرين في الأرض الذين يُحبون أن يكونوا مسلمين، وإيهاهم أنهم ما يزالون مسلمين فعلاً، وأن الإسلام بخير، وأن الناس يُمكن أن يكونوا مسلمين دون أن تحكمهم شريعة هذا الدين، بل دون أن يعتقدوا أن الحاكمية لله وحده".

✦ وقد كانت له جملٌ تكفيرية [في ظلال القرآن] في تفسير كثيرٍ من السور، ومن تتبعها يجدها وقد أشار إليها الشيخ ربيع -حفظه الله-، وأشار إليها أخونا أحمد الشحّي في كتابه هذا الذي اعتمدنا عليه في هذه المسألة وزدنا عليه بعض الشيء، وعنوان الكتاب: [شخصيات شوّهت الإسلام]، نقل كثيراً جداً من النقول التي فيها التكفير من جميع كتب سيد قطب ومنها كتاب: [في ظلال القرآن]، وسيد قطب اتخذ هذا المنهج منذ بدايته في العمل الدعوي إلى أن مات.

والحاصل: أن سيد قطب نشر الفكر التكفيري بالجملة على المسلمين، والفكر الثوري التحريضي، وفكرة تعطيل الأحكام الشرعية للوصول إلى المقصود، ولذلك لا تعجب إذا رأيت أن كثيراً من قادة الإخوان ورجالها في العالم الإسلامي لا يهتمون بالتدوين؛ لأن هذه الأشياء تُترك الآن من أجل الحاكمية، ولذلك تجدهم يفعلون أي شيء من أجل الدخول في البرلمان، ويفعلون المحرّمات ليُظهروا للمصوتين أنهم متحضرون، وأنهم منفتحون، ونحو هذا؛ لأن هذا نابع من هذه الفكرة: أن كل شيء يجب تعطيله الآن من أجل الوصول إلى الحاكمية والوصول إلى الدولة، ولا شك أن هذا كله يُخالف النصوص ويُخالف ما قرّره السلف الصالح -رَضَوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

لعلي أقتصر على هذا وإلا فالكلام كثير حول هذا الأمر.

وبعد أيها الأخوة: فإن الذي ذكرناه هنا إنما أردنا منه النصح وإبراء الذمّة، وبيان أنه لا يجوز لنا أن نغترّ بتلميح الشخصيات، فإن من منهج الإخوان أن من وافقهم يجعلونه شيخ الإسلام ولو لم يكن عنده علم، ومن خالفه يذمونه بجميع أنواع الذم وإن كان من العلماء، وقد لا يُظهرون هذا إذا كان لهم في هذا مصلحة، أو كان ذمهم له يُسقطه كالشيخ ابن باز مثلاً -رَحِمَهُ اللهُ-، ولكنهم يغمزون ويلمزون.

وهم يصدّون الشباب عن هؤلاء العلماء الكبار؛

- فإذا وجدوا الشاب يُمكن أن يقبل هذا قالوا له: هؤلاء علماء السلطة أذئاب بغلة السلطان، أشبعوهم بالنقود.
- وإذا كان الشاب ما يرضى بهذا السب قالوا له: هؤلاء علماء ولكن عليهم ضغوطات، نحن نعذرهم؛ عليهم ضغوطات ويُقدِّرون بعض المصالح وبعض المفاسد، ونحن الحمد لله في سلامة، ولذلك نتكلم بحرية.
- وإذا كان الشاب لا يقبل ذلك قالوا له: هؤلاء علماء كبار كلامهم كبير، ما تستطيع أن تفهمه أنت، تعال هنا وادرس عند الشباب وعند الشيوخ حتى إذا تعلمت وتأهلت تذهب للمشايع، وإذا تعلّم عند هؤلاء لن يذهب للمشايع أبدًا.
- وأنه ليست العبرة بالتلميع، بل أنا أقول قاعدة: إذا وجدت الرجل يُلمّع من الحزبيين ويُبرّز على أنه الحافظ المحدث الفقيه الإمام فاعلم أنه منحرف، مثل الددو، ومثل الطريفي، ومثل العريفي، هؤلاء المنحرفون على منهج الإخوان، وعندهم انحرافات عقديّة وشرعية لكن هؤلاء يُلمعون المحدث الكبير يحفظ الكتب الستة؛ فإذا وجدت التلميع من الحزبيين ومن وسائل الإعلام اليوم فاعلم أن وراء الأكمة ما وراءها.
- فينبغي علينا أن نفقه هذا وأن نعلمه، وأن نوصله إلى الناس بالطريقة المناسبة ونُعطي الناس من هذا العلم الذي علمناه المقدار الذي ينفعهم، وهذه الدورة بحمد الله قد عقدناها مقدّمة إن شاء الله لدوراتٍ قادمة، نسأل الله أن يُطيل أعمارنا جميعًا على الطاعة، نضبط بها الأصول ثم ننطلق، وإن شاء الله الفكرة في الدورات القادمة أن تكون الدورة على قسمين:
- في الصباح تكون دورة منهجية بحيث نختار كتابًا من كتب أعلام السلفيين في هذا العصر ونقرأه ونشرحه ونُعرّف بهذا العلم.
- وفي المساء تكون الدورة في فقه المعاملات حتى نفرغ منها إن شاء الله.
- كل دورة نفعل هذا إن شاء الله، ولعل الله أن يجعل في ذلك خيرًا.

ثم إنني أحمد الله -عَزَّ وَجَلَّ- أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً على ما يسّر وأنعم، ومن أعظم نعم الله عليّ أن ألتقي بكم، وأن أجلس معكم، وأن أتدارس معكم العلم، وإنني لأسأل الله لي ولكم الرضا والمغفرة والرحمة، وأن يستعملنا في طاعته، وأن يجعلنا خُدَّامًا للكتاب والسنة، وأن يجعلنا ممن بذل نفسه وماله في خدمة دين الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وأوصي نفسي وإياكم بتقوى الله فإن من اتق الله وقاه، ومن أحسن أحسن الله إليه، ومن أحسن ظنّه بالله كان الله عند حسن ظنّه، ومن تقرب إلى الله أحبه الله كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «يَقُولُ اللهُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالتَّوَّافِلِ حَتَّىٰ أَحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ».

فأوصيكم أيها الأحبة: بالحرص على الطاعة، على تقوى الله، على التقرب إلى الله بالفرائض، فتشوا في أنفسكم؛ فمن وجد خيراً فليحمد الله، وليعلم أن الفضل كله لله، فلولا الله ما اهتدينا، ولولا الله ما صمنا ولا صلينا، ولا فعلنا شيئاً من الخيرات، فالله هداًنا، والله أعاننا ويسر لنا، والله يقبل من عباده ما شاء ويثيب.

ولنسأل الله دائماً أن يُثَبِّتَنَا فِي الْحَيَاةِ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ الْفِتْنَةُ، وَإِنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي الْوَاجِبَاتِ، أَوْ كَسَلٍ عَنِ الطَّاعَاتِ، فَلْيَتْرِكِ الْكَسَلَ، فَإِنَّ الْوَاحِدَ مِنَّا لَا يَدْرِي مَتَىٰ يَأْتِيهِ الْأَجَلُ، فَإِنَّ الْمَوْتَ قَرِيبٌ لَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ إِلَّا أَنْ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلُهُ، وَلَا نَدْرِي مَتَىٰ يَكُونُ ذَلِكَ لَكِنَّا نَدْرِي أَنَا أَحْيَاءُ الْآنَ وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نُطِيعَ، فَلْنَنْشِطْ فِي الطَّاعَةِ.

وإن وجد معصية ولا بد لنا من معصية فإن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ» فلنكن من خير الخطائين لنترك هذه المعصية سواء كانت في قلوبنا، أو في أجسادنا، أو في أعمالنا، لنترك هذه المعصية ونرجع إلى الله والله يفرح بنا ويقبل منا، ومن أعظم الطاعات وأكرمها: أن ندعو عباد الله إلى الله، ورأس الدعوة أن ندعو إلى التوحيد والسنة وأن نجاهد في ذلك وأن نصابر، وأن نتعاون جميعاً على ذلك فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ﴾

وَالْتَّقْوَى ﴿المائدة: ٢﴾ وأعظم البر والتقوى هو تقريب الدين إلى الناس، ودعوة الناس إلى توحيد الله والبراءة من الشرك، وإلى السنّة والخلاص من البدع.

فتعاون على هذا، وليعن بعضنا بعضاً على هذا، ولنكن إخواناً صادقين مخلصين يأخذ بعضنا بيد بعض إلى الخير، ومن رأى منا من أخيه خطأً فلا ينشره عنه، بل ينصحه ويناقشه لعله أن يؤوب، فإن لم يفعل؛

▪ فإن كان خطؤه خاصاً به فإنه لا يُنشر.

▪ وإن كان خطؤه عاماً فإنه يُبين ويُنسب إليه ويُحذّر من هذا الخطأ.

وأما المخطئ فيُنظر في حاله: إن كانت المصلحة الشرعية تقتضي أن يُحذّر منه؛ لأن الناس تغتر به فإنه يُحذّر منه، وإلا فلا.

وأوصيكم بالرفق في الأمر كله؛ فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه، عليكم بالرفق مع عباد الله عند الدعوة، يا أخوة: إذا جئت تدعو إنساناً هنا لا يُطلب المهجران، ولا يُطلب النكران، وإنما سلّم عليه حتى وإن كان من أهل البدع، سلّم عليه واسأله عن حاله وادعه إلى الله ما دام هذا في مقام الدعوة، فرق بين مقام الدعوة ومقام التعامل.

عليكم بالرفق مع كل من تدعونه أثناء الدعوة وفيما بينكم، واحرصوا على تعلّم البلاغة في لغتكم؛ لأنكم تُخاطبون الناس بلغتهم، وما أجمل أن تجمع بين البلاغة في اللغة العربية والبلاغة في لغة البلد، أقول هذا لأني أعلم أن بعض إخواننا من طلاب العلم يهتمون باللغة العربية ولا يهتمون بأدب البلاد، والمعلوم أن كل لغة لها بلاغة خاصة بها، وقوة خاصة بها، فأنا أوصيكم بالحرص على تعلّم أدب البلاد، وبلاغة البلاد، بحيث إذا تكلم الإنسان كان قوياً في اللغة، قوياً في الحجّة، وما أجمل أن يكون مع ذلك بلاغة في اللغة العربية، وكما قال العلماء: "اللغة ثوب العلم، فزین ثوب علمك".

العلم يُكسى باللغة، فزین ثوب علمك وقدم العلم للناس بالخير والأسلوب البليغ لعل الله أن يجعل في ذلك خيراً للناس، وأن يجعلك من خير الناس، فخير الناس أنفعهم للناس، وخير نفع للناس هو نفعهم في دينهم، فاحرصوا رعاكم الله على هذا الأمر لعل الله أن يجعل في ذلك خيراً، وأن يجعلنا جميعاً مفاتيح للخير مغاليق للشر.

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُبارك للسلفين، وأن يزيدهم خيراً وبركة، وأن يجمع كلمتهم على الحق والهدى، وأن يُبعد عنهم شرور الفتن، وأن يزيدهم تماسكاً وقوة وإيماناً ودعوة، وأن يُعين إخواننا جميعاً على الصلة ببعضهم.

نعم يا أخوة: الدنيا وبعض الأفكار الداخلية قد تُبعد الأخ عن أخيه من غير خلافٍ شرعيٍّ بينهما، والشيطان حريص، فيا حبذا لو أن كل واحدٍ منا يعلم أن بينه وبين أحد إخوانه حفوة من غير مقتضى شرعي أن يُبادر هو بالصلة ويصبر، نعم دائماً عندما تبادر بالصلة الطرف الآخر قد يُقابلك بفتور، بل قد يزجرك، لكن هذا جهاد في سبيل الله، اصبر وواصل مرةً، ما دام أنه لا يوجد ما يقتضي الانفصال، اسع أنت إلى الصلة ولو رُدَّ عليك.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يُحقق لنا ذلك، وأن يجمع قلوبنا على الحق، وأن يجعلنا جامعين لأهل السنة والجماعة على السنة والجماعة، وأن يكفيننا شر الفتن ما ظهر منها وما بطن، لعل في هذا كفاية، ولعلنا نعتذر عن الأسئلة لا سيما مع نزول هذا المطر أسأل الله أن يجعل فيه خيراً وبركة، والله أعلم وصلَّ الله على نبينا وسلَّم.

بالنسبة نحن وعدناكم بالنسبة للشهادات أنا وقعت الشهادات، وإن شاء الله الأخوة سيوزعونها عليكم، ولعل هذا تمتاز به هذه الدورة من إعطاء الأخوة المشاركين شهادة موقَّعه من الأستاذ الملقى، ولعلها تبقى عندكم للذكرى وإن كانت لن تنفعكم بشيء، فما لست أنا بشيء، لكن هي من باب ذكرى لهذه الدورة، ولعلكم إذا نظرتم إليها تتذكرون أحاكم بدعوة ينفعه الله بها، والله أعلم وصلَّ الله على نبينا وسلَّم.



[الفرق المنحرفة المعاصرة - جماعة الإخوان المسلمين - ١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مرحبًا بالأخوة في المجلس الثاني من مجالس هذا اليوم يوم الثلاثاء، وهو أول مجالسنا في موضوع [فِرَقٍ معاصرة مخالفة لمنهج السلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -] في هذه الدورة التي أسأل الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن يجعلها مباركة.

وبالمناسبة إذا رغب الأخوة القائمون على الدورة أن تكون هناك شهادة تُعطى للأخوة المشاركين الذين لا يغيبون عن الدروس مطلقًا وأوقعها أنا في ختام الدورة فأنا ليس عندي مانع، لكن هذا يعود على الإخوان القائمين على الدورة من جهة ما يرونه ممكنًا بالنسبة لهم، فلعل الأخوة يدرسون هذا، فإذا رغبوا من باب تكريم الأخوة الذين يُشاركون معنا تصدر شهادة بالمشاركة في الدورة الأولى وأوقعها أنا وتُسَلِّمُ للأخوة فأنا لا مانع عندي.

قبل أن نشرع في الكلام عن هذه الفِرَق التي اخترناها وهي أهم ما يوجد في الساحة اليوم من الفرق المخالفة لمنهج السلف الصالح وهي: فرقة الإخوان المسلمين، وفرق التبليغ، وفرقة داعش، أُقَدِّمُ بمقدمات:

← المقدمة الأولى: لماذا نتحدَّث عن هذه الجامعات والفِرَق، ولماذا نُقسِّم الناس إلى أهل حق وأهل باطل، أتباع للسلف وخلف؟

والجواب عن هذا السؤال الذي يُطرح أو الشبهة التي تُطرح دائمًا من وجهين:

الوجه الأول: أن منهج تمييز أهل الحق من أهل الباطل وبيان صفة هؤلاء وهؤلاء جاء في كتاب الله، وفي سنَّة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

ففي مفتتح سورة البقرة ذكر الله - عَزَّ وَجَلَّ - أصناف الناس الثلاثة وهم:

- المؤمنون ابتداءً وذكر صفاتهم.
- والكفار وذكر صفاتهم.

■ والمنافقون وذكر الله فيهم آيات كثيرة وذلك لشدة خطرهم؛ لأنهم يُضمرون خلافاً ويُظهرون وفاقاً، فكان خطرهم على الأمة أشد من خطر الكفار، فهم يُبطنون الكفر ويُظهرون الإيمان ويُجادعون المؤمنين.

فمَيَّرَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- كل صنفٍ وبيَّن صفات كل صنف.

وأما في السنة: فهذا كثير، فالنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر لنا صفات المنافقين لنحذرهم ولئلا نتصف بصفاتهم مثل حديث: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ**» وذكر لنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- صفات الخوارج لنحذرهم ونحذر صفاتهم ولنُمَيِّزهم مع أنهم ينتسبون إلى الإسلام، لكن ذكر لنا صفاتهم لنُمَيِّزهم ونصفهم بهذا، بل ولتقاتلهم إذا ظهروا نُجاهدهم:

■ بالسنان تحت الراية الشرعية.

■ وباللسان ببيان أحوالهم.

وفي حديث حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أنه قال للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بعد أن ذكر الخير في أول الأمة: **فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرُ مِنْ شَرِّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفُوهُ فِيهَا»** إذن بيَّن أن هناك دُعَاةً ما شأنهم؟ أنهم على أبواب جهنم، في الظاهر هم يدعون إلى الخير لكن في حقيقة الأمر أن الدعاة على أبواب جهنم؛ لأنهم دُعَاةٌ إلى المعصية، «**مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَدَفُوهُ فِيهَا**».

قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا؟ مَا قَالَ لَهُ النَّبِيُّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: يا حذيفة دعك من هذا، الكل مسلمون، والكل يجتمعون على الإسلام، فَقَالَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِاللِّسَانِ**» فوصفهم فقال: **فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»**.

فقسَّم النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هنا الناس إلى صنفين: أهل الجماعة الدينية والبدنية، ولذلك قال: «**تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ**» ودُعَاةُ الباطل الذين يدعون إلى الباطل، ويدعون إلى جهنم؛ فهذا هو الوجه الأول: فنحن سائرون على طريقة الكتاب والسنة في تمييز أهل الحق وبيان صفاتهم عن أهل الباطل وبيان صفاتهم.

والوجه الثاني: أن هذه الفرق المخالفة ذات خطرٍ كبيرٍ وبدعٍ كبرى، ومنهج السلف التحذير من أهل البدع الكبرى وكشف أمرهم، ونحن سائرون على طريقة السلف الصالح.

يقول الإمام الشاطبي -رَحِمَهُ اللهُ- في كتاب [الاعتصام]: "إن القيام عليهم -أي على أهل البدع- بالثريب، أو التنكيل، أو الطرد، أو الإبعاد، أو الإنكار، هو بحسب حال البدعة في نفسها" انتبهوا هذا تأصيل عظيم: "إن القيام عليهم -أي على أهل البدع- بالثريب -يعني بالعيب والذم-، أو التنكيل -يعني بالعقوبة من جهة السلطان-، أو الطرد والإبعاد، أو الإنكار، هو بحسب حال البدعة في نفسها من كونها عزيمة المفسدة في الدين أولى" يعني بعض البدع أكبر من بعض، بعض البدع بدع صغيرة وإن كانت بدعة وصاحبها مذموم بالبدعة، لكنها ليست ذات خطر عظيم في الدين، "وكون صاحبها مشتهراً بها أو لا".

انتبهوا: في فرق بين العامي المغموم وبين العالم المشهور؛

- العامي المغمور ضرر البدعة عليه.
- أما العالم المشهور فإنه يؤثر ويقتضي به الناس.

وداعياً إليها أو لا، الذي يدعو إلى البدعة ويُحسِّنُها عند الناس ليس مثل المبتدع الذي لا يدعو الناس إليها وإن كان الكل مبتدعاً؛ «وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» لكن المقصود هنا من حيث المعاملة، قال: "ومستظهراً بالأتباع أو لا، وخارجاً عن الناس أو لا -يعني خارج عليهم بالسلاح أو لا-، وكونه عاملاً بها على جهة الجهل أو لا -يعني الذي يعمل بالبدعة وهو جاهل يظنها هي السنة ليس مثل الذي يعلم بالبدعة وهو يعلم-".

- شخص ذهب إلى بلاد التوحيد وتعلَّم التوحيد، بل وأعد رسالة دكتوراه في بلاد

التوحيد، ثم يأتي يُقرِّر البدع ويعمل بالبدع، هذا أضلُّه الله على علم.

- أما شخص مسكين عامي يُقال له: هذا الإسلام، وهذا دين الله إذا لم تعمل به

يغضب الله عليك، فيعمل بهذه البدعة جاهلاً كونها بدعة.

يعني أنا في إحدى زيارتي لإحدى دول المسلمين التقيت سائق سيارة فيقول لي بواسطة المترجم: أنا كنت أسمع من المشايخ الكبار - يعني كبار السن - كلامًا ما يُصدِّقه عقلي، لكن هذا هو الدين وأنا مسلم، فكنت أجبر نفسي على أني مصدِّق، طبعًا المشايخ الكبار يأتون بأشياء ما يُصدِّقها العقل، قال: في ليلة من الليالي جاء ملك الموت وأخذ روح طفل لامرأة هي مريدة للشيخ، فذهبت إلى الشيخ تشتكي قالت: يا شيخ؛ مات ابني، ملك الموت أخذ روح ابني، فخرج الشيخ قال: ما أدرك ملك الموت في الأرض أدركه في السماء، فوجده معه كُفَّة الأرواح، ما عرف روح الصبي؛ لأنه ما عرف اسمه، فأخذ الكُفَّة ونثرها فعادت الأرواح كلها إلى الأموات وعاشوا من جديد، وهكذا يعيشون على أشياء أبسط العقلاء ما يُصدِّقها.

يقول: أنا أسمع كل هذا وأنا ما أُصدِّق، ولكن ماذا أفعل؟ هذا هو الدين؛ إما أن أُصدِّق فأكون مسلمًا، أو لا أُصدِّق فأكون كافرًا، هذا فهمي وهذا الذي علَّمني الشيوخ، ثم تخرَّج من عندنا هذا جاء من الجامعة الإسلامية، درس في الجامعة الإسلامية وجاء، فأصبح يُعلِّمنا التوحيد وقال رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال: فتركت كل ما كانوا يقولون.

الشاهد هنا يا أخوة: هذا مسكين عامي مسلم وهذا هو الدين، فهو نعم يقع في البدع بل قد يقع في شريكات لكن بجهل، لا شك أن هذا ليس مثل ذلك الذي يفعل البدعة وقد عرف وتعلَّم. قال: "وكل هذه الأقسام له حكمٌ اجتهاديٌّ يخصه" ولا جرم أن المجتهدين من الأمة نظروا فيها بحسب النوازل وحكموا باجتهاد الرأي، ثم جاء بكلام نفيس جدًّا قال: "فخرج من مجموع ما تكلم فيه العلماء أنواع أحدها: الإرشاد والتعليم وإقامة الحجَّة" إرشاد أهل البدع وتعليمهم وإقامة الحجَّة عليهم. قال: "كمسألة ابن عباس حين ذهب إلى الخوارج، فكلمهم حتى رجع منهم ألفان أو ثلاثة آلاف" كانوا ستة آلاف فذهب إليهم ابن عباس وأقام عليهم الحجَّة فرجع منهم من كان مغرَّرًا به ويُريد الحق وأصر أهل الضلال.

الشاهد هنا يا أخوة: أن ابن عباس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أرشدهم وبيَّن لهم وأقام عليهم الحجَّة، ومما يُحقِّق هذا المقصود في زماننا وسائل الإعلام مثل: الإذاعات والتلفاز ووسائل التواصل، وقد تبين بالواقع أن كثيرًا من الناس لما بيَّن لهم وأرشدوا وأقيمت عليهم الحجَّة أو أُقيمت لهم الحجَّة رجعوا

إلى السنّة، وإن شئت فانظر إلى إندونيسيا الآن كيف أن كثيراً من العوام رجعوا إلى السنّة، وكثير من التجار لما سمعوا في الإذاعات والتلفاز الحُجج والأدلة والدروس رجعوا إلى السنّة.

وأنا أقول وأنتم أعلم مني بحال الناس هنا: أن كثيراً من الناس اليوم أقل ما يمكن أن نقول فيهم: أنهم أصبحوا يُحبون السنّة وإن لم يعتنقوها فيحتاجون إلى مزيد إرشاد وبذل، وهذا فضل الله على هذه البلاد أن قيّض الله لها رجالاً يجتهدون في نشر السنّة والتوحيد.

- إذن أحدها: الإرشاد والتعليم وإقامة الحُجّة.
- الثاني: الهجران وترك الكلام والسلام حسب ما تقدّم عن جملة من السلف في هجرانهم لمن تلبّس ببدعة وما جاء عن عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- في قصة صبيغ.
- والثالث: كما غرّب عمر صبيغاً ويجري مجراه السجن، يعني الثالث: التغريب، غرّبوا ونفوا بعض أهل البدع، طردوهم.
- الرابع: السجن كما سجنوا الحلاج قبل قتله سنين عدّة.
- الخامس -وهذا وجه الشاهد هنا-: ذكرهم بما هم عليه وإشاعة بدعهم يعني بيان أنهم مبتدعة والتحذير منهم ومن بدعهم كي يُحذروا، ولئلا يُغترّ بكلامهم كما جاء عن كثير من السلف في ذلك.

﴿ إذن يا أخوة خلاصة المسألة: لماذا نتكلّم عن الفرق المخالفة ونُحذّر منها ونُقَسِّم الناس؟

الجواب من وجهين:

- الوجه الأول: لأن هذا صراط الكتاب والسنّة، طريق الكتاب والسنّة، ونحن سائرون على هذا الصراط.
- الوجه الثاني: أن هذه طريقة السلف الصالح -رَضُوا اللهُ عَلَيْهِمْ-.

يأتي السؤال الثاني أو المقدّمة الثانية، وكل ما أذكره يا أخوة هو عبارة عن شبه تُطرح في الساحة أنا أصوغها بصيغة علمية، أنتم أكيد واجهتم هذا، كثير من هؤلاء الحزبيين وكذا يأتون يقولون: لماذا تُقسّمون الناس وتُميّزون المسلمين؟ اجعلوا المسلمين يكونون كثرة ويكونون كذا؛ لأنكم لو ميّزتم فضحواهم.

المقدمة الثانية: هل وجود فتاوى لبعض العلماء في عدّ هذه الجماعات أو بعضها من جماعات الدعوة الإسلامية القريبة من الحق يُشكّل على ما يُقرّره غيرهم من العلماء من خطوة هذه الجماعات والتنظيمات على الدين؟ يعني نحن نعرف الواقع؛ هناك فتاوى لبعض العلماء أن والله جماعة الإخوان قريبة من الحق، جماعة التبليغ فيهم خير، بينما نجد بعض العلماء يُحذرون من هذه الجماعات ومن بدعها، وأنها ليست من أهل السنّة والجماعة، هل وجود هذه الفتاوى لبعض العلماء يُشكّل على هذا؟ أو هل نقول: المسألة اجتهادية وكما حذّر بعض العلماء فإن بعض العلماء هَوّنوا من الموضوع، فالأمر واسع؛

- فمن حذّر منهم فقد سلك طريق.
- ومن تساهل معهم أو تعامل معهم فقد سلك الطريقة المسلوكة للعلماء.

والجواب: لا شك أنه توجد فتاوى قليلة في هذا الشأن، إلا أن هذه الفتاوى لا تُشكّل على تحذير بعض العلماء منها وبيان خطورتها، لماذا؟ لأن هذه الفتاوى وهي قليلة جدًا يُقابلها تحذير العلماء والبيان بالأدلة من كلام الفرق ومن الأصول، والقاعدة: أن من حفظ حُجّةً على من لم يحفظ، ومن علم مقدّم على من لم يعلم، فما دام أن المحذرين والمبينين قد دلّلوا وبيّنوا ووضحوا فكلامهم مقدّم، لا سيما وأن تلك الفتاوى القليلة أغلبها قديم قبل تكشّف كثير من الحقائق، أغلبها في أول الأمور وقد اتضحت الأمور، وحذّر العلماء من تلك الجماعات.

بهم وأضرب لكم أمثلة:

الشيخ أحمد محمد شاكر - رَحِمَهُ اللهُ - المحدث المعروف والعالم المصري الجليل يقول: "حركة الشيخ حسن البنّا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية يُنفق عليها الشيعيون واليهود كما نعلم ذلك علم اليقين" انظروا إلى العبارة: "الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية يُنفق عليها الشيعيون واليهود" وإلى اليوم وهم يُنفق عليهم؛ لأن هذه الجماعة تُحقّق أهداف أعداء الدين في الأمة.

كـه وسئل الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ- فقيل في السؤال: سماحة الشيخ: حركة الإخوان المسلمين دخلت المملكة منذ فترة وأصبح لها نشاط واضح بين طلبة العلم، طبعاً السؤال عن المملكة وكل دول العالم الإسلامي كذلك، ما رأيكم في هذه الحركة؟ وما مدى توافقها مع منهج السنّة والجماعة؟ فأجاب -رَحِمَهُ اللهُ-: "حركة الإخوان المسلمين ينتقضها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع" كما سيأتي إن شاء الله: الإخوان المسلمون يدعون إلى إسلام خاص، ليس إلى الإسلام بمعناه الصحيح العام الذي جاء به النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولذلك إذا تكلموا عن التوحيد كما سيأتي لا يتكلمون عن التوحيد المعروف وإنما يتكلمون عن توحيد الحاكمية فقط على معنى غير صحيح أيضاً.

فيقول الشيخ: "حركة الإخوان المسلمين ينتقضها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع، لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجيه إلى العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنّة والجماعة، فينبغي للإخوان المسلمين أن تكون عندهم عناية بالدعوة السلفية الدعوة إلى توحيد الله، وإنكار عبادة القبور والتعلّق بالأموات، والاستغاثة بأهل القبور.

يجب أن يكون عندهم عناية بذلك بهذا الأصل الأصيل: بمعنى لا إله إلا الله التي هي أصل الدين، وأول ما دعا إليه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مكة دعا إلى توحيد الله، إلى معنى لا إله إلا الله، فكثير من أهل العلم ينتقضون على الإخوان المسلمين هذا الأمر؛ أي عدم النشاط في الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له، وإنكار ما أحدثه الجهّال من التعلّق بالأموات والاستغاثة بهم، والنذر لهم، والذبح لهم الذي هو الشرك الأكبر، وكذلك ينتقضون عليهم عدم العناية بالسنّة، تتبّع السنّة والعناية بالحديث الشريف، وما كان عليه سلف الأمة في أحكامهم الشرعية، وهناك أشياء كثيرة أسمع الكثير من الإخوان ينتقضونهم فيها".

كـه وسئل -رَحِمَهُ اللهُ-: أحسن الله إليك؛ حديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في افتراق الأمم: «وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» فهل جماعة التبليغ على ما عندهم

من شركاتٍ وبدعٍ وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزُّبٍ وشق العصا على ولادة الأمر، هل هاتان الفرقتان تدخلان في الفرق الهالكة؟

فأجاب -رَحِمَهُ اللهُ-: "تدخل في الاثنتين والسبعين، ومن خالف عقيدة أهل السنة دخل في الاثنتين والسبعين المراد بقوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «أُمَّتِي» أمة الإجابة؛ أي الذين استجابوا له وأظهروا اتباعهم له؛ ثلاث وسبعون فرقة الناجية السليمة منها التي اتبعته واستقامت على دينه، واثنان وسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العاصي وفيهم المبتدع؛ أي أنهم أقسام".
فقال السائل: يعني هاتين الفرقتين من ضمن الاثنتين والسبعين؟ يعني التبليغ والإخوان.
فقال: "نعم".

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رَحِمَهُ اللهُ وسائر علماء المسلمين-: "ليس صواباً أن يُقال: إن الإخوان المسلمين من أهل السنة؛ لأنهم يُجربون السنة".
وقال أيضاً -رَحِمَهُ اللهُ- عن قاعدتهم المشهورة: [نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضها بعضاً فيما اختلفنا فيه] قال: "ولذلك لا تجد فيهم التنصح المستقيم من نصوص كتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-". هذه العبارة هي سبب بقاء الإخوان المسلمين نحن سبعين سنة -هذا في زمنه، الآن أكملوا المئة- عملياً بعيدين فكرياً عن فهم الإسلام فهماً صحيحاً، وبالتالي بعيدين عن تطبيق الإسلام عملياً؛ لأن فاقد الشيء لا يُعطيه".

وقال الإمام العلامة واسع العلم ساحة الشيخ صالح الحيدان -حفظه الله-: "الإخوان وجماعة التبليغ ليسوا من أهل المناهج الصحيحة.

المقدمة الثالثة: ما دام أن هذه الفرق من الفرق الهالكة ومن أهل البدع، كيف راج فكرهم بين المسلمين؟ كل الدول الإسلامية راج فيها فكر الإخوان المسلمين، وراج فيها فكر جماعة التبليغ، فكيف راج؟

والجواب: أن ذلك يرجع إلى أسباب:

السبب الأول: أن جميع الجماعات المخالفة لمنهج السلف تُخفي عن الناس بعض ما هي عليه، ما تُظهر حقيقتها إلا لمن معهم ويثقون أنه لا يُثرثر، فالإخوان المسلمون يُظهرون شعارات عامة للناس، وأما تخطيطاتهم وطريقتهم فهذه لا يُظهرونها إلا للصالحين لهذا.

وكذلك بالنسبة لجماعة التبليغ لا يُظهرون كل ما عندهم لكل الناس، بل يُجادعون حتى بعض أتباعهم، تعرفون بعض أتباعهم تعلموا التوحيد وعلى التوحيد لكن ما عندهم ذلك العلم، فيُظهرون لهم أنهم ما يُخالفون التوحيد.

أنا ذهبت إلى مقر مركز جماعة التبليغ في الهند ودخلت، وصعدت إلى المسجد وسنتكلم إن شاء الله نحن عن جماعة التبليغ، تعرفون أن قبر محمد إلياس موجود في نفس المركز في الوسط؛ يعني مثل هذه الصلاة تقريباً مثل هناك الطاولة هذه، ماذا فعلوا؟ لأن يأتي أناس من أهل المملكة ومن كذا يعرفون أن القبور وفي المساجد ما تصلح، وضعوا خطأ قبل القبر إلى جهة القبلة قالوا: هنا ينتهي المسجد، والحقيقة أن المسجد ممتد إلى الأخير، مع أن هذا لا ينفع عقيدةً وحكماً وضعوا خطأ ولا ما وضعوا خطأ، لكن حتى يغروا المساكين الذين ما يعرفون يقولون: نحن ما عندنا في المسجد قبر، المسجد ينتهي هنا، القبر بعد الخط.

فهذه الجماعات تعتمد على السرية والكتمان لبعض ما هي عليه، فيروج فكرها عند عامة المسلمين، بل حتى عند بعض الخواص ممن ليس عندهم مُكنة في العلم.

الأمر الثاني: أن هذه الجماعات والفرق تتغلغل إلى أهل الأموال في كل مكان، يُوجهون سهامهم إلى أهل الأموال لكي يأخذوا منهم الأموال، ولأن صاحب المال في الغالب يكون مؤثراً في الناس الذين حوله، كما قال ذلك:

رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ مَالُوا إِلَى مَنْ عِنْدَهُ مَالٌ وَمَنْ مَالٌ عِنْدَهُ مَالٌ فَعَنَهُ النَّاسُ قَدْ مَالُوا

فالناس في الجملة يميلون إلى صاحب المال والجاه، فإذا تأثر صاحب المال تستفيد الجماعة من جهتين:

■ من جهة أنه يضح الأموال لها.

■ ومن جهة أنه يؤثر فيمن حوله.

والسبب الثالث وهو أهم الأسباب في الحقيقة: وهو الجهل وعدم العلم سواء على وجه العموم على وجه الخصوص بالجماعات، وهذا يعظم خطره إذا سكت علماء أهل السنة ودعاة السنة عن بيان خطر الجماعات وأضرارها على الأمة.

كـ مثلاً سئل الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ- هذا السؤال: سماحة الوالد كيف تأثرت هذه البلاد -يعني المملكة- بالدعوات الوافدة كدعوة الإخوان ودعوة التبليغ، مع العلم بأن هذه البلاد على منهج سلفي؟ معروف أن الدولة السعودية بُنيت على المنهج السلفي والدراسة على المنهج السلفي من الابتدائي، طيب ما دام ذلك كذلك، كيف تغلغت هذه الجماعات في بلادنا؟ وطبعاً هذا مثال وإلا فالواقع في جميع البلدان.

فأجاب -رَحِمَهُ اللهُ-: "بالمخالطة، هذه النقطة الأولى: المخالطة للمخالفين من غير حذر وهذا من أسباب فساد المنهج، وكثرة ورود العالم لهذه البلاد وكثرة المسافرين، هذا الأمر الأول، هذا طبعاً أدى إلى الاختلاط.

وقلة العلم تؤثر على الناس، وكثرة المسافرين والوافدين والمخالطين والدعوات التي تنتشر في الكتب وفي الصحف والإذاعات، ولكن -انتبهوا كلام من ذهب- من تمسك بالحق وصار على بصيرة -الله أكبر!- ما هو تمسك بالحق وأهم نفسه ما يتعلم ويعرف الفرق وخطرها، لا، تمسك بالحق وصار على بصيرة فكان على علم، ولكن تمسك بالحق وصار على بصيرة لا تؤثر عليه.

ثم قال: وكثرة الاشتباه وكثرة الوافدين والمؤلفات والقيال والقال يوجب الحذر ويوجب الثبوت" هذا يا أخوة قديماً فكيف اليوم في هذا الانفجار الإعلامي الرهيب في وسائل التواصل الاجتماعي، "يوجب الحذر ويوجب الثبوت يجعل على طالب العلم العناية بكلام السلف، وكثرة المراجعة، وحل المشاكل بالأدلة، وألا يتساهل في هذا الأمر، ولا مانع من كونه يناظر أخاه ويكون الهدف السنة والكتاب لا قول فلان وفلان، إذا أشكل عليهم رجعوا إلى الأدلة.

فقال السائل: أليس من أهمها قلة العلم؟ يعني ليس من أهم أسباب التغلغل والانتشار قلة العلم؟ فأجاب: "من أخطرها قلة العلم بل هو أخطرها"، ولا شك في هذا يا أخوة، وهذا يوجب علينا أن نتعلم ونُعلِّم، وألا نهذاً.

يا أخوة: المشايخ المتقدمون القريبون منا اجتهدوا في بيان منهج السلف والرد على المخالفين بأساليبهم كلُّ بأسلوبه، الشيخ الألباني بأسلوبه، والشيخ مقبل الوادعي بأسلوبه، الشيخ ابن باز بأسلوبه، لكن هذا هو الأصل عندهم: بيان منهج السلف والتحذير من المخالفات، فكان هناك نشاط عظيم في هذا الباب، ولكن للأسف بعد موت أولئك العلماء بقي بعض العلماء جزاهم الله خير على اجتهاد ونشاط في هذا الباب، لكن دخل على كثيرٍ من السلفيين الوهن في هذا الباب، وأصبحوا ينظرون إلى الجماهيرية والكثرة والمناصب.

سبحان الله يا أخوة: السلفية في الجملة ما تحلب الدنيا ولكنها تُحلي الدنيا، السلفية في الغالب ما تأتيك بأموال وإن كان الحمد لله يحصل خير لكن ليست كغيرها، ولكن والله من كان على منهج السلف يعيش في سعادة عظيمة وفي لذة عظيمة ولو كان فقيراً، فالسلفية ما تحلب الدنيا في الغالب ولكنها تُحلي الدنيا.

فلأسف أنا أرى أن هناك أعداداً كبيرة من إخواننا بعضهم دكاترة وهم على منهج والله الحمد والمثنة لكن دخل عليهم الوهن في هذا الباب، فليس عندهم نشاط في بيان منهج السلف، والتحذير من الفرق المخالفة، وأنا أدعوهم جميعاً إلى مراجعة أنفسهم، فإن الواجب عظيم، والله سيسألنا جميعاً عن هذه الأمة، فالواجب أن ترتفع هممنا، وأن نفتدي بأسلافنا على المعنى العام، وأقربهم إلينا هؤلاء المشايخ الكبار في بيان منهج السلف والتحذير من البدع وأهلها، وبيان الفرق وأوصافها.

المقدمة الرابعة: أن الذين يسمعون كلام أهل العلم في الجماعات والفرق المخالفة للسلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - على ثلاثة أقسام، أن الذين يسمعون كلام أهل العلم في بيان الفرق المخالفة للسلف الصالح، وفي بيان خطر تلك الفرق وفي التحذير من تلك الفرق على ثلاثة أقسام ولا بد:

القسم الأول: قسم مع السنّة والجماعة ومن أهل السنّة والجماعة، ومباعدٌ ومنابدٌ لتلك الفرق، فهذا يستفيد من كلامنا أولاً العلم والحُجّة، يُصبح عنده علم وحُجّة؛ لأنك أنت وإن كنت من أهل السنّة

والجماعة فإن حولك من يُخالف، وقد يُناقشك، وقد يُشوش على دعوتك، فتحتاج أن يكون عندك علم وحُجَّة، ويستفيد أيضًا اطمئنان قلبه فيزداد يقينه بصحة المنهج وفساد المناهج المخالفة؛ **قَالَ** **أَوْلَمَ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** [البقرة: ٢٦٠] فيزداد علمًا واطمئنانًا؛ لأن بعض الناس يقول: يا أخي لماذا تتكلمون عن الفرق والجماعات مع أهل السنَّة، ونحن والله الحمد والمنة على أهل السنَّة وما عندنا، تتهمونا أنتم؟

الجواب: أنا نتكلم فيما بيننا عن هذه الفرق كما نتكلم أيضًا على العموم، لكن نتكلم فيما بيننا:

- أولاً: لنحذر كما قدّمنا يا أخوة، الإنسان لا يأمن على نفسه الفتنة، وإذا لم يعرف الفرق قد يقع وهو لا يدري.
- ثانيًا: ليزداد علمًا وحُجَّةً فنستطيع أن نُبيِّن ونناقش الآخرين.
- وثالثًا: لتطمئن قلوبنا.

والقسم الثاني: مغشوشون بهذه الجماعات ولا يعرفون حقيقتها ولا خطرها، وقد يتسبون إليها جهلاً بحقيقتها، ومثل هؤلاء يُذكِّرون ويُبصِّرون بالحقيقة والذكرى تنفع المؤمنين، فهذا إذا بُصِّر يرجع.

والقسم الثالث: قسمٌ منتهمٌ لهذه الجماعات قد أُشرب قلبه من هواها، وتغلغلت في قلبه، والغالب على هؤلاء أنهم يُعادون الناصحين ولا يقبلون كلامهم، بل يُقابلون كلام الناصحين بالكذب عليهم والتشويه، ومثل هؤلاء نتكلم معهم لنقيم عليهم الحُجَّة بهذا الكلام ولا نملك لهم شيئًا، نسأل الله أن يهدي كل ضال، لكن فائدة الكلام عن الفرق بالنسبة لهذا القسم أن نُقيم عليهم الحُجَّة، وندمغهم بالحجج والبراهين.

هذه حججٌ لا بد منها.

✦ ثم أدلف إلى العنصر الثاني لأبدأ بجماعة الإخوان المسلمين، بقي عشر دقائق سأبدأ بشيء ثم نُكمل غدًا إن شاء الله، نحن قلنا: أن عندنا أربعة مجالس لهذا العنصر، لهذه المادة: [الفرق المخالفة]؛

- فهذا المجلس الأول: المقدمات التي لا بد منها وفيها رد على الشبهات.
- المجلس الثاني: سيكون عن الإخوان المسلمين.
- المجلس الثالث: سيكون عن جماعة التبليغ.

■ المجلس الرابع: سيكون عن داعش.

إذا احتجنا ستتكلم عنها أيضًا في يوم السبت الذي هو اليوم الأخير إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.
 ➔ فانتقل إلى العنصر الثاني بعد هذه المقدمات في هذه الجلسة: وهو بيان خطر جماعة الإخوان المسلمين، أنتم تقولون: إن جماعة الإخوان المسلمين خطر، طبعًا أنا سأبدأ بالخطر ثم سأعود إلى الكلام عن هذه الجماعة من ناحية تاريخية وبعض الفوائد.
 فما الدليل؟ وما هي أوجه خطورة جماعة الإخوان المسلمين على الأمة؟ وسأذكر عناصر وأمورًا تدل على خطورة هذه الجماعة:

الأمر الأول: أن هذه الجماعة جماعة الإخوان المسلمين محدثةٌ محدثة؛

■ فهي محدثةٌ في ذاتها.

■ ومحدثةٌ في منهجها.

وتُخالف منهج السلف، فإنها لا تقوم على سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- والنبى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «إِيَّاكُمْ وَالْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتِ فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ» وهذه الجماعة محدثة ولا شك فتكون داخلَةً في هذا النص.

يقول الشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ-: "الانتماءات إلى الأحزاب المحدثة الواجب تركها وأن ينتمي الجميع إلى كتاب الله وسنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأن يتعاونوا في ذلك بصدق وإخلاص، وبذلك يكونون من حزب الله الذي قال الله فيه: ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢] بعدما ذكر صفاتهم العظيمة".

وذكر الشيخ الآيات ثم قال: "فهذه صفات حزب الله لا يتحيزون إلى غير كتاب الله والسنة والدعوة إليهما، والسير على منهج سلف الأمة من الصحابة وأتباعهم بإحسان؛ فهم ينصحون جميع الأحزاب وجميع الجمعيات، ويدعونهم إلى التمسك بالكتاب والسنة، وعرض ما اختلفوا فيه عليهما؛ فما وافقهما أو أحدهما فهو المقبول وهو الحق، وما خالفهما وجب تركه، ولا فرق في ذلك -لا زال الكلام للشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ- بين جماعة الإخوان المسلمين، أو أنصار السنة، والجمعية الشرعية، أو جماعة التبليغ، أو غيرهم من الجمعيات والأحزاب المنتسبة إلى الإسلام".

فهذا الأمر الأول وهو أمر خطير عند من يعرف الموازين، كون الجماعة محدثة ليس لها صلة بالسنة ولا بالسلف هذا من أخطر الأمور، ثم هي في أصولها محدثة فهي تأتي بدع وهذا من أخطر ما يكون. ✦ من خطورة هذه الجماعة جماعة الإخوان: أنها تهوّن من شأن أصل دعوة الرسل الذي هو التوحيد، ومن السير على السنّة مع مخالفتهم العديدة في هذا الباب، فهم يجمعون بين التهوين من دعوة التوحيد، وبين المخالفات لدعوة التوحيد، فهم يُردّدون ويُقرّرون ويُكرّرون أن شرك القبور قد انتهى ولا ينبغي أن نشتغل به، وينبغي أن نشتغل بشرك القصور الذي هو الحاكمة على تحريفهم له، هذا موجودٌ في أدبياتهم كلها.

يقولون: شرك القبور هذا انتهى، هذا الذي تهتمون به أنتم معاصر السلفيين من الدعوة إلى التوحيد، وتحريم الاستغاثة بغير الله، وبالمقبورين وبيان أنها شرك، هذا انتهى، وهذا أولاً: إما أنه جهلٌ فاضحٌ بالواقع، وإما أنه كذبٌ صريح، والثاني هو الصحيح، فكل من يعيش في ديار المسلمين يعلم علم اليقين أن شرك القبور موجود وبكثرة، وأن ما يُسمونه شرك القصور يُبالغون فيه كثيراً ويحملونه على غير الوجوه الشرعية، فهم أهل مخالفة للتوحيد وأهل تهوين من شأن التوحيد.

← أعطيكُم أمثلة:

يقول أبو الحسن الندوي وهو من كبار رجالهم يقول: "كان الإمام حسن البنّا في أول أمره كما صرّح بنفسه على الطريقة الحصافية الشاذلية -يعني على الطريقة الصوفية-، وقد مارس أشغالها وأذكارها وقد حدّثني خواص أصحابه أنه بقي متمسكاً بهذه الأشغال والأوراد إلى آخر عمره".

انتبهوا هذه قضية مهمة؛ لأن بعض الذين ينتمون إلى الإخوان المسلمين ويُعرفون بشيء من العلم يُدلّسون على الناس، يقولون: نعم حسن البنّا كان في البداية صوفيّاً ثم ترك هذا، هذا أبو الحسن الندوي وهو من أعلم الناس بحسن البنّا ينقل عن خواص أصحاب حسن البنّا أنه كان على الطريقة الصوفية الحصافية الشاذلية، وكان يُمارس أشغالها وأذكارها، وأنه بقي على ذلك متمسكاً به إلى آخر عمره، وجماعة هذا إمامها ماذا ترجو منها في باب التوحيد والعبادة!؟

ويقول حسن البنّا بنفسه: "كنا أحياناً نزور عزبة النّوام -منطقة- حيث دُفِن في مقبرتها الشيخ سيد سنجر من خواص رجال الطريقة الحصافية، ونبقى هناك يوماً ثم نعود" يذهب يُجاور عند القبر

يومًا، وكان يُقيم الموالد ويُنشد الأناشيد الخطيرة جدًّا، ومن ذلك: أنه كان يُنشد مع أصحابه في المولد:

هَذَا الْحَبِيبَ مَعَ الْأَحْبَابِ قَدْ حُضِرَ وَسَامَحَ الْكُلُّ فِي مَا قَدْ دَارَ وَجَرَ

(هَذَا الْحَبِيبَ) يعني في المولد، (هَذَا الْحَبِيبَ) تعرفون أن الإشارة هذا تكون للقريب، (هَذَا الْحَبِيبَ مَعَ الْأَحْبَابِ قَدْ حُضِرَ) هذه الحضرة، ثم انظر: (وَسَامَحَ الْكُلُّ) غفر لكل الحضور هؤلاء حضور المولد غفر له، فيجعلون المغفرة لمن؟ للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، (وَسَامَحَ الْكُلُّ فِي مَا قَدْ دَارَ وَجَرَ)، وهذا الأمر أعني التهاون في التوحيد والمخالفات للتوحيد متأصل في الجماعة.

يقول التلمساني في كتاب له اسمه [شهاد المحراب عمر بن الخطاب] انظروا ماذا يُقرر، يقول: "ولذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل: إن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يستغفر حيًّا وميتًا لمن جاءه قاصدًا رحابه الكريم" يعني يجوز أنك تذهب إلى قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وتقول: يا رسول الله استغفر لي.

ويقول أيضًا: "فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء" طبعًا كرامة الأولياء اعتقادها من حيث الأصل أصل من أصول أهل السنة والجماعة، لكن اسمع ما يقول: "فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة" الذي هو شرك أكبر، يقول: لا داعي للتشديد في هذا الأمر، "والدعاء فيها عند الشدائد"، ثم يقول: "فما لنا وللحملة على أولياء الله وزوارهم والداعين عند قبورهم" كأنك إذا أنكرت الشرك تحمل على أولياء الله، لا والله أنك تذب عن أولياء الله، أن يُشرك بالله باسمهم.

يقول سعيد حوًّا وهو من كبار الإخوان: "وسلّمت الأمة في قضايا الاعتقاد لاثنين، من هما؟ أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي" يعني العقيدة التي تُنتهج ويزعم هو أن الأمة سلّمت في هذا هي عقيدة الأشعري في مرحلته الوسطى؛ لأن أبو الحسن الأشعري مر بثلاث مراحل، الذي عليه الأشاعرة اليوم هو المرحلة الثانية، ثم انتقل -رَحِمَهُ اللهُ- إلى عقيدة السلف ومات على عقيدة

السلف، لكن الأشاعرة يُنكرون هذا، وأبي منصور الماتريدي، وعقيدة الأشاعرة والماتريدية متقاربة؛ فهذا هو الذي يسير عليه رجال هذه الجماعة.

طبعًا جماعة الإخوان المسلمين في الزمن المتأخر رأوا أن عدم اهتمامهم بالتوحيد جعل كثيرًا من الناس ينفرون منهم، فجاءت صورة جديدة للإخوان مطورة وهي السرورية، هي هي الإخوان ولكن مملّعة بماذا؟ بأمرين:

- إظهار الاهتمام بالعلم.
- وإظهار الاهتمام بالتوحيد.

ولكنهم إذا تأملت في أحوالهم تجد في اهتمامهم بالعلم والتوحيد أمرين:

الأمر الأول: أن هذا الاهتمام إنما هو وسيلة للجر إلى الفكر، طعم، ولذلك أضرب لكم مثالاً:

- سفر الحوالي وهو من كبار قادة السرورين كان يشرح [العقيدة الطحاوية]، فبعد العصر يشرح [العقيدة الطحاوية]، بعد المغرب درس فكري يُقرّر فيه ما عليه السرورين الذين هم من الإخوان.

- سلمان العودة وهو من كبار رجال السرورين كان يشرح [بلوغ المرام] في أول الأمر كان شرح حديث واحد يأخذ شريطًا كاملاً، ثم بعد فترة ليست طويلة صار في وجه يشرح أربع أحاديث خمس أحاديث، وفي وجه يتكلّم عن الفكر والمنهج على طريقة السرورين.

إذن بالاستقراء والتتبّع نجد أن هؤلاء السرورين يجعلون الاهتمام بالعلم ودروس العلم والاهتمام بالتوحيد طعمًا للفكر والمنهج، ولذلك سلمان العودة يقول: "إن التوحيد يُتعلّم في عشر دقائق"، التوحيد الذي قضى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عمره منذ بُعث إلى أن مات يدعو إليه يُتعلّم في عشر دقائق، فهذا الأمر الأول الذي تلحظه في اهتمام السرورين الإخوانيين؛ لأن السرورين هم إخوان بالعلم والتوحيد.

الأمر الثاني الذي تلحظه: أن اهتمامهم بالجملة لا بالتفصيل، فهم إذا تكلموا عن التوحيد لا يتكلمون عن التوحيد تفصيلاً وبيان صور الشرك الواقعة ونحو ذلك، وإنما يتكلمون بالإجمال، وهذا أمرٌ واضحٌ ومدركٌ.

إذن الإخوان المسلمون من خطرهم أنهم يهونون من دعوة التوحيد، دعوة الأنبياء والرسل، وعندهم مخالفات خطيرة في باب التوحيد، وليس لهم نشاط في دعوة التوحيد، وهذا الذي حذّر منه العلماء كالشيخ ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ-.

لعلنا نقف عند هذا الموطن وغداً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- نُكْمِلُ الكلام عن أوجه الخطورة للجماعة الإخوان المسلمين على الأمة، ثم نتكلم عن فوائد تتعلق بتاريخ هذه الجماعة وتطورها باختصار إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وذلك في المجلس الثاني غداً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، أسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يرزقني وإياكم العلم والعدل، وأن يُفَقِّهنا في دينه، وأن يُبَصِّرنا بالسنة، وأن يجعلنا من الداعين إليها والمحذرين من مخالفتها ومخالفيها.

الأسئلة:

يقول: قال بعضهم: إن صحوة الإسلام يستفيد بوجود الإخوان المسلمين؟

الإسلام ما ركد حتى تكون له صحوة، الإسلام باقٍ بحمد الله، والنبى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ» وهذه المصطلحات يا أخوة مصطلحات دخلت على الناس من جهة الإخوان، مصطلحان خطيران دخلا على الناس من جهة الإخوان:

▪ الصحوة الإسلامية وإن كان هذا ورد في لسان بعض العلماء.

▪ والفكر الإسلامي، فجعلوا الإسلام فكرة.

وهذا خطير جداً وهذا من خطورة جماعة الإخوان: أنهم جعلوا الإسلام فكرة والفكرة اجتهاد بشري ليُروجوا لبعض رجالهم: المفكر الإسلامي الكبير، هو ما هو عالم لكن المفكر الإسلامي، ويُقيمون المحاضرة سيقدم إلى إندونيسيا المفكر الإسلامي الكبير.

والأمر الثاني: الصحوة والحقيقة أنهم حملوها على المعنى الذي يُريدون وهو الدخول في الجماعات، وهذا يتساير مع منهجهم في تقسيم الناس إلى قسمين:

- إسلامي.

- وإسلاميون وهم الذين معهم.

ومن خالفهم لا يستحق وصف إسلامي وهذا معروف؛ الدعوة إلى الإسلام إنما هي دعوة أهل المنهج السلفي، أعني الدعوة الحقيقية النافعة، وما عرّف الناس النشاط في التدبُّن على وجهٍ صحيح إلا بالدعوة السلفية المباركة.

يعني في بعض البلدان نحن زرناها قبل عشرين سنة وأكثر ما تكاد تجد أحدًا في المساجد، تدخل إلى المسجد تجد اثنين ثلاثة، قامت الدعوة السلفية في البلاد ونشطت وكذا، فجئت أصبحت ترى المساجد تمتلئ بالمصلين حتى مساجد العوام صارت تمتلئ بالمصلين بفضل الله -عزَّ وجلَّ- ثم بفضل دعوة السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-، دعوة الإخوان المسلمين موجودة من أكثر من تسعين سنة ما كان لها تأثير في تدبُّن الناس، وإنما التأثير في الحقيقة هو للدعوة السلفية بحمد الله.

[الفرق المنحرفة المعاصرة - جماعة الإخوان المسلمين ٢]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمَّان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمعاشر الأخوة: أُرْحَبُ بكم في هذا المجلس الثاني من مجالس يوم الأربعاء، وهو المجلس الثاني في موضوعٍ ذي أهميةٍ كبرى ينبغي على طلاب العلم أن يهتموا به وأن يكون عندهم علمٌ به؛ ألا وهو موضوع: [الفرق المخالفة لمذهب السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-] الفرق المعاصرة في زماننا، وقد كنا بدأنا في المجلس الماضي الكلام عن جماعة الإخوان المسلمين، وعن خطورتها وأسباب هذه الخطورة، ووقفنا في أثناء هذا الكلام، فنتمَّم ما بدأناه من بيان خطر جماعة الإخوان المسلمين على الأمة وأسباب هذا الخطر بالأدلة من مناهجهم وكلامهم.

✦ فمن خطورة هذه الجماعة: أنها جماعة تكفيرية قامت على التكفير، وُبنيت على الغلو، وتنتهج وصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية، وهذا يشمل جميع فروع هذه الجماعة بالشقين البنائي والقطبي السروري، كلاهما على هذا المنهج منهج التكفير والغلو، والنظرة السوداء إلى المجتمعات الإسلامية، ووصف هذه المجتمعات بأنها مجتمعات جاهلية.

يقول سيد قطب: "لقد استدار الزمان كهَيْتته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله" ليس المقصود أن الزمان استدار إلى زمان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فالناس على خير، المقصود استدار إلى ما قبل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فرجع الناس إلى الجاهلية، يقول: "لقد استدار الزمان كهَيْتته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله؛ فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله" لاحظ التعميم: (ارتدت البشرية) عن هذا الدين، وإن ضلَّ فريقٌ منها يُردِّد على المآذن لا إله إلا الله دون أن يُدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يُردِّدها".

☞ لماذا يقول هذا؟

لما سيأتي في كلامه: "ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدَّعيها العباد لأنفسهم وهو مرادفٌ للألوهية" يعني أن هذه المجتمعات مجتمعات كافرة بسبب أنها لم ترفض الحاكمية، والحاكمية عندهم مساوية للألوهية، كأن الحكَّام آلهة، فمن رضي بهم وبحكمهم فو راضٍ بإله غير الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، قال: "سواءً ادَّعوها كأفرادٍ أو كتشكيلاتٍ تشريعية أو كشعوب، فالأفراد كالتشكيلات كالشعوب ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية، إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية".

قال: "البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يردِّدون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات: لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثماً وأشدَّ عذاباً يوم القيامة -من مشركي الجاهلية يقصد-؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد بعد أن كانوا في دين الله" فحكم على جميع المسلمين بأنهم في مجتمع جاهلي وأنهم قد ارتدوا، وأن الأذان الموجود في ديار المسلمين لا يعني شيئاً ولا يُعني شيئاً.

ويقول أستاذهم القديم المودودي؛ لأن عندهم أستاذ قديم وأستاذ جديد:

▪ الأستاذ الجديد سيد قطب.

▪ والأستاذ القديم المودودي.

والحقيقة يا أخوة أن سيد قطب نسخة من المودودي، غير أنه صاغ أفكار المودودي كما سيأتينا إن شاء الله في الشخصيات بأسلوبه البليغ، وإلا كل ما وقع في سيد قطب ومن ذلك ما جمعه العلامة الإمام الشيخ ربيع بن هادي المدخلي وقد أحسن أيما إحسان، قد وقع فيه بناءً على فكر المودودي، فقد كان المودودي يقول به، ولكن سيد قطب ببلاغته صاغ هذه الأفكار بأسلوبٍ بليغٍ فانتشرت في الأرض أكثر من كلام المودودي.

فيقول أستاذهم القديم المودودي: "كان الخليفة الثالث عثمان لا يتصف بتلك الخصائص التي أوتيتها العظيمة اللذان سبقاه - أبو بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، انتبهوا ماذا يقول - فوجدت الجاهلية سبيلها إلى النظام الجماعي الإسلامي"؛ يعني يا أخوة هم ما يعتقدون أن الجاهلية اليوم فقط، الجاهلية دخلت على المسلمين من زمن عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، أعوذ بالله، أول من أدخل الجاهلية على النظام الإسلامي عندهم هو عثمان - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وأرضاه -.

ومن هنا تعرفون سر أنهم يُوجهون سهامهم إلى هذا الخليفة الراشد - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - الذي قال فيه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ»، والذي كان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يستحي منه وهم لا يستحون منه، يُلحقون به النقائص والعيوب العظيمة؛ فهم لا يرون فقط أن الجاهلية التي للمجتمع المسلم هي في المجتمع المعاصر اليوم، لا، هذه الجاهلية بدأت من زمن خلافة عثمان، يقول: (فوجدت الجاهلية سبيلها إلى النظام الجماعي الإسلامي).

ويُعلّق على كلامه أستاذهم الثالث، مَنْ هو؟ القرضاوي؛

▪ الأستاذ القديم: المودودي.

▪ الأستاذ الثاني: سيد قطب.

▪ أستاذهم الثالث المعاصر: القرضاوي.

يُعلّق على هذا الكلام فيقول: "فانظر كيف حكم هذا العلامة الكبير" هم طبعًا يطبخون بعض، كل واحد ينفخ كفر الثاني ويخدعون الناس، يقول: "فانظر كيف حكم هذا العلامة الكبير على الإسلام

بالارتكاس في الجاهلية مبكرًا منذ عهد الصحابة والتابعين والأتباع، وهي خير قرون الأمة بنصوص الأحاديث الصحيحة وبقراءة التاريخ الصحيح؛ "يعني يقول: إذا كانت الجاهلية كانت في هذا القرن الذي هو خير قرون الأمة فما بالك بالقرون اليوم؟ فهذه قضية مهمة جدًا أنهم لا يهتمون المجتمعات المعاصرة فقط بالجاهلية، وإنما من بداية عصر الإسلام في زمن عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فليست القضية الحاكمة اليوم وكذا، هو في الحقيقة وصف عندهم للمجتمع المسلم.

ونشرت إحدى الصحف في سنة ثمانٍ وعشرين بعد الأربعمئة والألف من هجرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الأمين العام لجماعة الإخوان المسلمين بمصر الدكتور محمود عزت أنه قال: "في عام ألفين وخمسة أثيرت قضية كتابات سيد قطب سواء من خلال بعض التصريحات لعددٍ من الإخوان، أو في المقالات التي كان يكتبها عددٌ آخر، بل وحتى من مذكرات شخصية من عدد الإخوان" يعني في ذلك الوقت بدأ بعض الإخوان يذكرون أن كتب سيد قطب وكلام سيد قطب فيه التكفير العام للمجتمعات.

يقول فيها: "أن هنالك كلامًا للأستاذ سيد يُكفِّرُ فيه المجتمع باعتباره مجتمعًا جاهليًا، وأن هذا الكلام كان له تأثيرٌ على جماعاتٍ أخرى غير الإخوان أدَّت إلى انتهاجها منهج العنف" والحقيقة أنه حتى الإخوان ينتهجون منهج العنف كما سأذكره لكم بعد قليل، لكن هم كانوا يقولون: إن كتب سيد قطب هي التي ولدت التكفير الذي ولدت التقتيل والتدمير والتفجير.

يقول: "وعندما ناقش مكتب الإرشاد -مكتب الإرشاد هو مصدر الرأي في الجماعة ويجب أن يُسْمَع له ويُطاع لا للكتاب ولا للسنة ولا لأئمة المسلمين- هذه القضية قرَّر إحالتها لقسم التربية، حيث أنه القسم المهتم بفكر الجماعة -فكر الجماعة يصدر من قسم التربية-، وللإخوان الذين عاصروا سيد قطب، وخاصة الذين تعاملوا معه بشكل مباشر، وبعد دراسةٍ مستفيضةٍ للموضوع وافق مكتب الإرشاد، وأعلن المرشد العام محمد مهدي عاكف موقف الجماعة" ما موقف الجماعة من إطلاقات وكلام سيد قطب؟ حيث قال: "إن كلام سيد قطب لم يخرج عن فكر الإخوان".

إذن الذين يُحاولون أن يفصلوا بين سيد قطب وفكر الإخوان ويقولون: هذا الرأي لسيد قطب، هؤلاء يُريدون أن يُجادعوا الناس، هذا مكتب الإرشاد الذي يُعاد إليه كل شيء في جماعة الإخوان يُقرر أن فكر سيد قطب وكلام سيد قطب لم يخرج عن فكر الإخوان، فهو فكرهم ومنهجهم بإقرارهم، ما نأتي بشيء يقوله غيرهم أبداً، كل ما أقوله لكم هنا هو من كتبهم ومن كلامهم. حسن البنّا حين قرأ كتاب [العدالة الاجتماعية]، سيد قطب هو الذي به الكلام على عثمان وفيه التكفير، قال: "هذه أفكارنا" أفكار جماعة الإخوان.

وقال عمر التلمساني وهو أحد من تولّى الإرشاد في جماعة الإخوان: "الشهيد سيد قطب له مؤلفات عدّة وجيده على مستوى رفيع -لاحظوا يا أخوة- منها: [في ظلال القرآن]، و[العدالة الاجتماعية]، و[معالم في الطريق]" وهذه الكتب كلها حتى الظلال فيها تكفير وفيها سب لموسى -عليه السلام-، وسب لعثمان -رضي الله عنه-.

يقول: "وتمتاز هذه المؤلفات بالنقمة على الظلم في كل مظهره، والحرص على رفع المعاناة عن كل الطبقات -هكذا يزعمون-، وقد كان لي شرف الاطلاع على كتاب [معالم في الطريق] قبل طبعه" يعني رآه قبل أن يُطبع، معنى ذلك أنه أقرّه وأذن فيه.

ويقول حسن الهضيبي أحد مرشدي الإخوان: "لا أعلم أن للأستاذ سيد قطب فكراً يُغاير فكر الإخوان المسلمين".

وتقول زينب الغزالي وهي من أعلام الإخوان المسلمين، تقول: "علمت أن المرشد حسن الهضيبي اطلع على ملازم هذا الكتاب -أي [معالم في الطريق]- وصرّح للشهيد سيد قطب بطبعه، وحين سألته قال لي: على بركة الله؛ إن هذا الكتاب حصر أمني كله في سيّد -يحفظه الله-، لقد قرأته وأعدت قراءته -هذا حسن الهضيبي يقول لزينب الغزالي-، إن سيد قطب هو الأمل المرتجى للدعوة الآن إن شاء الله، وأعطاني المرشد ملازم الكتاب فقرأتها" يعني هذه زينب الغزالي فقد كانت عنده لأخذ الإذن بطبعها، وقد حبست نفسي في حجرة بيت المرشد -يعني ما سمح لها أن تخرج بالكتاب خارج البيت فتقول: وقد حبست نفسي في حجرة بيت المرشد حتى فرغت من قراءة [معالم في الطريق]".

إذن الفكر الموجود في كتب سيد قطب هو فكر جماعة الإخوان، باعتراف أعلامهم ومرشديهم.

ويقول يوسف العظم: "عرض الشهيد بعد خروجه من السجن كتابه ذاك -أي [معالم في الطريق]- على الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للإخوان المسلمين ليكون الكتاب معتمداً تتدارسه الجماعة في صفوف أبنائها؛ أي يُربّى عليه أفراد الجماعة، فأقرّه المرشد وقال له: لماذا لا ننشر الكتاب ليطلع عليه الإخوان ويتداولوه فيما بينهم".

إذن بالأدلة الدامغة فكر سيد قطب التكفيري للمجتمعات الإسلامية والنظرة السوداء القائمة للمجتمعات الإسلامية هو فكر جماعة الإخوان المسلمين، ما نلصق هذا بهم بل هم الذي يُقررون هذا ويعترفون به.

✦ لننظر في بعض العبارات لإمامهم الأكبر في مسألة التكفير:

يقول حسن البنّا: "إذا قصر الحاكم في حماية الأحكام لم يعد حاكماً إسلامياً، وإذا أهملت شرائع الدولة هذه المهمة لم تعد دولة إسلامية - فلا الحاكم إسلامي ولا الدولة إسلامية - وإذا رضيت الجماعة أو الأمة الإسلامية بهذا الإهمال ووافقت عليه لم تعد هي الأخرى أمة إسلامية مهما ادّعت ذلك بلسانها" ما دام أنهم لا يوافقون الإخوان على مسألة الحاكمية فليس أمة إسلامية حتى لو قالوا: نحن من المسلمين.

ويقول أيضاً حسن البنّا: "إن زعماء مصر لم يتشبعوا بالإسلام، ولم يتصلوا بتعاليم الإسلام، ولم يُفتنوا بجمال الإسلام، كرعوا من معين غير معينه، ودرسوا من كتاب غير كتابه، فهم به لا يقتنعون، -بماذا لا يقتنعون؟ بالإسلام، والذي لا يقتنع بالإسلام كافر-، قال: وعلى حكمه لا ينزلون".

وجاء في مجلة النذير وهي إحدى مجلات الإخوان الشهيرة: "أما الربا فما زالت المحاكم تحكم به متوجّهاً حكمها باسم صاحب الجلالة المسلم الصالح -انظر إلى أوصاف التهكم هنا-؛ ففي أي بلدٍ نعيش؟ وبأي شرع نُحكّم؟ أفي مصر المسلمة العربية أم في مصر الوثنية؟!

وجاء أيضاً في مجلة [النذير] عن حسن البنّا أنه قال: "لقد عبد العرب قديماً الأصنام وهم لا يملكون نفعاً ولا ضرراً -يعني الأصنام ما يملكون نفعاً ولا ضرراً-، وهنا نحن اليوم -يعني في مصر- نعبد أصناماً في شكل زعماء -يعني صار الحكام الذين يحكمون المسلمون اليوم مثل اللات والعزى".

"لقد عبد العرب قديماً الأصنام وهم لا يملكون نفعاً ولا ضرراً، وهنا نحن نعبد أصناماً في شكل زعماء، لقد بعث الله رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بدين الحق ففتح مكة وحطَّم الأصنام وطَهَّرَ البيت الحرام للطائفتين، وقد آن لنا أن نقول: يا مصر؛ حطَّمي أصنامك، وطهري ديارك للصالحين" انظروا هذا المنهج الفاسد وإن كان الإخوان يتلونون ويُحاولون يظهرُونَ للناس غير الذي هم عليه؛ لأن القاعدة عندهم: أن الغاية تُبرِّر الوسيلة، بل لا مانع عندهم أن يعيب بعض الإخوان فكر الإخوان من أجل فكرة البقاء، وهذه الجماعة تدرِّس التكفير وتُلزم به، ومن لم يلتزم فكر التكفير يُخرجونه.

يقول أبو مصعب السوري وأبو مصعب السوري أحد المنظرين لتنظيم القاعدة، وتنظيم القاعدة ابن بار لجماعة الإخوان المسلمين، جماعة الإخوان المسلمين أم ولدت الجماعات التفجيرية التكفيرية، يقول أبو مصعب السوري: "روى لي أحد الموجهين في الإخوان المسلمين الأردنيين في عمَّان سنة تسعٍ وثمانين وتسعمئة وألف ميلادية فقال لي: لحقت بتنظيم الإخوان مطلع السبعينيات فطلب لي أن أعتقد كفر الملك -قيل لي: اعتقد كفر ملك الأردن-؛ لأنه يحكم بغير ما أنزل الله، وكان كتابنا الأساسي [معالم في الطريق] وكنت قد قرأت شيئاً من كتب التفسير -عنده شيء من العلم، قرأ- فقرأت قول بعد التابعين عن ذلك: كفرٌ دون كفر" أعني ابن عباس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- ثم جمع من التابعين يزيدون على خمسين من أئمة الإسلام يقولون بهذا.

وظننت أن الملك مسلم وليس كافراً؛ يعني من العلم الذي كان قرأه ظهر له أن الملك ليس كافراً وإن كان عنده معصية كبرى بالحكم، يقول: "وظننت أن الملك مسلم وليس كافراً وإن كان ظالماً فاسقاً، فتعرضت لمحاكمة إخوانية -أقاموا له محكمة لأنه ضل- أمهلني التنظيم مدةً لأعتقد كفر الملك أو أفصل من التنظيم، وجمدت عضويتي خلالها -خلال المدة جمّدت العضوية-، فنظرت في الأمر وأعلنت كفر الملك، وعُدت عضواً في التنظيم، وصرت موجهاً فيه بعد سنين أُدرِّس الشباب أدلة كفر الملك من [معالم في الطريق] وغيره" هذا منهج هذه الجماعة الخطيرة في التكفير والإلزام به والتربية عليه.

✦ ومن خطورة هذه الجماعة: أنها جماعةٌ دموية يقوم فكرها على الاغتيالات والتضحية بالعوام من أتباعها لتقوية شأنها، وهذه الصفة ملازمة لها منذ إنشائها، ومن المغالطات التي تُطرح في الساحة: أن أجنحة الإخوان جناحان:

- جناح بنائي سياسي ديموقراطي مسالم وهو جناح حسن البناء ومن معه.
- وجناح دموي يجنح إلى العنف وهو جناح سيد ومن معه.

والحقيقة كما قررت لكم قبل قليل من كلامهم أن فكر سيد قطب لم يخرج عن فكر الإخوان، وأن فكر الإخوان هو فكر سيد قطب، وهذا هو الواقع في جميع الأمور، فليس هناك جناحان مختلفان وإنما هما جناحان متفقان على الأفكار ولكن هذا يُصرِّح وهذا يُخفي أحياناً وهكذا.

يقول محمد الصَّبَّاح: "وقف رجال النظام الخاص للحكومة بالمرصاد -النظام الخاص هذا نظام عند الإخوان المسلمين، هيئة- عندما ثبت لهم بما لا يدع مجالاً للشك أن الحكومة أصبحت من المحاربين للإسلام، وأنه حقٌّ على كل مسلم مقاومتها بقوة السلاح كفرد عينٍ فرضه الله على المسلمين كافة تجاه المحاربين من الكفار وأعوانهم" يعني الحُكَّام والجيش، لا يحتاج أداءه إلى أمرٍ من قياده؛ لأنه صادر ملدن حكيمٍ خبير فيُسندون هذا إلى الله وأعوذ بالله مما يقولون، تعالَى الله عما يقولون، فما يحتاج الفرد في قتل الحكومة والجيش إلى إذن بل إذا جاءت الفرصة توكل على الله.

وهذا الذي نراه اليوم في مصر في قتل رجال النيابة وقتل الجيش وهذه الاغتيالات يرون هذا من الجهاد في سبيل الله؛ لأنهم كَفَرُوا الحكومة، وكَفَرُوا أعوان الحكومة، وكَفَرُوا من يرضى بالحكومة كما تقدَّم معنا في عموم التكفير عندهم، وحسن البناء أنشأ هذا النظام الخاص الذي تقدَّم ذكره ويُسمى أيضاً بالجهاز السري، له اسمان:

- النظام الخاص.

- والجهاز السري.

وذلك في سنة أربعين وتسعمئة بعد الألف من الميلاد، وهذا النظام نظام عسكري، وهو اليد العسكرية للإخوان المسلمين، وكانت فكرته قائمة على اختيار أعضاء من الإخوان يتلقون تدريباً عسكرياً شديداً، ويُحاط بالسرية المطلقة بحيث لا يعرف عنه أحدٌ شيئاً إلا الأعضاء فقط، وهذا

النظام يكون بطريقة العناقيد كل ثلاثة لهم رئيس يعرف الذين معه، ثم من هذه العناقيد يكون ثلاثة لهم رئيس يعرف الذين معه، ويكون ذلك سبباً في الإغراق في السرية بحيث لا يعرف جميع أفراد التنظيم جميع أفراد التنظيم، فلو وقع يقع بعضهم دون بعض؛ لأن بعضهم معروف وبعضهم غير معروف.

وهذا التنظيم توكل إليه مهمتان:

- التهديد والإرهاب.
- والاغتيال والقتل.

يعني إذا في واحد يُخالف فكر الجماعة ولا كذا يُرسلون له أفراد من هذا التنظيم انتبه؛ إما تستقيم وإلا نقتلك، والتنفيذ القتل والاغتيال.

يقول أحمد عادل كمال وهو أحد أعضاء التنظيم الخاص: "النظام الخاص جيشٌ يحمي الجماعة؛" يعني يحميها بذاتها ويحمي فكرها، وكان الذين يُعيّن رئيس التنظيم هو حسن البنّا بنفسه.

يقول محمود عبد الحليم وهو الذي كان رئيس التنظيم ثم حسن البنّا أمره أن يلتحق بوظيفة حكومية، ومن مناهج الإخوان يا أخوة: التغلغل في المؤسسات الحكومية، فقال له: ابحث عن بديل يرأس التنظيم فاختار عبد الرحمن السندي، يقول محمود عبد الحليم: "أحضرت عبد الرحمن للأستاذ المرشد حيث بايعه -البيعة أصل عند الإخوان المسلمين لكن ليس كل أحد يُبايع، الحطب الصغار هؤلاء ما يُبايعون، الذين يُبايعون الأعضاء- أمامي على أن يقوم هذا النظام، وعلى ألا يُقدّم على أية خطوةٍ عملية إلا بعد الرجوع إلى لجنة القيادة ثم إليه شخصياً إلى حسن البنّا".

ثم أصبح لهذا النظام فروع في القرى والصعيد، وقد قام هذا النظام بعددٍ من الاغتيالات؛ فاغتيال القاضي أحمد الخزندار، واغتيال النقراشي باشا رئيس الوزراء رمياً بالرصاص، ووضع خطة لقتل أحمد باشا رئيس الوزراء السابق ولكن سبقهم إليه رجل آخر فقتله.

ثم في عام ثمانية وأربعين جاءت فكرة عند الجماعة أن يُصدّروا النظام الخاص للدول الإسلامية، مثل الرفضة فكرة تصدير الثورة، فأرادوا نقل هذا النظام فنجحوا في بعض الدول وفشلوا في بعض الدول؛ يعني حسن البنّا ذهب إلى السعودية وقابل الملك عبد العزيز وحدثني الأمير محمد بن سعود

بن عبد العزيز -رَحِمَهُ اللهُ- أنه كان جالسًا في المجلس، فمن فمه إلى أذني يقول: قال حسن البنَّا للملك عبد العزيز: "نريد أن نفتح فرعًا للإخوان المسلمين في السعودية" فقال له الملك عبد العزيز -رَحِمَهُ اللهُ- بدعائه وذكائه: "الله يهديك يا شيخ حسن كلنا في السعودية إخوان مسلمون" جاي إلى السعودية وفيها الحمد لله الإسلام والعمل بشرع الله والتوحيد لتفتح فرعًا للإخوان المسلمين، كلنا في السعودية إخوان مسلمون كما أراد الله وليس كما أرادها هؤلاء.

✦ ومن خطورة هذه الجماعة أيضًا يا أخوة: أنها تنظيمٌ سياسي هدفه السياسة يجعل الإسلام مطيةً لتحقيق غايته، فليس المقصود تحكيم الإسلام وإنما المقصود الوصول إلى الحكم بالإسلام، وأظهر ما يكون هذا يا أخوة في هذه السنوات الأخيرة بعدما سقط مبارك ودخلوا للانتخابات وهم يُطلقون شعار الإسلام هو الحل ولا حكم إلا للإسلام وتولوا الحكم، أنشأوا دستورًا وافقوا عليه هو أشد في عدم تحكيم الشريعة من الدستور السابق.

ولما عرضه عليه بعض الأخوة قلت: هذا الدستور يستحيل معه أن تحقق الشريعة؛ لأنهم يُجادعون العوام يقولون: نحن نأخذ بالتدرُّج، نبدأ شيئًا فشيئًا، الدستور الذي وضعوه أشد من دستور مبارك في منع التحكيم بالشريعة، وصاروا يقولون: لا تحكيم الشريعة لا يعني إقامة الحدود، هذه مسائل فقهية ليست هي الشريعة.

فهذه الجماعة تنظيمٌ غالٍ في السياسة، متلونٌ في الدعوة تلون السياسة، ويجعل الإسلام مطيةً للوصول إلى الفكر السياسي، وهذا كما تنبهتم البارحة هو فكر جمال الدين الأفغاني في الغلو في السياسة وجعل الدين مطيةً للوصول إلى السياسة مع عدم انتهاج المنهج الرشيد أصلاً، ومنهجهم هو منهج ميكافيلي: "الغاية تُبرر الوسيلة".

والإخوان كانوا يُعظمون جمال الدين الأفغاني لهذا الأمر، ويُقرُّون بأن فكره السياسي الغالي قد أثر في الجماعة؛

يقول عمر التلمساني المرشد: "الأفغاني علامة عصره على الطريق -علامة ليس علامة- يعني المنارة، ترى آثاره فكرًا أخذ مجاله في أذهان كثيرٍ من المصلحين من بعده" يعني في أذهان الإخوان المسلمين.

وحسن البنّا غلا في السياسة حتى جعل الاشتغال بالسياسة من كمال الإسلام، وأن المسلم الذي لا يشتغل بالسياسة ناقص الإسلام، يقول: "إن المسلم لن يتمّ إسلامه إلا إذا كان سياسياً" يعني أبوك وأمك الذين ما يعرفون في السياسة في البيت هؤلاء علمهم، إسلامهم ناقص، علمهم السياسة. وعدّ المسلمين جميعاً آثمين إن لم تتحقق دولة الإخوان فقال: "نريد إقامة دولة إسلامية حرّة، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعاً آثمون" يعني ما هو فقط في مصر في كل مكان آثمون، ولهذا الغلو في الحاكمة والسياسة تقدّم أنهم جعلوا المسلمين في جاهلية، بل إنهم يرون أن كل شيء ينبغي أن يتوقف عنه ويُعطّل في سبيل تحقيق الدولة.

يقول حسن البنّا: "ليس للمسلمين الآن إمام" ما في ولا في دولة؛ لا السعودية، ولا إندونيسيا، ولا مصر، ليس للمسلمين الآن إمام، فتعالى ننسى كل شيء ونُعطّل كل شيء أمام القضية الكبرى" لا تأتي تقول لي: دعوة توحيد، وندرس العلم، ودورات علمية، تعال نُعطّل كل شيء أمام القضية الكبرى قضية تحرير الأرض الإسلامية، فلنجعل هذا غايتنا الأولى - ما هو غاية تحقيق التوحيد وتحكيم الشريعة، لا، إقامة الدولة-؛ إذ أنه بدون هذه الحكومة الإسلامية التي تحمي شرع الله فلا نظام للمسلمين ولا أحكام".

ويقول أيضاً: "عجيبٌ أن تجد الشيوعية دولةً تهتف بها ولا نجد حكومةً إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، وأنا الحكّامنا هذا وهم جميعاً قد تربوا في أحضان الأجنبي، ودانوا بفكرتهم على آثارهم يهرعون، وفي مرضاتهم يتنافسون، ولعلنا لا نكون مبالغين - هكذا يقول - إذا قلنا: إن الفكرة الاستقلالية في تصريف الشؤون والأعمال لم تخطر ببالهم فضلاً عن أن تكون منهاج عملهم".

✦ بل إنهم يا أخوة اختزلوا الإسلام كله في هذه الفكرة السياسية:

يقول أستاذهم المودودي: "الغاية المنشودة من رسالة أنبياء الله - عَلَيْهِمُ السَّلَام - في هذه الدنيا أن يُحقّق التوحيد - يقول هذا؟ لا والله ما قال هذا-، الله -عَزَّ وَجَلَّ- يقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] ماذا يقول المودودي؟ الغاية المنشودة من رسالة أنبياء الله - عَلَيْهِمُ السَّلَام - في هذه الدنيا أن يُقيموا فيها الحكومة الإسلامية: هذا التفسير

السياسي للإسلام، سرقة الإسلام من كونه دينًا عامًا شاملًا مصلحًا إلى كونه إسلامًا سياسيًا أن يُقيموا فيها الحكومة الإسلامية.

ولذلك سعى كل نبيٍّ وكل رسولٍ لإحداث الانقلاب السياسي عندما بُعثَ " فكان الأنبياء انقلابيين، ما كانوا مصلحين ولا دُعاةً إلى التوحيد، كانوا انقلاب، يقول: ولذلك سعى كل نبيٍّ وكل رسولٍ لإحداث الانقلاب السياسي عندما بُعثَ؛

▪ فمنهم من اقتصرت مساعيه على تمهيد السبيل وإعداد العُدَد كإبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَام- كان يُخطط للانقلاب، يُجهِّز.

▪ ومنهم من أخذ فعلاً في الحركة الانقلابية ولكن انتهت رسالته قبل أن تقوم على يده الحكومة الإلهية؛ كعيسى -عَلَيْهِ السَّلَام-؛ يعني عيسى -عَلَيْهِ السَّلَام- بدأ بالحركة الانقلابية لكن ما نجح، انتهت حركته قبل أن تبلغ النتيجة.

▪ ومنهم من بلغ بهذه الحركة منازل الفوز والنجاح كموسى -عَلَيْهِ السَّلَام-؛ يعني موسى -عَلَيْهِ السَّلَام- ثوري كامل، سعى في الانقلاب وأحدث الانقلاب ووصل للحكم، وسيدنا محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

✦ بل إن الإخوان المسلمين يرون أن الدعوة إلى الله لا حاجة إليها إذا لم تكن هناك دعوة إلى الحكومة التي يدعون إليها:

يقول المودودي: "بدون إرادة الحكم لا معنى للدعوة" أنتم في المعاهد تدرِّسون، وتخطبون في المساجد، وتُلقون الدروس ولكن ليس لكم إرادة في الحكم، ما تريدون الحكم، تريدون تعليم الناس، فعلكم ضائع، لا معنى لهذا بدون إرادة الحكم، بدون أن يكون في قصدك أثناء التعليم والدعوة الحكم لا معنى للدعوة إلى نظرية ما، ولا معنى للتحليل والتحرير والتشريع، ما في معنى تقول: هذا حلال وهذا حرام، وهذا واجب وهذه شريعة، ما دمت لا تريد الحكم.

ويقول أيضًا: "الجهاد الإسلامي لا يتعرَّض لعقائد الناس ومناسكهم، أو مناهج شؤونهم الاجتماعية التي اختاروها وآثروها لأنفسهم -انتبهوا لهذا الكلام الخطير-، فلهم الخيار أن يدينوا بما شاءوا من العقائد، ولهم الحرية التامة في أن يختاروا ما استحسَنوه من المناهج، لكنه لا يُرضى لهم أن تكون لهم

الحرية في تسيير ضفّة الحكم " لهم الحرية في العقائد، لهم الحرية في المناهج والعادات، أما الحكم لا ما في حرية، لكنه لا يُرضى لهم أن تكون لهم الحرية في تسيير ضفّة الحكم على منهاج ما أنزل الله به من سلطان".

✦ من خطورة هذه الجماعة وهو متصل بما قبله: أنها جماعة ثورية تدعو إلى الثورة وتقرّر الثورة، وقد تقدّم كلامٌ كثير يدل على ذلك.

يقول المودودي: " لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامي -هم الإخوان المسلمون- عن الشروع في مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود، والسعي وراء تغيير نظام الحكم في بلادهم التي يسكنونها، كلٌّ في بلده، أما غايتهم العليا وهدفهم الأسمى فهو الانقلاب العالمي الشامل المحيط بجميع أنحاء الأرض " يعني لهم هدف قريب وهدف بعيد؛

▪ الهدف القريب: حكم البلدان، حكم بلدانهم، أنتم في مصر، أنتم في إندونيسيا، أنتم في كذا، كلٌّ يهدف إلى حكم بلده.

▪ وأما الهدف البعيد: فهو ليس إقامة الخلافة الإسلامية على بلدان المسلمين، لا، حكم الأرض جميعاً.

هذا فكر الجماعة ليس الإصلاح ولا التوحيد ولا الدعوة، وإنما من خطورة هذه الجماعة أنها تربيّ شبابها وأتباعها على السمع والطاعة البدعيين، وتُنفر من السمع والطاعة الشرعيين، اليوم تسمعون في وسائل إعلامهم، في قنواتهم، في برامجهم أنهم يسخرون من السلفيين الذين يُقررون السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله، ولهم برامج.

أنا جاءوا بي في ضمن برنامج في قناة الخصيرة التي تُسمى بالجزيرة وهي قناة الفتنة وفكر الإخوان المسلمين للتنفير من منهج السلف في السمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله، واقتطعوا جزءاً من كلامي وأظهروه في برنامج، بينما هم يُقررون السمع والطاعة للمرشد مطلقاً؛

▪ يعني السلفيون يُقررون السمع والطاعة الشرعيين لولي الأمر المسلم الذي له الولاية الشرعية في غير معصية الله.

■ أما هم فيُقررون السمع والطاعة لغير الوالي وإنما للمرشد العام الذي هو عندهم يقوم مقام الخليفة الغائب، كما أن الولي الفقيه عند الرافضة يقوم مقام الإمام الغائب. ولذلك لا تستغربوا من تقارب الإخوان والروافض فإنهم فكر واحد، فهم يحملون على السلفيين الذين يأمرون بالسمع والطاعة لولي الأمر المسلم في غير معصية الله، ويستدلون بالأدلة الشرعية الصحيحة الواضحة في هذا الأمر، ويُربُّون الشباب والأعضاء على السمع والاعية مطلقاً للمرشد. يقول حسن البنّا مخاطباً الإخوان المسلمين: "اسمعوا وأطيعوا لقيادتكم في العسر واليسر، والمنشط والمكره، فهي رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فينا بينكم". ويقول أيضاً: "من أركان بيعتنا الطاعة، وأريد بالطاعة امتثال الأمر وإنفاذه تَوًّا في العسر واليسر، والمنشط والمكره".

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي وهو يتحدث عن جماعة الإخوان المسلمين وما انتقض عليهم من ضعف الاهتمام بالعلم، يقول: "وربما رد بعض الناس ذلك الى عيب في الجماعة، هو: ضعف الاهتمام بالجانب الثقافي أو العلمي أو الفكري فيها، حتى شيخنا البهي الحولي عندما وجهنا في "كتيبة الذبيح" كان أكبر همّه التوجيه الروحي والسلوكي، وهو مهمٌّ ولا شك، ولم يكن همُّه التكوين العلمي أو الثقافي، ولهذا لم يوجهنا الى أي كتاب نقرؤه" لم يُوجِّهنا إلى قراءة الكتب والعلم، "أو يكلفنا بأي شيء علمي نقوم به، كانت الفكرة المسيطرة: أن يدرِّبنا على السمع والطاعة" هذا الذي يقول فيه قبل قليل: إنه مهمٌّ جدًّا: أن يدرِّبنا على السمع والطاعة، فعلينا أن نقول لقادتنا ما قال اسماعيل لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصفوات: ١٠٢]؛ فهو يريد جنودًا مطيعين، أكثر مما يريد دعاة مثقفين" هذا الذي يُريده الإخوان.

ومن أمثلتهم التي يُردِّدونها ويذكرونها ولا يفهمها بعض الأخوة أنهم يقولون: كل وأنت شبعان، معروف يا أخوة أن الشبعان ما يأكل، لكن يقولون: "كل وأنت شبعان"، ومرادهم: إذا أمرك أمير كتيبك أو أمير طائفتك بأن تأكل وأنت شبعان قد امتلأت من الأكل كُلاً؛ يعني لا رغبة لك ولا إرادة ولا اختيار.

ومن غلوها في ذلك يا أخوة: أنها منعت أعضائها من إطلاق اللحية إلا بإذن المرشد العام، أصدرت فرمان ممنوع على الأعضاء إطلاق اللحية إلا بإذن من المرشد العام، النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «اغفوا اللَّحَى» قالوا: لا ممنوع، ما هو النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي يأمركم، لا، ارجعوا للمرشد العام، فيقول لهذا: احلق لحيتك، ولهذا: خلها... ولهذا كذا، وهذا موجودٌ مثبت.

✦ من خطورتها: أنها تستعمل المصطلحات الشرعية في غير معناها استعمالاً لقلوب العامة، وتُنزِّها على ما يخدم مصالحها انطلاقاً من اسم الجماعة، تسموا بالإخوان المسلمين، فاستخدموا مصطلح الأخوة الإسلامية، وربما استعمل بعضهم: وكونوا عباد الله إخوانا في الدعوة إلى الجماعة، وما رأى المسلمون منهم أخوة، بل رأوا التكفير والاعتيالات، وإنما هم إخوانٌ لبعضهم. ولذلك بعض المشايخ ما يُطلق عليهم الإخوان المسلمين، بعضهم يقول: الإخوان المتأسلمون، وبعضهم يقول: الإخوان المفلسون، لكن على كل حال من تسمَّى باسمٍ تُسميه به على ما اختار؛ يعني قد يأتي إنسان وهو مشرك وتسمَّى بعبد الله تُسميه بعبد الله وإن كان مشركاً.

☞ أيضاً استخدام مصطلح الحكم بما أنزل الله: وهو مصطلح شرعي شريف ولكنهم يستعملونه في غير معناه الصحيح، ولذلك إذا وصلوا إلى الحكم يُعطلون الحكم بما أنزل الله، قبل الحكم لا حلَّ إلا الإسلام، الحكم بما أنزل الله، الطاغوتية في الحكم بغير ما أنزل الله، فإذا وصلوا إلى الحكم تغيَّر هذا المعنى.

يقول حاكمهم الأخير الذي أسقط: "إن الجانب التشريعي أو القانوني ليس هو كل الإسلام - يعني لا تُطالبوني بإقامة الحدود - فالإسلام عقيدةٌ ثلاث الفطرة، وعبادةٌ تُغذي الروح، وخلقٌ تزكو به النفس، وأدبٌ تُجَمَّل به الحياة، وعملٌ ينفع الناس، ودعوةٌ هداية العالم" هذا كلام حق يُراد به باطل، يُراد أنه يقول: ليس الحكم بما أنزل الله أن نُحكِّم الشريعة في الحدود والقصاص ونحو ذلك.

إلى أن قال: "إن الإسلام توجيهٌ وتربيةٌ وتكوينٌ للفرد الصالح وللمجتمع الصالح قبل أن يكون قانوناً وعقاباً، إن العقاب للمنحرفين من الناس، وهؤلاء ليسوا هم الأكثرين، وليسوا هم القاعدة،

بل الشواذ عن القاعدة، والإسلام لم يجد لعلاج المنحرفين أساسًا، بل لتوجيه الأسوياء ووقايتهم أن ينحرفوا" وهذا المقصود منه أنهم لا يُحكّمون القانون؛ لأنه أمر ثانوي.

وقال أيضًا: "إنه لا يسعى إلى فرض إقامة دولة إسلامية - ما يسعى إلى هذا-؛ لأن شكل النظام يختاره الجميع من أهل البلد" يعني لو اختاروا أي نظام فلهم الحرية، هذا هو الحكم بما أنزل الله والحل في الإسلام، مشيرًا إلى أن المحاكم التي يتولّى رئاسة اتحاد يجمعها تحكم بالقانون الإسلامي لكنها تستبعد أحكام الحدود، قال: لأن الظروف الحالية غير مناسبة لتطبيقها".

وقال بعضهم متفاخرًا: "نحن أكثر انفتاحًا من المجموعات السياسية التي تدّعي الحداثة، وقد قدّمنا على رأس قوائمنا الانتخابية نساءً غير محجبات، وتحدينا البقية -أي الأحزاب السياسية- أن يُقدّموا امرأة واحدة محجبة" يعني نحن قدّمنا لهم نساءً غير محجبات وقلنا: قدّموا لنا امرأة واحدة محجبة.

وقال: "لن نمنع الشواطئ المختلطة التي يسبح فيها الرجال والنساء، أو البيكيني الذي هو لبس المرأة العارية للسباحة، ولن نفرض على النساء زيًا معينًا كالحجاب" أين تحكيم الشريعة وتحكيم الإسلام، ثم ذكر أن رئيس النظام قبله بما يعييه الذي كانوا يقولون: الحكم والحكم، ذكر أن رئيس النظام قبله كان يتدخل في لباس الناس، فهم يستخدمون هذا لتحقيق أغراضهم، وهذا بابٌ كبير.

لعلنا نقف هنا وغدًا إن شاء الله سنبدأ في جماعة التبليغ، يوم السبت إن شاء الله سنرجع إلى جماعة الإخوان لنظرة تاريخية بعيدًا عن الخطورة، انتهينا الحمد لله من هذا، لكن سنذكر لكم بعض الأسرار التاريخية المتعلقة بالجماعة والفوائد المتعلقة بهذا إن شاء الله -عزَّ وَجَلَّ-، لعلنا نقف هنا وبقي حوالي عشر دقائق نغتنمها في إجابة الأسئلة.

[الفرق المنحرفة المعاصرة - داعش تنظيم الدولة الإسلامية]

وقد تكلمنا عن جماعة الإخوان، وعن جماعة التبليغ، وإن شاء الله غداً السبت سنعود إلى هاتين الجماعتين ببعض الفوائد والأمور.

✦ واليوم نتكلم عن تنظيم داعش:

وهذا التنظيم نشأ حديثاً قريباً وهو متولّد من جماعة الإخوان المسلمين، وأول نبتة لهذا التنظيم كانت جماعة أسّمت نفسها بـ "جماعة التوحيد والجهاد"، أسسها أبو مصعب الزرقاوي وهو من التكفيريين في الأردن، أسّس هذه الجماعة في العراق، وهو كان في الأردن كانوا في الزرقاء كانوا جماعة يُعرفون بالتكفير، ثم اختلفوا فيما بينهم هل آن وقت العمل أو لا زلنا في وقت التربية؟

▪ فبعضهم كان يرى أنهم لا زالوا في وقت التربية على المنهج ولم يحن وقت العمل.

▪ أبو مصعب الزرقاوي كان يرى لا، أن الوقت قد حان للعمل، فخرج إلى العراق

بعدما دخله الأمريكان وأنشأ هذه الجماعة "جماعة التوحيد والجهاد".

ثم بعد سنة واحدة من إنشاء الجماعة بايع الزرقاوي أسامة بن لادن زعيم القاعدة، فصارت هذه الجماعة ذراعاً لتنظيم القاعدة في العراق، وهم يستهدفون السعودية بلد التوحيد والسنة، فكانت هذه فرصة في أن تكون هذه الجماعة في العراق.

ثم نبتت جماعات أخرى في العراق هنا وهناك، ثم اندمجت مع بعضها، وشكّل الزرقاوي مجلس شورى المجاهدين، طبعاً تعرفون أنهم غشّوا شباب المسلمين وقالوا: أن العراق أرض جهادية ويجب على المسلمين أن يأتوا لنصرة إخوانهم، فإذا جاء الشباب المغرورون الجاهلون إليهم ما يُوجهونهم في الحقيقة إلى ما زعموا من نصرة الأخوة في العراق مع أن هذا ليس جهاداً أصلاً، لكن لا يُوجهونهم إلى هذا، وإنما يُنشئون لهم لجاناً علمية تُعلمهم التكفير وتُجنّدهم للدخول في هذا التنظيم.

وقد رأس مجلس شورى المجاهدين رجلٌ عراقي يُقال له: أبو عبد الرحمن البغدادي، وهكذا هم لا يُعرفون إلا بالكُنَى، هذا العراقي اسمه عبد الله الرشيد، لكنه معروف ومشهور بأبي عبد الرحمن البغدادي.

الزرقاوي هذا قُتل في العراق بعد إنشاء هذه الجماعة بستين، قُتل فنصّب أفراد الجماعة رئيسًا وزعيمًا للتنظيم هو أبو حمزة المهاجر، واسمه عبد المنعم بدوي مصري، وفور أن تولّى الزعامة أعلن المبايعة لأسامة بن لادن؛ يعني يا أخوة الارتباط وثيق بين القاعدة وداعش.

ثم لا زال هذا التنظيم يزداد قوة بورود شباب من خارج العراق وتجنيدهم في هذا التنظيم، فأرأوا أنه أصبحت لهم دولة، وأن لهم أن يُعلنوا دولتهم، فأعلنوا دولة العراق الإسلامية، وبايعوا أبا عمر البغدادي واسمه حامد الزاوي بايعوه أميرًا، وصار أبو حمزة المهاجر وزير الحرب وبايع أبا عمر البغدادي على السمع والطاعة.

ثم قُتل أبو حمزة المهاجر وأبو عمر البغدادي في عام ألفين وعشرة ميلادي، فلما كان ذلك كذلك ولّوا أبا بكر البغدادي واسمه إبراهيم عوّاد، وأبو بكر البغدادي يا أخوة كان من جماعة الإخوان المسلمين كما أخبر بذلك القرضاوي، ذكر أن أبا بكر البغدادي منهم ومن الإخوان المسلمين، وفور أن تمّ تعيينه أميرًا - أعني أبا بكر البغدادي - أعلن تبعيته لأسامة بن لادن، وأنه يُبايع أسامة بن لادن.

في هذه الفترة في سنة ألفين واثنى عشر ميلادي صار لهذا التنظيم ذراعٌ في الشام وفرعٌ في الشام في سوريا سُمي "جبهة النصرة لأهل الشام" بزعامة أبي محمد الجولاني واسمه أسامة الواحدي، وكان البغدادي قد أرسله من العراق إلى سوريا بعدما حدث في سوريا مما سموه الثورة، وأعلن البغدادي أن جبهة النصرة في سوريا امتداد لدولة العراق الإسلامية، وبناءً عليه أعلن إلغاء اسم جبهة النصرة ودولة العراق الإسلامية، وجمعها تحت اسم واحد: "الدولة الإسلامية في العراق والشام".

ومن هنا نُحِت هذا الاسم: "داعش"؛

▪ (د) من الدولة.

▪ (أ) من الإسلام.

▪ (ع) من العراق.

▪ (ش) من الشام.

فصار في الإعلام يُسمى هذا التنظيم بداعش.

ثم حصل اختلافٌ بين القاعدة وهذه الدولة أو هذا التنظيم ليس اختلافاً في الفكر وإنما اختلاف في الأولويات، فأعلن هذا التنظيم انفصاله عن أمه القاعدة، مما جعل القاعدة بعد أن كانت تُثني على هذا التنظيم وتدعو إلى الالتحاق به تأمر بحل هذا التنظيم؛ لأنه خرج من عباؤها، حتى خرج الظواهري فأصدر أمراً فورياً بإلغاء وحل دولة البغدادي، وأعلن أن جبهة النصره فرعٌ مستقلٌ للقاعدة وليست تابعة للبغدادي.

فصار انفصام بين تنظيم داعش وتنظيم القاعدة من هذا الباب، وصاروا يُقاتلون المسلمين في العراق والشام، ويتخذون السبايا من نساء مخالفيهم، حتى أن بعض الناس اضطروا إلى إرسال بناتهم بعيداً عن مقر هذا التنظيم؛ لأنه ذُكر أن الواحد منهم إذا رأى واحدة اتخذها سبيّة، وربما أهدى بعضهم بعضاً هؤلاء السبايا، فتكون عند هذا الليلة ثم يُهدىها لأخيه تملكاً في الليلة الثانية.

وقد جاءني بعض الأخوة من العراق في المدينة وقالوا: يا شيخ والله نحن أصبحنا نضطر نُخفف لحانا على طريقة الرافضة؛ لأن هؤلاء المجرمين إذا رأونا ملتحين يتهموننا بالزندقة وأنا أتباع ربيع المدخلي، وأتباع ما أدري مَنْ، وأتباع ما أدري مَنْ ويُقتلوننا، ولا نستطيع أن نمر، لكن إذا رأونا مثل الرافضة يتركوننا ما يتعرّضون للرافضة.

وأحدثوا فساداً عظيماً، وصار بين تنظيم داعش وجبهة النصره عداوة؛ لأن جبهة النصره تابعة للقاعدة وداعش أعلنت أنها دولة مستقلة، وكان أصحاب هذا التنظيم تنظيم داعش يقولون لجبهة النصره: "جئناكم بالذبح"، وجبهة النصره تتهم داعش بأنهم خوارج والكل خوارج، لكن هكذا أهل الضلال، بل إن الجولاني زعيم جبهة النصره وصف الدواعش بأنهم بُغاة أقرب من الكفر منهم إلى الإسلام.

يقول في صفحته في الإنترنت: "جماعة الدولة اليوم اجتمعوا من أمثال أولئك؛ ففيهم الخارجيُّ الجلد، ومنهم العصابات واللصوص والمرتزقة، ومنهم من له ثاراتٌ يستغل الجماعة من أجلها، ومنهم من أمضى عقوداً وهو حذاءً في قدم الطاغوت".

ويقول: "سبق وأن حدّرنا من هذه العصابة الإجرامية التي ترفع شعار الإسلام، والتي افتاتت لسنوات باسم القاعدة، حتى استقطبت الكثير من الشباب والمحين للجهاد"، هي كانت بنت

القاعدة وكانوا مبايعين للقاعدة، وكان زعماء القاعدة راضين بهذه البيعة، لكن لما اختلفوا أصبحوا يطعنون في بعضهم ويشككون في بعضهم.

قال: "فكشّرت عن أنيابها وانقلبت على تنظيم القاعدة، ونسوا أن القاعدة هي التي حطّمت أمريكا" هم مساكين، عندهم عنتريات، أسقطوا برجين في أمريكا وقالوا: حطّموا أمريكا وسقطت دولتان من دول المسلمين بسبب هذا، قال: "فكشّرت عن أنيابها وانقلبت على تنظيم القاعدة، ونسوا أن القاعدة هي التي حطّمت أمريكا، فكيف تُحطّمها عصابة البغدادي التي هي أوهى من البيت العتيق".

ولذلك يا أخوة جبهة النصرة والتنظيم صاروا يتقاتلون في سوريا، ولا همّ لهم في الحقيقة في نصرة السوريين، وهم لا يُريدون إعادة سوريا إلى أهلها، هم يريدون إقامة دولتهم في أرض سوريا، حتى أن أحد الشباب الذين ذهبوا إليهم ثم لما رأوا حقيقتهم فرّ، طبعًا الفرار منهم صعب؛ لأنه إذا جاءهم الشاب يأخذون جوازه، وإذا فكّر في الهرب يقتلونه، لكن هذا أنجاه الله.

جلسنا معه يقول: كانت الجوازات تحت رأس رئيس الفرقة، يقول: فكان نائمًا فيسر الله لي أي أخذت جوازي، قال: وفررت إلى جهة تركيا حتى وصلت وسلّمت نفسي للسفارة السعودية، هو سعودي والتقينا به، يقول: الذي جعلني أتركهم أي رأيت أنا نلعب الكرة ونضحك وكذا وإخواننا في سوريا يُضربون بالقنابل وكذا ونقول: نريد نجاهد؛ لأنهم مساكين، هم يظنون أن هذا جهادًا، فيقولون: لا. قال: فعرفت أن المسألة ليست نصرة سوريا وليست جهادًا، وأنا ما جئت إلا للجهاد، مع أن ذهابه مخالفة شرعية أصلًا لكن لما رأى حالهم فرّ منهم، وهم في الحقيقة يتقاتلون، بل يسرقون مواد الإغاثة التي تأتي من أجل إغاثة السوريين كما أخبرنا بذلك الأخوة الذين يقومون على الإغاثة في سوريا، وبينهم صراع.

✦ هذا التنظيم الإجرامي داعش خطره عظيم من خطر هذا التنظيم: الأفكار الخطيرة التي يتبنّاها المخالفة لمنهج أهل السنّة والجماعة كما دلّت على ذلك كلماتهم وخطبهم؛

☞ فمن أفكارهم: أنهم يحكمون على جميع الديار بأنها ديار كفرٍ وحرب وليست ديار إسلام، ولم يستثنوا من ذلك في الأرض إلا دولتهم، حتى مكة والمدينة عندهم هي دار حرب ودار كفر وتجب

الهجرة منها إلى أرض دولتهم، ولذلك يا أخوة لا تستغربوا جرأتهم على مكة والمدينة، بل جرأتهم على المسجد النبوي والمسجد الحرام، وأنهم رغبوا في رمضان الماضي ليس القريب الذي قبله أن يُفجَّروا في المسجد النبوي، لولا أن الله سلَّم ففجَّر الشخص المكلف نفسه قبل أن يصل إلى المسجد؛ لأنه ظنَّ أن الجنود سيقبضون عليه، وكان هذا في العشر الأواخر من رمضان.

وكذلك اكتشفت الجهات الأمنية عددًا من المصاحف ملغمة موجهة إلى المسجد الحرام؛ يعني كانوا يريدون إدخالها إلى المسجد الحرام بحجة أنها مصاحف يتبرعون بها وهي ملغمة، لا تستغرب ذلك؛ لأنهم يرون أن مكة والمدينة دار حرب ودار كفر وتجب الهجرة منها، فهم يقولون: إن الهجرة واجبة على المسلمين جميعًا من جميع الأرض إلى دولتهم هم، وأن من لم يهاجر من المسلمين فإنه آثم، ويُجيبون البيعة لأمرهم على كل المسلمين بزعم أنه خليفة المسلمين، ويحكمون على جميع حُكَّام المسلمين بالكفر، ولا يوجد حاكم مسلم على وجه الأرض إلا البغدادي والبقية كفَّار.

يحكمون على جميع جيوش الدول الإسلامية بالكفر وبالتالي تجب محاربتها، بل هم يُكفِّرون رجال الأمن جميعًا من الجيش وغيره، ويُجيبون محاربة هؤلاء الرجال، ولذلك يا أخوة فجَّروا عندنا في مساجد رجال الأمن، سبحان الله! يقولون: هذا كافر ويتظرونه في المسجد، يعرفون أنه يأتي يُصلي، لا حُرمة للمسجد، ولا حرمة للصلاة، ولا حرمة للمصاحف التي في المسجد، ويدخلون المسجد يُفجِّر نفسه ويُقتل المصلِّين وتحترق المصاحف وهم لا يُجركون ساكنًا، وهم طبعًا على نهج الخوارج المتقدمين، قلوبهم غليظة، وأحوالهم عجيبة، يجرؤون على قتل أهل الحق ويتورَّعون عن أمورٍ يسيرة.

بالنسبة للمتقدمين ذُكر أن الخوارج مرُّوا بخنزير فضربه أحدهم بالسيف ثم قال: لعله لرجلٍ من أهل الكتاب، فذهب يبحث عنه ليستحلَّه، ووجد أحدهم لقمه في الطريق فوضعها في فمه ثم ألقاها قال: لعلها من حرام، ولما وجدوا الصحابي ابن الصحابي عبد الله ابن خبَّاب ومعه امرأته وهي حامل شقُّوا بطنها وأخرجوا جنينها وقتلوا زوجها.

وفي هذا الزمان لما جزَّ أحدهم رأس امرأة وهذا صُور ونُشر ثم أخذ يُلوِّح برأسها بعد أن فصله عن جسدها، امرأة غريبة، اختلف أتباع هذا التنظيم في المسألة، ما هي المسألة التي اختلفوا فيها؟ هل يجوز لها مسُّ شعرها أو لا يجوز؟ يعني مسألة أن جز رأسها هذا ليس بشيء، المسألة فقط لما مسك

شعرها وأخذ يُلَوِّح وهي امرأة أجنبية عنه هل يجوز له أن يمس شعرها أو لا يجوز؛ فهم كما قال ابن كثير: "تظهر منهم أشكالٌ عجيبة" ليس في هيأتهم وإنما في أحوالهم، وإن كانوا أيضًا في هيأتهم يظهر عليهم الغضب نعوذ بالله من ذلك.

✧ طبعًا هذا التنظيم تولدت منه أذرع؛ منها: جماعة أنصار بيت المقدس، وهذه جماعة تابعة للتنظيم في مصر في سيناء، وهم يُقتلون الجيش المصري، ويقومون بالتفجيرات في مصر، ويستقطبون الشباب الصغار، وقد أعلنت هذه الجماعة كفر حاكم مصر وأفتوا بحلِّ دمه، وأعلنوا بكل وضوح كفر الجيش المصري، وأن دماء أفراد حلال، وهذا موجودٌ في بياناتهم.

✧ أيضًا من الجماعات الإجرامية التي تولدت عن هذا التنظيم وهي على فكرة: جماعة بوكو حرام في نيجيريا وإفريقيا، وهي تقوم بخطف النساء واستعبادهم، وبقتل الناس.

✧ كذلك هناك ما يُسمى بـ: جماعة جند الخلافة في الجزائر وهي تابعة أيضًا لتنظيم القاعدة، فهي تتمدد.

✦ ومن خطرها: أنها الآن تفكّر بل تعمل على نقل مكان عملها إلى أماكن بعيدة منها إندونيسيا، فهي تخطط للانتقال إلى الغابات في إندونيسيا؛ لأنها بعيدة عن أيدي أمريكا كما يقولون خوفًا على استئصال التنظيم في العراق، وقد بدأوا في هذا فعلاً، ولذلك ينبغي على طلاب العلم أن يتبهوا، وأن يُحذِّروا الشباب من خطر هذا التنظيم، ومن انحراف فكر هذا التنظيم.

ولا شك يا أخوة أن المتأمل لفكر تنظيم داعش يعلم أنهم على فكر الخوارج سواء بسواء، وقد ألقيت محاضرةً في الجامع الكبير بالرياض بحضور ساحة المفتي عن [خطر تنظيم داعش ووجوب محاربتة أو وطرق محاربتة]، وهذه المحاضرة موجودة في اليوتيوب وفي غيره، فحبذا لو أن الأخوة اطلعوا عليها واستمعوا لها، فقد جمعت طرفاً من خطر هذه الجماعة وهذا التنظيم على الأمة.

✦ سأنقل لكم بعض فتاوى كبار العلماء في هذا التنظيم:

هناك سؤال وجّه للشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: شيخ صالح: هناك بعض الجماعات التي تتكلم باسم الإسلام وترفع راية الجهاد في سبيل الله وشعار الدفاع عنه، ثم هي تسيء للإسلام أبلغ

الإساءة وذلك بما أظهره من سفكٍ للدماء، وانتهاكٍ للحرمات، وترويعٍ للآمنين، وتفريقٍ لوحدة الصف، فما قولكم حول ذلك؟ بعضًا تلاحظون أن هذا الوصف يشمل القاعدة وبناتها.

فقال: "الحمد لله، الجهاد هو سنام الإسلام والجهاد والهجرة من أفضل الأعمال في الإسلام، ولكن الجهاد من صلاحيات ولي الأمر، ولي أمر المسلمين هو الذي يأمر به، وهو الذي يُنفذه، وهو الذي يشرف عليه بنفسه، أو يقيم من يقيم مقامه في ذلك، وهذا مذكورٌ في كتب العقيدة، عقيدة أهل السنة والجماعة قالوا: الجهاد ماضٍ مع كل إمام برًّا كان أو فاجرًا حتى تقوم الساعة، فهذا هو الجهاد المشروع، أما سفك الدماء ومعصية ولي الأمر فهذا مذهب الخوارج، وهذا من الإفساد في الأرض، هذا إفسادٌ وليس جهاد".

فقال السائل: يا شيخ؛ بعض الشباب قد ينخدع بالشعارات البرّاقة لهذه الجماعات المفسدة، وقد يُسارع بالانضمام إليها، ويخرج على ولاة الأمر ويُنايذهم العداوة، ما توجيهكم؟

فقال: "هؤلاء الذين هذا وصفهم قد حذّر منهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وحذّر منهم أئمة الإسلام، والواجب مناصحة من يقبل النصيحة منهم، ومن لا يقبل النصيحة فإن ولي الأمر يكفُّ شرّه عن المسلمين بما يتخذه من اجراء رادع لهؤلاء وأمثالهم، فالدين لا بد له من حماية، البلاد بلاد المسلمين لا بد لها من حماية والمسلمون كلهم رجال أمن، وكلهم مسؤولون عن حماية هذا الدين وحماية بلاد المسلمين وحرمتهم، فلا يجوز السكوت عن هؤلاء".

يعني من عرف أن جارا له أو طالبا يحمل هذا الفكر الخطير يجب أن يُنصحه؛ فإن انتصح وإلا وجب أن يُبلِّغ عنه الجهات المسؤولة رحمةً به هو وبالناس؛ لأن هذا لو تُرك غداً يُفجّر نفسه وتحمّل دماء المسلمين، والساكت عنه بعد أن علم به له نصيبٌ من هذا الإجرام، ولذلك يقول الشيخ: "فلا يجوز السكوت عن هؤلاء، أو أن بعضهم يمدح هؤلاء ويشني عليهم، وهذا من باب الجهل أو من باب مشاركتهم؛ فمن مدحهم وأثنى عليهم وبرّر أفعالهم فإن حكمه حكمهم".

سُئل الشيخ الفوزان - حفظه الله ورحمنا وإياه - : أحسن الله إليكم يقول أحد الدعاة في بلادنا: إن تنظيم القاعدة وداعش نبتة سلفية، فارجو البيان والايضاح؟

فأجاب الشيخ: هذا تضليل، الكلام هذا هو الإرهاب الذي يُخَوِّف الناس من دعوة الحق، ودعوة التوحيد، ودعوة السنَّة، يُخوفهم من ذلك وينسب إليه ما هو براءٌ منه، هذا يُريد أن يُبطل الدعوة إلى الله، وأن يحرفها إلى ما يريده هو من تضليل الناس".

كما يقول السائل الشيخ صالح الفوزان: هل من كلمة في تحذير المسلمين من خطر داعش، وحث الناس والابتعاد عن التعاطف معهم؟

فأجاب قائلاً: "كل الجماعات الضالة -ليس داعش فقط- المنحرفة عن منهج أهل السنَّة والجماعة يجب التحذير منهم، ويجب تعليم الناس منهج أهل السنَّة والجماعة؛ لأن بعض الناس ما يعرف منهج أهل السنَّة والجماعة، فلذلك يظن أن كل الناس على حق، ولا يُفرِّق بين المبتدع وبين السنِّي، لا بد أن يتعلَّم الإنسان ويسأل عن منهج أهل السنَّة والجماعة حتى يتمسك به ويسير عليه".

وهذا معناه يا أخوة أنه لا بدلنا نحن أن نُعلِّم الناس منهج أهل السنَّة والجماعة، وأن نُحذِّر من الفرق المخالفة لمنهج أهل السنَّة والجماعة، وهذا الذي نفعله في هذه الدورة وهو من أهداف إقامة هذه الدورة: أن يكون عندنا علم وبصيرة بمنهج أهل السنَّة والجماعة ونُعلِّم الناس ذلك، ويكون عندنا علم وبصيرة بالفرق المخالفة ونُحذِّر الناس منها.

يقول الشيخ: "وعلى كل حال لزوم جماعة المسلمين وإمام المسلمين خصوصاً عند الفتن هذا أمر واجب، لزوم الجماعة والسمع والطاعة لولي الأمر هذا هو الطريق الصحيح وطريق النجاة، النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما ذكر الفتن، قال حذيفة بن اليمان: مَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزِمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ» قال: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا».

يقول الشيخ: "ولا تدخل مع أهل البدع، وأهل الضلال، وأهل الانحراف، لا تدخل معهم أبداً، تجنبهم وكُنْ مع إمام المسلمين".

يا أخوة: قاعدة أهل السنَّة والجماعة أن الفرق التي تناوى ولي الأمر المسلم في البلد لا ندخل معهم، ولا نقرهم، ولا نُعينهم على شيء أياً ما تسمَّوا به، نحن نسعى في الحق وإلى الحق بالحق، أما مشاركة أهل الباطل وأهل الانحراف بحُجَّة الوصول إلى الحق أو دفع باطل في البلد، فهذا مخالفة شرعية ومخالفة لمنهج السلف الصالح؛ فإياكم وإياكم ثم إياكم أن تشاركوا من يُناوئون ولي الأمر في البلاد

ولو بكلمة، كونوا على حذر وبعده، أهل السنة والجماعة مع ولي الأمر المسلم القائم ما دام مسلماً ولو ظلم، ولو أخطأ، ولو جار، وينصحونه عن الظلم وعن الجور والخطأ.
يقول: "ولا تدخل مع أهل البدع، وأهل الضلال، وأهل الانحراف، لا تدخل معهم أبداً، تجنبهم وكن مع إمام المسلمين وجماعة المسلمين، وإذا لم يوجد للمسلمين جماعة ولا إمام فاعتزل الفرق كلها، تبقى وحدك على السنة".

ثم سئل الشيخ: هناك من لا يتكلم عن داعش ويقول: لا يصح أن نتكلم عنهم، هذه فتنة؟ فأجاب قائلاً: "لا بد أن يبين الباطل من داعش وغيرها، إذا سكتنا عن بيان الباطل استشرى وانتشر، وإذا قاومناه وعرف أهله أن هناك من يترصد لهم انكفوا واندحروا، لا نترك هذا المجال لكن ما يقوم بهذا إلا أهل العلم المسلحون بالعلم والحجة والبيان".
وقال الفوزان أيضاً: "جماعة داعش وغيرهم كل من ضل عن الصراط المستقيم فإنهم من حزب الشيطان؛ إما من الخوارج، وإما من غيرهم من دعاة الضلال، ولا يقاومون إلا بالعلم النافع، هؤلاء من الذين قال الله فيهم: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التحريم: ٩]، هؤلاء دعاة ضلال ولا يقاومون إلا بالعلم النافع والرد على شُبُههم وأباطيلهم. ولا تكون جميعاً إلا تحت راية ولي أمر المسلمين؛ ﴿اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣] إلى جماعات، كل جماعة تدعي أنها هي أهل الإسلام وحدها، وأن أميرها هو الأمير الذي تجب طاعته".

سئل الشيخ عبد المحسن العباد وهو من كبار علماء الأمة سُئل فقل له: بعض الناس يقولون عن الدولة الإسلامية الموجودة الآن: أنهم خوارج، فهل هذا صحيح؟ فقال الشيخ: "لا شك في هذا؛ يعني صفاتهم وأفعالهم هي أفعال الخوارج"، السائل قال: يقولون عن الدولة الإسلامية، انظر ماذا علقت الشيخ؟ قال: "هذه الدولة الداعشية ما ينبغي أن نقول: إسلامية، يُقال: دولة داعشية، هذا الاسم المناسب لها، الدولة الإسلامية تُدبِّح الناس بالسكاكين وتُفسد وتقتل؟! هذا ليس من الإسلام في شيء".

ولما أحرق الداعشيون الطيار الأردني الذي أسقطوه، وضعوه في قفص ومدوا شيئاً وأحرقوه، جعلوا الناس تيسير إليه ببطء، ثم في القفص، ثم فيه، أحرقوه وهم يُكَبَّرُونَ وَيُهَلَّلُونَ، سئل الشيخ عبد المحسن عن هذا فقال: "هؤلاء مجرمون، هؤلاء أعمالهم قبيحة من قبل هذا؛ يعني هذا من ضمن أعمالهم القبيحة، فهم عندما يقتلون واحداً يذبحونه بالسكين كما تُذبح الشاة، والتعذيب بالنار لا يجوز".

وقد نشر الشيخ مقالاً أسماه: [فتنة الخلافة الداعشية العراقية المزعومة] وذلك في سنة خمسٍ وثلاثين وأربعمئة بعد الألف من الهجرة، هذا المقال قال: "الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده نبينا محمد وعلى آله وصحبه. أما بعد...

فقد ولد في العراق قبل عدة سنوات فرقةً أطلقت على نفسها دولة الإسلام بالعراق والشام، واشتهر ذكرها بأربعة حروف هي الحروف الأوائل لهذه الدولة المزعومة فيقال لها: "داعش"، وقد تعاقب على زعامتها عددٌ يقال للواحد منهم: أبو فلان الفلاني - هذه طريقتهم -، كنية معها نسبة إلى بلدٍ أو قبيلة كما هو شأن المجاهيل المتسترين بالكُنَى والأنساب.

وبعد مضي مدةٍ على الحرب التي وقعت في سوريا بين النظام والمقاتلين له دخل أعدادٌ من هذه الفرقة غير مقاتلين للنظام، لكنهم يقاتلون أهل السنّة ويفتكون بهم، وقد اشتهر أن قتلهم لمن يريدون قتله يكون بالسكاكين الذي هو من أبشع وأنكى ما يكون في قتل الأدميين.

وفي أوائل شهر رمضان الحالي - يعني في سنة خمسة وثلاثين - حوّلوا تسمية فرقتهم إلى اسم "الخلافة الإسلامية"، وخطب خليفتهم الذي أطلق عليه أبو بكر البغدادي في جامع الموصل، ومما قاله في خطبته: (فقد وُلِّيت عليكم ولست بخيركم) يقول مثل أبي بكر الصديق.

فقال الشيخ معلّقاً: "وقد صدق في أنه ليس بخيرهم"؛ يعني أنه ليس من أهل الخير؛ لأن قتل من يقتلونه بالسكاكين إن كان بأمره أو بعلمه وإقراره فهو شرهم؛ لقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا».

الشيخ يقول: وهذه الجملة التي قالها في خطبته قد قالها أول خليفة في الإسلام بعد رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أبو بكر الصديق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- وهو خير هذه الأمة التي هي خير الأمم، قالها تواضعاً وهو يعلم والصحابة يعلمون أنه خيرهم للأدلة الدالة على ذلك.

قال الشيخ: ومن الخير لهذه الفرقة أن تراجع نفسها وتؤوب إلى رشدها قبل أن تكون دولتها في مهبط الريح كشأن مثيلاتها التي سبقتها في مختلف العصور "والحقيقة أنهم لا يقبلون نصحاً لا من الشيخ عبد المحسن ولا من غيره؛ لأنهم يُكفِّرون هؤلاء العلماء.

حدّثني أحد الشباب قال: أنا ذهبت إلى سوريا من أجل أن أجاهد، هكذا يُخَيَّل للشباب أنه جهاد، قال: فأدخلوني فيما يُسمى باللجان الشرعية، ثم إن رئيس اللجنة قال له: إن عندك عملية استشهادية، قال: قلت له: أنا أريد أن أقاتل الكفّار، هذه العمليات ما تجوز، قال: من الذي قال إنها لا تجوز؟ قال: الشيخ صالح الفوزان، قال: لو وصلت لصالح الفوزان لرفعت لحيته هكذا إكراماً لها- إكرام للحية- وجززت رقبتة بالسكين، الرقبة هذه ما تُكْرَم، قال: لرفعت لحيته حتى ما أُصيبتها بالسكين، ما أقطعها بالسكين، وأجزّ رقبتة بالسكين؛ فهم يُكفِّرون العلماء لكن الشيخ يقوم بالواجب؛ النصيحة.

قال: "ومما يؤسف له أن فتنة هذه الخلافة المزعومة لقيت قبولاً عند بعض صغار الشباب في بلد الحرمين"، قلت: وفي غيرها، وللأسف ليس بعض الصغار بل حتى بعض كبار السن، وسبب ذلك والله أعلم: الإعلام الذي يُروِّج لهم وسكوت أهل الحق؛ يعني سكوت بعضهم فيروج هذا الفكر.

قال: "ومما يؤسف له أن فتنة هذه الخلافة المزعومة لقيت قبولاً عند بعض صغار الشباب في بلد الحرمين، أظهروا فرحهم وسرورهم بها كما يفرح الظمآن بالسراب" الظمآن يشوف السراب من بعيد يظنه ماءً فيفرح فيجري إليه ويزداد عطشاً ولا يجد ماءً.

قال: "وفيه من زعم مبايعة هذا الخليفة المجهول، وكيف يُرتجى خيرٌ ممن ابتلوا بالتكفير والتقتيل بأشنع القتل وأفظعه؟! والواجب على هؤلاء الشباب أن يربأوا بأنفسهم عن الانسياق وراء نعيق كل ناعق، وأن يكون الرجوع في كل التصرفات إلى ما جاء عن الله وعن رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛

لأن في ذلك العصمة والسلامة والنجاة في الدنيا والآخرة، وأن يرجعوا إلى العلماء الناصحين " إلى آخر هذا المقال النفيس في نصيحة الشباب في اجتناب هذه الفرقة ثم نشر مقالاً آخر بعنوان: [الخلافة الداعشية المزعومة تقتل المصلين وتذبح الأدميين بالسكاكين]، ونصح وأبلغ، والمقالان موجودان على موقع الشيخ.

هناك أيضاً كثير من الفتاوى المتعلقة بهذه الفرقة لعلنا إن شاء الله يوم السبت أيضاً غداً نذكر بعضها من أجل الاستفادة منها في تحذير المسلمين من هذه الفرق الصالحة، نقف هنا وندع الفرصة للأخوة للاستعداد لصلاة الجمعة، ونعود إن شاء الله بعد العصر الساعة الرابعة وخمسٍ وأربعين دقيقة ونُجيب عن أسئلة اليوم كلها في آخر الدرس الثاني من درس المساء إن شاء الله، والله أعلم وصلَّى الله على نبينا وسلَّم.



[الفرق المنحرفة المعاصرة - جماعة التبليغ]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد...

فمرحباً بكم في دروس هذه الدورة المتميزة بكم وبموضوعها وتركيزها، ونسأل الله أن يجعل فيها نفعاً عظيماً.

هذا هو المجلس الثاني من مجالس اليوم يوم الخميس، وهو المجلس الذي نطرح فيه موضوع [فرق معاصرة مخالفة لمنهج السلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ -] حيث أن في كل يومٍ في المجلس الثاني منه نطرح هذا الموضوع، وقد بدأنا بمقدماتٍ لا بد منها، ثم تكلمنا عن جماعة الإخوان وخطورتها على الأمة وبيان أوجه تلك الخطورة بالنقل من كلامهم.

✦ واليوم إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- نتكلم عن جماعة التبليغ:

وهي أبرز الجماعات المخالفة لمنهج السلف الصالح في باب الدعوة، فجماعة التبليغ جماعة دعوة، والمعلوم أن الدعوة من أشرف الأعمال وأكملها وأفضلها، فهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، وهي من العبادات الكبرى في ديننا، وقد علمنا أن الأصل في العبادات التوقيف، فلا يجوز القيام بعبادةٍ إلا على وفق ما جاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

✦ وما جاء عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الدعوة جمعته آيةٌ واحدة بيّنته بياناً كلياً؛ وهي قول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

﴿قُلْ﴾ يا محمد -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (هَذِهِ) وقلنا بالأمس: أن هذه وهذا اسم إشارة للقريب الموجود، فهذا السبيل الموجود في زمن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو سبيلي، فلا بد من أن تكون الدعوة على سبيل رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وكل دعوة تُنسب إلى سبيل غير رسول الله -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على سبيل الإنشاء والابتداء فهي ليست دعوةً شرعية، ما دام أنها لا تصل إلى أن تُنسب إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فليست دعوةً شرعية.

لأن الله قال لنبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨] فهذا الشرط الثاني للدعوة الشرعية: أن تكون الدعوة فيها لله وذلك بتحقق أمور:

▪ الأمر الأول: الإخلاص لله، فيكون الداعية يتبغى بذلك إرضاء الله لا إرضاء الشيوخ ورؤوساء الجماعة، وإنما يتبغى رضا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

▪ والأمر الثاني: أن يدعو إلى الله، لا إلى جماعة، ولا إلى حزب، ولا لأشخاص، وإنما يدعو إلى الله.

▪ والأمر الثالث: أن يدعو إلى ما دعا إليه الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وألا يتخير كما يُريد.

فالذي لا تكون دعوته إلى الله فإن دعوته ليست دعوةً شرعية، فإذا لم يكن مخلصاً فإن دعوته ليست شرعية، وإذا كان يدعو إلى فرق وجماعات وأحزاب وشخصيات فإن دعوته ليست شرعية، وإذا كان لا يدعو إلى ما دعا الله -عَزَّ وَجَلَّ- إليه كله فدعوته ليست دعوةً شرعية.

﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] والبصيرة هنا العلم، فلا أدعو بغير علم، وإنما شرط دعوة العلم.

﴿أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] فكل من اتبعني على هذا الذي تقدّم: على سبيلي، يدعو إلى الله على بصيرة، فالذي يدعو إلى الله بغير بصيرة وبغير علم، وافتح فمك يفتح الله عليك ليس بصاحب دعوة شرعية، وليست دعوته شرعية.

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ [يوسف: ١٠٨] يعني أنزه الله عن كل ما لا يليق به، فدعوتي فيها تنزيه الله عن كل ما لا يليق به، وأعظم ذلك الشرك، ولازم ذلك: أي أدعو إلى التوحيد فإنه لا يمكن أن نُنزه الله عما لا يليق بجلاله إلا بالتوحيد، فكل دعوة ليس فيها الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك، والتحذير من كل ما لا يليق بجلال الله فليست دعوةً شرعية، وليست دعوةً ناجحة، وليست دعوةً صالحة، بل هي دعوةً بدعيةً لا تصلح كما يُريد الله.

فكل دعوة تقوم في الدنيا يجب أن نعرضها على هذه الآية:

- فما تحققت فيه هذه الآية من كل وجهٍ فهو دعوةٌ شرعيةٌ صحيحةٌ نافعةٌ يُحافظ عليها.
 - وكل دعوةٌ تُخالف هذه الآية أو بعض هذه الآية فإنها دعوةٌ ليست شرعية؛ فإما أن تُصحَّح، وإما أن تُهدم، إما أن تُصحَّح ويُصحَّح الخطأ، وإما أن تُهدم وتُلغى بالكلية.
- هذا هو الأصل في الدعوة، وهو الذي نطلق منه، وهي مقدّمةٌ لا بد منها، ومن ضبطها فإنه يضبط هذا الباب ضبطاً عظيماً.

هذه الجماعة جماعة التبليغ جماعةٌ قريبة العهد أسست في منتصف القرن الرابع عشر، ومؤسسها محمد إلياس بن محمد بن إسماعيل، وقد بدأ تعليمه على يد أخيه محمد يحيى وحفظ القرآن، وقرأ في بعض كتب الحديث كعادة أهل الهند، وذهب إلى مدرسة ديوبند ودرس فيها الفقه الحنفي، وأخذ البيعة الصوفية، فبايع شيخه رشيد أحمد، ثم لما مات شيخه رشيد جدّد البيعة على يد خليل أحمد، وأجازه هذا الشيخ في مبايعة غيره على الصوفية؛ يعني أصبح يُبايع بعد أن كان يُبايع.

وكان معروفاً بالمرابطة عند القبور والمجاورة للقبور، فهو في عقيدته ونشأته وعبادته على منهج الديوبنديين، وفي العقيدة ماتوريدي كغالب الأحناف على العقيدة الماتوريديّة، وفي السلوك والطريقة هو صوفي، وهو في الفقه حنفي المذهب، وكان أمير جماعة التبليغ ثم استخلف ابنه محمد على إمارة التبليغ، وكان محمد على طريقة والده، ومما عُرف عنه أنه كان يُجاور عند قبر والده فكان يقضي الوقت الطويل بجوار قبر والده مغطياً رأسه مجاورةً عند القبر، وهذا المعروف عند الصوفية بالمراقبة: الجلوس عند القبر، والانقطاع عن الناس، وتغطية الرأس والوجه يُسمونه مراقبة، وكان على العقيدة الماتوريديّة وعلى الطريقة الصوفية.

هذا محمد يوسف الأمير الثاني لجماعة التبليغ هو الذي ألف كتاب [حياة الصحابة]، وكتاب [حياة الصحابة] ألف للعرب الذين ينتسبون إلى جماعة التبليغ؛ لأن للتبليغ كتابين ألفاً خاصةً للجماعة:

- [تبليغي نصاب] وهذا لغير العرب.

- [حياة الصحابة] هذا للعرب.

يقول الشيخ حمود التويجري -رَحِمَهُ اللهُ- وهو من أعرَف الناس بجماعة التبليغ وهو عالم عدلٌ معروفٌ عند أهل العلم، يقول: "[حياة الصحابة] لمحمد يوسف مملوءٌ بالخرافات، والقصص المكذوبة، والأحاديث الموضوعية والضعيفة، وهو من كتب الشر والضلال والفتنة".

ثم بعد وفاة محمد يوسف تولى إمارة الجماعة الأمير الثالث لها وهو إنعام الحسن، وكان على طريقة من تقدّموه، فهو على الطريقة الصوفية وعلى العقيدة الماتوريدية، كتب رسالةً بخطه وفيها: "البيعة في الطرق الصوفية رائجةٌ ومنتشرةٌ في شبه القارة الهندية، والواقع أننا إن لم نُبائع هؤلاء الذين يُصرون علينا بذلك فإنهم حتماً سيُبايعون غيرنا" يعني نحن نُبايعهم؛ لأننا لو لم نُبايعهم سيُبايعون غيرنا ونحن حريصون عليهم.

يقول الشيخ حمود التويجري -رَحِمَهُ اللهُ- عن هذا الأمير إنعام الحسن، قال: "وهو يُبايع التابعين له على أربع طرق من طرق الصوفية: وهي الجشتية، والقادرية، والسهروردية، والنقشبندية، قال: فأما أفراد جماعته من العجم فإنه يُبايعهم على هذه الطرق الأربع بدون تحفظ بكل صراحة، وأما العرب فإنه يتحفظ منهم ولا يُبايع إلا من وثق به منهم من السدج الذين يُحسنون الظن بالتبليغيين ولا يعرفون أنهم أهل بدعة وضلال".

وهناك كتابٌ معروف عندهم هو [فضائل الأعمال] ألفه محمد زكريا وهو زوج بنت محمد إلياس مؤسس الجماعة، وقد كان يُعدُّ عالم الجماعة إن كان فيهم عالم، فإنهم لا يهتمون بالعلم ويُنفرون من العلم، والمعلوم أن جماعة التبليغ تُقدّر ما هي عليه وتُنفّر عما يُخالفها بالقصص والأمثلة "تربّي على هذا.

يعني مثلاً يقولون: العالم مثل البئر، والداعية مثل النهر؛

▪ البئر لا يأخذ منه إلا من جاء إليه وتعب حتى وصل إليه ويتعب حتى يُخرج الماء.

▪ وأما الداعية فهو مثل النهر يسيل والكل يستفيد منه.

الذي يحصل في نفوس السدج من هذا المثال أن الداعية أفضل من العالم، وأن الخروج للدعوة أفضل من المراقبة لطلب العلم، يقولون مثلاً؛ لأن هذا منهج عندهم في ترسيخ ما يريدون التنفير عما

يُخالفه، يذكرون القصص مثلاً حتى يجعلوا الشخص يعتقد أن لهم فضائل، وأنهم ما شاء الله على خير، وأن الله يُكرمهم يذكرون قصص.

- قالوا: في جماعة من الأخوة ذهبوا إلى الدعوة وانتهى البنزين في الطريق، وقفت السيارة ماذا يفعلون؟ وضعوا الماء فاشتغلت السيارة وسارت، هذا نصر الله؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج: ٣٨].

- كان أحد الأخوة اشترى لحماً فمرَّ بالأحباب في المسجد وجلس معهم ومعه اللحم، ثم أخذ هذا اللحم وذهب إلى بيته فطبخت المرأة اللحم فما استوى، وزادت عليه الطبخ ما استوى، فذهب إلى الشيخ وأخبره فقال: أنت ماذا صنعت؟ قال: أنا جلست مع الأحباب، قال: هذه البركة نزلت على هذا اللحم.

إلى غير ذلك من القصص التي يجلبون بها قلوب السذج، وهذا كثير، وهذا منهجهم؛ لأنه ليس عندهم علم يُقيمون عليه الدعوة وإنما هي الأمثلة التي يذكرون.

محمد زكريا هذا هو مقدّم عندهم وكتبه معتمدة، وطلب منه الشيخ محمد إلياس أن يُؤلف كتاباً خاصة لجماعة التبليغ، وهذا يا أخوة حتى يفصلوا الجماعة عن غير شيوخ الجماعة، ما يحتاجون إلى كتب، يأخذون كتب الجماعة، وهذا أيضاً عالمهم المقدّم والذي كتبه معتمدة أيضاً على الطريقة الصوفية، وكان يقول: "إن التصوف هو أقرب الطرق لإيجاد التعلق بالله".

وقد أجازته خليل أحمد بالمبايعة والإرشاد؛ يعني يُبايع غيره، وقد بينَّ الشيخ حمود التويجري -رَحِمَهُ اللهُ- ما عليه محمد زكريا بأنه ديوبندي جشتي نقشبندي يُعظّمه جماعة التبليغ، ويُسمونه ريجانة الهند وبركة العصر، وهو على طريقة صوفية، وهو مؤلّف أيضاً كتاب [تبليغي نصاب]، وقد حوى هذا الكتاب من البدع والخرافات والضلالات بل والشركيات الشيء الكثير.

ولذلك جاء سؤال للجنة الدائمة نصّه: الشيخ محمد زكريا -رَحِمَهُ اللهُ- من أشهر العلماء في الهند وباكستان وخاصةً في أوساط جماعة التبليغ، وله مؤلفات عدّة منها كتاب [فضائل الأعمال] حيث يُقرأ هذا الكتاب في الحلقات الدينية في جماعة التبليغ، وأعضاء هذه الجماعة يعتقدونه مثل [صحيح

البخاري]، قال السائل: وكنت منهم وأثناء قراءتي هذا الكتاب وجدت بعض القصص المروية قد صُعب عليَّ فهمها واعتقادي عليها، فلذا أرسل إلى لجتكم كي تحلَّ مشكلتي؟
من هذه القصص قصة يرويها السيد أحمد الرفاعي حيث يقول: إنه بعد أداء فريضة الحج لما زار قبر الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأنشد الأبيات التالية قائماً أمام قبر الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حيث قال:

فِي حَالَةِ الْبُعْدِ رُوحِي كُنْتُ أُرْسِلُهَا تُقَبَّلُ الْأَرْضُ عَنِّي وَهِيَ نَائِبَتِي
وَهَذِهِ دَوْلَةُ الْأَشْبَاحِ قَدْ حَضَرَتْ فَأَمْدُدْ يَمِينَكَ كَيْ تَحْطِيَ بِهَا شَفَتِي

بعد قراءة هذه الأبيات خرجت اليد اليمنى للرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقَبَلَتْهَا، طبعاً هذه الرواية الصوفية ذكرها السيوطي وغيره ويُردِّدها الصوفيون في كل مكان.
قال في ضوء هذه القصة: "أريد أن أسألكم:

١. هل هذه القصة لها أصل؟
٢. وما رأيكم في كتاب [الحاوي] للسيوطي؛ لأن القصة تُنسب إليه؟
٣. وإذا كانت هذه القصة غير صحيحة، فهل تجوز الصلاة خلف الإمام الذي يروي هذه القصة ويعتقد ما فيها؟
٤. وهل تجوز قراءة مثل هذه الكتب في المساجد، حيث يتلى هذا الكتاب في مساجد بريطانيا لجماعة التبليغ؟

أرجو من المشائخ الكرام الإفادة؟

والجواب: هذه القصة باطلة لا أساس لها من الصحة؛ لأن الأصل في الميت نبياً كان أم غيره أنه لا يتحرك في قبره بمد يدٍ أو غيرها، فما قيل من أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخرج يده للرفاعي أو غيره غير صحيح، بل هو وهمٌ وخيالٌ لا أساس له من الصحة، ولا يجوز تصديقه، ولم يمد يده -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأبي بكر ولا عمر ولا لغيرهما من الصحابة فضلاً عن غيرهم، ولا يُغتر بذكر السيوطي لهذه القصة في كتابه: [الحاوي]؛ لأن السيوطي في مؤلفاته كما قال العلماء عنه: "حاطب

ليل يذكر الغثَّ والسمين، ولا تجوز قراءة كتاب [فضائل أعمال] وغيره مما يشتمل على الخرافات والحكايات المكذوبة على الناس في المساجد أو غيرها؛ لما في ذلك من تضليل الناس ونشر الخرافات بينهم".

وقال الشيخ حمود التويجري -رَحِمَهُ اللهُ-: "وأهم كتاب عند التبليغيين كتاب [تبليغي نصاب] الذي ألفه أحد رؤسائهم المسمى محمد زكريا، ولهم عنايةٌ شديدةٌ بهذا الكتاب، فهم يعظّمونه كما يعظم أهل السنّة [الصحيحين]".

وهذا الكتاب فيه بدعٌ وضلالاتٌ كثيرة، وهو كتاب مُقَر، أنا أريد أن أقول بهذا الأمر: أن جماعة التبليغ جماعة صوفية بدعيةٌ في ذاتها، بدعيةٌ بما فيها؛

- بدعيةٌ في ذاتها؛ لأننا لو عرضناها على الآية التي ذكرناها لما انطبقت عليها الآية.
- وبدعيةٌ بما فيها من الأصول التي ذكروها وبالبدع التي فيها من كتبهم المعتمدة.

✻ يعني هذا الكتاب [تبليغي نصاب]، [فضائل الأعمال]:

- فيه تقرير التوجه إلى القبر قبر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومخاطبة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وسؤاله الشفاعة، بأن يتوجه إلى القبر ويقول: يا رسول الله أسألك الشفاعة وأتوسّل بك إلى الله.
- وفيه الحثُّ على الدعاء بأن يغفر الله الذنب بفضله وفضل رسوله.
- وفيه أن الأولياء والأبدال والأقطاب يشتركون في الحجّ من جميع العالم، وعلى الأتباع الحرص على الاستفادة من فيوضاتهم وبركاتهم.

وهذه كما تعلمون خرافات صوفية فالصفيون يعتقدون أن شيوخهم وأقطابهم يذهبون إلى الحج كل عام بدون وسيلة، بل بعضهم يعتقد أن الشيخ يُصَلِّي في المسجد الحرام جميع الصلوات، قالوا له: شيخك لا يصلي معنا قالوا: يُصَلِّي في المسجد الحرام، إذا أذن المؤذّن يمدّ رجله فإذا به عند الكعبة يُصَلِّي ويرجع، وبعضهم في إفريقيا يعتقد أن الله أجرى فرعاً من زمزم للشيخ، ففي بئر بجوار الشيخ

هذا فرع ممتد من زمزم من أجل الشيخ، إلى غير ذلك، وهذا مترسِّخٌ في جماعة التبليغ في هذا الكتاب الذي يُعظَّمونه.

﴿ ومن ذلك: أنه يُقرَّر أن السلام على أبي بكرٍ وعمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- يكون بقول: جئناكم نتوسَّلُ بكم إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ليشفع لنا ويدعو لنا ربنا، والتوسُّل بالأموال بدعة. يذكر في الكتاب ما يذكره بعض غلاة الصوفية من أن الكعبة تذهب إلى بعض الأولياء، حتى إنهم يبحثون مسألة: لو ذهبت الكعبة إلى بعض الأولياء فإلى أين يتوجَّه الناس؟ مشكلة هنا، الكعبة في مكان ومكانها الأصلي في مكان، فما الذي يُتوجَّه إليه؛ هل هو إلى جهة الشيخ الذي ذهبت إليه الكعبة لأنها موجودة هناك، أو إلى مكانها الأصلي؟ هذا موجود عند بعض غلاة الصوفية، في هذا الكتاب يُقرَّر هذا، وأن الكعبة قد تذهب إلى بعض الأولياء.

﴿ فيه بدعٌ كثيرة في صيغ الصلاة على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

﴿ في الكتاب تعظيم ابن عربي الصوفي الذي حكم محققوا أهل العلم عليه بالكفر، معتقداته كفرة ومع ذلك يُسمى في هذا الكتاب الذي هو عمدة جماعة التبليغ ولا يمكن أن يتصلَّوا منه بالشيخ الأكبر، طبعاً ابن عربي الصوفي غير ابن العربي المالكي، ولذلك يقول بعض أهل العلم: "عرِّف تعرف ونكر تُنكر"؛

▪ قل: ابن العربي بالتعريف فهذا عالم من علماء المالكية.

▪ قل: ابن عربي بالتنكير بدون (أل) فهذا الضال الذي حكم العلماء عليه بالكفر.

طبعاً عمدة الكتاب الخرافات والقصص التي يُدرك كل عاقل أنها كذب، وللأسف أن هذه الجماعة لا تُظهر هذا لكل أحد مع أنه موجود في الكتب، ولذلك يغتر بها بعض الطيبين، ثم إذا دخل معهم حدَّروه من أن يسمع الطعن في الجماعة فلا ينتفع من كلام العلماء.

✦ وهذه الجماعة كسائر الصوفيين يقوم دينها على تعظيم القبور:

قال سيف الرحمن بن أحمد الدهلوي: "إن أكابر أهل التبليغ يُرابطون على القبور وينتظرون الكشف والكرامات والفيوض الروحية من أهل القبور، ويُقرُّون بمسألة حياة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،

وحياة الأولياء حياةً دنيوية لا برزخية مثلما يُقر القبوريون بنفس المعنى؛ فهذه الجماعة جماعة بدعية تقوم على البدع والضلالات ولم يتبرأوا من هذا الطريق.

✦ هذه الجماعة ننظر في مواقفها من الأصول الشرعية وأهم الشرع على الإطلاق هو التوحيد، أعظم حقٍّ عُرف وأكبر فرضٍ وصف التوحيد؛ حقُّ الله على العبيد، أساس الدين، ومفتاح الجنة: فإذا نظرنا إلى جماعة التبليغ في النظر إلى هذا التوحيد نجد أنها لا تقف منه الموقف الشرعي، الموقف الذي جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لا من توحيد الربوبية، ولا من توحيد الألوهية، ولا من توحيد الأسماء والصفات، وذلك من وجهين:

- الوجه الأول: أنها لا تُعنى بالتوحيد ولا بالدعوة إلى التوحيد.
- والوجه الثاني: أنها تحمل الأمر في التوحيد على توحيد الربوبية، فيُفسِّرون الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله) بأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبّر إلا الله، وهذا انحرافٌ في باب التوحيد كما تعلمون.

ولهم انحراف في جميع أنواع التوحيد، هم لا يهتمون بالتوحيد بل ويُحذِّرون من الدعوة إلى التوحيد على وجه التفصيل، وإنما يُفسِّرون التوحيد بإجمال بتوحيد الربوبية؛ لأن هناك قاعدة عند جماعة التبليغ: "ما يؤدي إلى الخلاف يجب اجتنابه؛"

- فأتت إذا قلت: معنى (لا إله إلا الله) لا خالق إلا الله هل يُخالفك أحد؟ ما يُخالفك أحد، لا مدبّر إلا الله، لا رازق إلا الله، ما يُخالفك أحد، لكن إذا قلت: (لا معبود بحق إلا الله) هنا يأتي الخلاف بين الذين يعبدون القبور ويعبدون، إذن تجتنب تفسير التوحيد بتوحيد الألوهية.

- إذا جئت إلى الأسماء والصفات في نزاع وخلاف في الأمة من الفرق التي خالفت فتجتنب توحيد الأسماء والصفات.

فما الذي بقي لجماعة التبليغ على كمنهجها في التوحيد؟ توحيد الربوبية على وجه الإجمال، ومع ذلك فلهم اعتقادات فاسدة في توحيد الربوبية.

ومن ذلك مثلاً: أن مما يتعلق بتوحيد الربوبية أن الآجال لا يعلمها إلا الله، وأنه لا يُحيي إلا الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فهو المحيي المميت، ولكن شيوخ هذه الجماعة والجماعة تعود إلى أقوال شيوخها يعتقدون أن الأولياء يعلمون الآجال، ويُعيدون الموتى إلى الحياة.

يقول محمد زكريا: "قال الشيخ أبو يعقوب: جاءني بعض المريدين بمكة وقال: يا أستاذي سأموت غداً وقت الظهر، فخذ هذا الدينار فكفني بنصفه واحفر لي قبراً بنصفه، فلما كان الغد وقت الظهر جاء المسجد الحرام فطاف ثم امتدَّ فمات" هذا المريد من بركاته أنه مريد للشيخ عرف أجله وأنه سيموت في هذا الوقت. قال: "ثم أخذت في تجهيزه وتكفينه ووضعته في قبره، هل تكفي هذه الطامة الكبرى؟ لا، اسمعوا، قال: ففتح عينيه فقلت له: حياةٌ بعد الموت؟ فقال: بل أنا حيٌّ وكل محبوبٍ لله فهو حي" يذكرها على سبيل القصص الثابت.

ويقول أيضاً: "يقول أبو الحسين المالكي: إني رافقت الشيخ خير نور **بأث** سنواتٍ عديدة فقال قبل موته بثمانية أيام: إنني سأموت مساء الخميس وقت المغرب، وأُدفن بعد صلاة الجمعة فلا تنسى، ولكنني نسيت بالكلية، فقابلني في الطريق الذين رجعوا من منزله وأخبروني بأنه مات كما قال وأنه سيُدفن بعد صلاة الجمعة، ولكنني وصلت إلى منزله وسألت عن كيفية وفاته فأخبرني الشيخ الذي كان موجوداً قبل وفاته وقال: إنه أُغمي عليه عند صلاة المغرب ثم أفاق شيئاً فبدأ يقول بعدما حوّل وجهه إلى ركنٍ من أركان البيت: انتظرنى ملياً، انتظرنى ملياً - يعني يُحاطب ملك الموت - أنت مأمورٌ بأمر وأنا مأمورٌ بأمر، والذي أُمرت به أنت لا يفوت، ولكن الذي أُمرت أنا به يبقى عليّ، فانتظرنى برهة حتى أكمله، ثم طلب الماء وجدّ الوضوء وصلّى وملك الموت ينتظر، ثم أغمض عينيه ومدد رجليه واضجع وانتقل"؛ فاعتقاد أن الشيوخ ومريدي الشيوخ يعلمون الآجال وأماكن مكان الموت متأصلٌ عندهم.

يقول: "يُحكى عن الشيخ أبي علي الروذباري أنه قال: ورد عليّ فقيرٌ - طبعاً إذا قيل عند الصوفية: فقير يعني ابن الناس أهل الله كما يقولون - يوم العيد رقيق الحال وعليه ثيابٌ حلقة وقال: هل هناك مكانٌ نظيف ليموت فيه فقيرٌ مفلس؟ قال: فاعتبرته لغواً وقلت له بدون مبالاة: ادخل ومِت حيث تشاء، فدخل وتوضأ ثم صلّى ركعات ثم اضجع ومات، فقامت بتجهيزه وتكفينه، وبينما أنا عند

اضطجاعه في قبره خطر ببالي أن أفتح وجهه وأضعه على الأرض ليرحمه الله تعالى على مسكنته، ففتحت وجهه إذ فتح عينيه، فسألت: يا سيدي أحياء بعد الموت؟ فقال: أنا حيٌّ وكل عاشقٍ لله فهو حي " طبعًا هذه العبارة ما تجوز، الله يُحب، أما العشق فلا يُنسب إلى الله، وكل عاشقٍ لله فهو حي، ولأنصرنك بجاهي يوم القيامة".

وما يذكرونه من هذه الحكايات كثير.

✦ أيضًا يعتقدون أن الشيوخ من يعلم ما في القلوب:

يقول السيد محمد شاهد: "إن الشيخ إنعام الحسن أمير الجماعة كان يُدرك ويطلع على أحوال القلوب، ووساوس الصدور بقوة لا تكاد تجد له نظيرًا في العصر الحديث" ثم كالعادة يُقرّرون ما يُقرّرون بالقصص.

يقول: "إن أحد أعضاء الجماعة ومبلغيها رغب ولده مرارًا في البيعة على يد الشيخ إنعام الحسن ولكنه رفض -يعني الوالد يرغب من الولد أن يُبايع للجماعة على يد الشيخ إنعام الحسن ولكنه رفض - فرأى في المنام قائلًا يقول له: اذهب إلى دهلي وبايع على يد الشيخ؛ يعني الولد الذي كان رافضًا البيعة، جاءه في المنام من قال له: اذهب إلى دهلي مقر الجماعة وبايع على يدي الشيخ.

قال: فبناءً على منامه حضر مع والده في المركز التبليغي وطلب من الشيخ أن يُبايعه، فنظر الشيخ إليه ثم تبسّم، ثم قال: تعتمد على المنام إلى هذا الحد" يعني علم الشيخ إنما جاءه بالمنام، ثم بايعه، وكان هذا المرید يتحير دائمًا ويقول: إنني لم أخبر أحدًا عن منامي فكيف اطلع الشيخ عليه؟! " يعني هذا المنام الذي رآه ما أخبر به أحدًا حتى والده، لكن الشيخ محمد أنعام علم هذا الغيب بما في قلب هذا المرید.

ويُحكى عن أحد الأعضاء أنه قال: "اشترت ذات مرة جاموسًا بألف ومئتين ثم حضرت المركز التبليغي بنظام الديني دهلي لأخرج في الجماعة معي مئتان رويية، وجلست في مجلس الشيخ إنعام الحسن إذ نظر إليّ وقال: هناك ناسٌ يشترون الجاموس بألفٍ ومئتين، ويأتون بمئتين للخروج في سبيل الله، ويقول الراوي المرید: "وإني لم أخبر أحدًا عن هذا ولا ذاك" إلى غير ذلك من القصص

عندهم التي يُقرّرون فيها أن المشايخ يعلمون الغيب ويعلمون ما في القلوب، وهذا خلل في توحيد الربوبية، هم يُفسّرون التوحيد بتوحيد وعندهم خلل في توحيد الربوبية، ظلمات بعضها فوق بعض. ويا أخوة: الجماعة واحدة، جماعة التبليغ جماعة واحدة لا جماعات، ما في إندونيسيا جماعة، وفي مصر جماعة، والسعودية جماعة، الكل على جماعة واحدة، وهذه الجماعة صوفية، فإن جاءنا شخص وقال: يا أخي أنا لست صوفيًّا نقول: لا نتهمك بذلك، قال: أنا لا أعتقد أن الشيوخ يعلمون ما في القلوب، نقول: لا نتهمك بذلك، لكنك تنتسب إلى جماعة هذه عقيدتها، فلا يجوز لك أن تنتسب إليها، والواجب عليك أن تخرج منها.

✦ بل عندهم يا أخوة تقاريرات في كتب أمرائهم ورسائل أمرائهم أن الشيوخ والأولياء يُكشَف لهم أهل الجنة وأهل النار:

مثلاً يقول الشيخ محمد زكريا: "قال الشيخ أو زيد القرطبي: سمعت أن من يذكر (لا إله إلا الله) سبعين ألف مرة ينجو من نار جهنم - هذه أول بدعة - لما سمعت هذا الخبر قرأت نصاباً يعني سبعين ألف مرة لزوجتي - يعني ما هي الزوجة التي قرأت، قرأه هو بنته زوجته -، وعدة نصاب لي ذخراً للآخرة، وكان عندي شاب واشتهر عنه أنه صاحب كشفٍ ويحصل له كشف الجنة والنار، وكنت أنا متردداً في صحته، ومرة كان معنا في الغداء إذ صرخ صرخةً وحصل له ضغطٌ في التنفس - يعني صار عنده ضيق في التنفس - وقال: أُمِّي تحترق في النار وأنا رأيت هذا المنظر.

قال القرطبي الذي يتحدّث عنه: كنت أشاهد فرعه فخطر ببالي أن أمنح نصاباً لأمة - السبعين ألف - هو كان قد قرأ عدة أنصبه ذخراً، فلما شاف الفرع أراد أن يتصدّق بواحد من هذه الأنصبه، قال: فمنحت لأمه نصاب سبعين ألف مرة من النصب التي قرأتها لنفسي وفعلت سرّاً لا يعلمه إلا الله، ولكن هذا الشاب قال فوراً: يا عمّي قد نجت أُمِّي من النار".

قال القرطبي: "حصلت لي من هذه القصة فائدتان:

- الأولى: قد جرّبت ما سمعت عن بركة هذا المقدار سبعين ألف مرة.
- الثانية: تحقّق صدق هذا الشاب.

فعلّق الشيخ محمد زكريا على هذه القصة قائلاً: "هذه قصة واحدة وأمثال هذه كثيرة في هذه البلدان".

قال: "ويحكى عن الفقيه أبي الليث قصة عجيبة فيقول: كان بمكة رجلٌ من أهل خراسان، وكان رجلاً صالحاً وأميناً، وكان الناس يُدعونهُ ودائعهم، فجاء رجلٌ فأودعه عشرة آلاف دينار وخرج الرجل في حاجته، فقدم الرجل مكة وقد مات الخراساني وسأل ولده وأهله عن ماله فلم يكن لهم به علمٌ، فقال الرجل لعلماء مكة وكانوا يومئذٍ مجتمعين متوافدين: أودعت فلاناً عشرة آلاف دينار وقد مات وسألت ولده وأهله فلم يكن لهم بها علم، فما تأمروني؟

قالوا: نحن نرجو أن يكون الخراساني من أهل الجنة، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه فائت زمزم واطلع فيها، ونادي يا فلان ابن فلان: أنا صاحب الوديعة، ففعل ذلك ثلاث ليال فلم يُجبه أحد، كل ليلة يأتي في هذا الوقت وينظر في زمزم ويُنادي الخراساني يا فلان ابن فلان: أنا صاحب الوديعة ما يُجيبه أحد، في اليوم الثاني، في اليوم الثالث.

قال: فأتاهم وأخبرهم فقالوا: إن لله وإنا إليه راجعون، نحن نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار، فائت إلى المكان الفلاني فإن فيه وادياً وبه بئر فاطلع فيها، فإذا مضى ثلث الليل أو نصفه فنادي: يا فلان ابن فلان: أنا صاحب الوديعة، ففعل ذلك فأجابه في أول صوت، أول ما نادى أجابه وقال: أما مالك فهو على حاله وإني لم أأتمن ولدي على مالك، فدفتته في بيت كذا فقل لولدي يُدخلك في داري ثم سر إلى البيت فاحفر فإنك ستجد مالك، فرجع فوجد ماله على حاله وسأله الرجل متعجباً فقال: ويحك! ما أنزلك ها هنا وقد كنت صاحب خير؛ يعني هذا البئر محل أهل النار، زمزم محل أهل الجنة، هذا البئر محل أهل النار، قال: ما الذي أنزلك هنا وقد كنت صاحب خير؟! قال: كان لي أهل بيتٍ بخراسان فقطعتهم حتى مت فأخذني الله بذلك فأنزلني هذا المنزل".

فهم يعتقدون أن أرواح أهل الجنة تجتمع في زمزم، وأرواح أهل النار تجتمع في هذا البئر، وهذه خرافات.

✦ كذلك مما يُقرُّونه بالقصص: العلم بما في الأرحام بدون الأجهزة هذه الآن يحتاجون الأطباء إلى أن يمضي الجنين مدة ويُكشف عليه بالجهاز حتى يُعرَف ذكر أو أنثى، لا شيوخهم يعرفون هذا

فيعلمون ما في الأرحام ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، حتى علم الأطباء هو علمٌ بواسطة في زمنٍ دون زمن، فهو ليس مخالفًا لكون الله يعلم ما في الأرحام، هو الذي يعلم ما في الأرحام سبحانه؛ لأن هذا علم بأسباب، وفي زمنٍ دون زمن، والعلم بالمستقبل بناءً على الأسباب الحاضرة ليس من علم الغيب.

ولذلك الآن عندما يأتون ويقولون: سيحصل كسوف في الشهر الفلاني، هذا ليس من علم الغيب؛ لأن أسباب الكسوف موجودة، فبالدراسة يعرفون الزمن، هذا ليس من علم الغيب، ولكن هذا قد يصدّق وقد لا يصدّق؛ لأن البناء على الأسباب قد يصدّق وقد يشاء الله أن يتخلف، كونهم يقولون: سيهطل مطر غزير على لومبوك مثلًا في اليوم الفلاني هذا ليس من باب علم الغيب؛ لأن هذا مبني على دراسة الأسباب، لكن هذا قد يصدّق وقد لا يصدّق، المعلوم أنهم هذه الأيام يتوقعون هطول أمطار على لومبوك، منذ أن جئت إلى اليوم وهذا توقعهم، أحيانًا يقولون: نسبة الأمطار ٨٠٪ ومع ذلك ما نزلت أمطار إلا البارحة واليوم شيئًا يسيرًا؛ يصدّق وقد لا يصدّق.

إذن هذه قضية مهمة يا أخوة: العلم المبني على الأسباب الحاضرة ليس من باب علم الغيب، فكون الأطباء اليوم إذا بلغ الجنين أربعة أشهر أو نحو ذلك بالكاميرات يعرفون ما في الرحم وأنه ذكر أو أنثى، هذا لا يُنافي أنه لا يعلم ما في الأرحام إلا الله؛ لأن الله يعلم ما في الأرحام قبل وجوده، قبل وجود ما في الرحم، يعلم الله أن فلانًا سيولد له من الأولاد كذا وكذا، وعند وجوده، أول ما يعلق في الرحم الله يعلم ما في الرحم، وهل هو ذكر أو أنثى، أما علم هؤلاء فهو في وقتٍ دون وقت وبالأسباب.

لكن هؤلاء كطريقة الصوفية يعتقدون أن المشايخ يعلمون ما في الأرحام بدون أسباب، بمجرد ما ينظر الشيخ يقول: هذه في بطنها ولد، بل غلاة الصوفية ومنهم الجفري في هذا الزمان يعتقدون كما يقول الجفري: أن الولي قد يخلق الولد في الرحم ولولا اختلاط الأنساب لفعلوا، هذا موجود بصوته، يقول: الولي يستطيع أن يخلق الولد في بطن أمه، فيقول للولد: كن في بطن أمه فيكون، ما الذي منعهم من هذا؟ قالوا: اختلاط الأنساب؛ لأنه من يكون أبوه إذن؟ هل هو زوج المرأة ولا الولي؟ فامتنعوا من هذا، وإلا يستطيعون.

وهذه درجة عليا في الغلو، ودونها أنهم يعتقدون أنه ببركة الشيخ تحمل المرأة العقيم، إذا برّك عليها الشيخ تحمل المرأة، وهناك قصص كثيرة في هذا الباب.

فالشاهد يا أخوة: أن موقفهم من التوحيد؛

أولاً: أنهم يجتنبون توحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، لماذا؟ لأنه يؤدي إلى الخلاف والأمة قد اختلفت في هذين النوعين، ويُركزون على توحيد الربوبية، وإذا جاءوا يُفسّرون للناس التوحيد وشهادة (لا إله إلا الله) يُفسّرونها بتوحيد الربوبية، ومع أن هذا خلل فإن تقريرهم لتوحيد الربوبية فيه خللٌ مخالفٌ للكتاب والسنة.

﴿ ما منهج الدعوة عند جماعة التبليغ؟ ﴾

يعتقد أمراء جماعة التبليغ ومن معهم أن منهج جماعة التبليغ منهجٌ إلهي، لم يرد بالوحي وإنما ورد بالكشف، والكشف كما تعرفون طريق العلم الأصلي عند الصوفية.

يقول محمد إلياس مؤسس جماعة التبليغ: "إني لم أقم بوضع أصولها وضوابطها بإرادتي وفهمي، بل كشف الله لي هذه الأصول والأسس وأمرت أن أسير عليها"، وهذه الأصول هي الأصول الستة:

- أولها: الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله).
- ثانيها: إقامة الصلوات.
- ثالثها: العلم والذكر.
- رابعها: إكرام كل مسلم.
- خامسها: الإخلاص، تصحيح النية.
- سادسها: النفر في سبيل الله.

وهذه مصطلحات وكلمات طيبة، وهذه عادة الفرق المعتزلة أصولها الستة كذلك أصول طيبة، لكن ما تفسيرها عندهم؟ هذه هي القضية.

أول ما بدأت الجماعة كان لها أصلان:

▪ الكلمة الطيبة.

▪ والصلاة.

ثم زادت في ذلك، ويوجب أهل التبليغ حصر الدعوة في ذلك ويُجرِّمون الخروج عنها، ما يجوز أن تزيد عليها، لذلك لو خرجت معهم وقلت: نريد نقرأ في كتاب التوحيد، يقولون لك: لا، أريد أن ألقى كلمة في التوحيد، يقولون لك: لا، الدعوة منحصرة في هذه الأصول الستة على تفسيرها أيضًا عندهم، ولذلك كل واحد يستطيع أن يقوم بالدعوة؛ لأن الدعوة عند جماعة التبليغ الدعوة العلمية هي هذه الأصول الستة، ثم القصص، أنا مرة، وأنا مرة، مرة كنا ذهبنا، هذه الدعوة.

فكل واحد يستطيع أن يكون داعية؛ لأنه لو قام فقط قال: الكلمة الطيبة (لا إله إلا الله)، لا ربَّ إلا الله، لا خالق إلا الله، لا رازق إلا الله، والله يا جماعة نحن كنا في ضلال، أنا كنت راعي بنات، وأنا كنت أشرب خمر، وأنا وكنا ونفعل ونمشي ونفعل خلاص ماشي، داعية.

يقول الشيخ محمد ثاني الحسيني عن اهتمام الشيخ محمد يوسف بهذه الأصول، حيث يقول -يعني محمد يوسف-: "والأصول الستة التي ينحصر عليها العمل انحصارًا كاملاً هي الكلمة، والصلاة، والعلم، والذكر، وإكرام المسلم، وتحسين النية، وتفريغ الوقت، فكان يُبذل كل الجهود في إلزام كل واحد أن يلتزم بهذه الأصول الستة".

❖ ما مقصودهم بالكلمة الطيبة؟

مقصودهم كما بيَّنه وصرَّحوا به كما يقولون: إخراج اليقين الفاسد من القلب وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله -انتبهوا-، وأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبِّر إلا الله؛ فهم يُفسِّرونها بتوحيد الربوبية ولكن يهتمون بذكر فضائلها، يذكرون فضائلها وما جاء في فضلها ولكنهم يحملون ذلك على توحيد الربوبية، ولا يتعرضون لمعناها الصحيح، ولا لشروطها، ولا لتفصيلها، و(لا إله إلا الله) النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- دعا إليها وبيَّن معناها، وعامل الناس على وفقها.

❖ والأصل الثاني: إقامة الصلوات، وبعضهم يقول: الصلاة ذات الخشوع، وهم لا يرون أن المهم في الصلاة أن تصلي على السنَّة، وإنما المهم عندهم في الصلاة أن تصلي بخشوع، لماذا؟ لأن الكلام عن الصلاة على وفق السنَّة هذا فيه خلاف، يؤدي إلى الخلاف؛ الأحناف عندهم شيء، والشافعية عندهم شيء، والمالكية عندهم شيء، والحنابلة عندهم شيء، وأهل الحديث عندهم شيء، فلا يتعرضون إلى السنة في الصلاة، كيف تُصلي؟ وإنما كل تفسيرهم هو للخشوع، ويذكرون فضائل الصلاة.

والمعلوم أن الواجب على المسلم أن يتعلّم الصلاة كما جاءت عن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ومن ذلك: أن يُصلي صلاةً بخشوع بطمأنينة وهو الخشوع الواجب، الطمأنينة، ثم يزداد فيكون في باب الكمال، ولكن جماعة التبليغ لا تهتم بهذا وإنما تهتم بما سموه الخشوع ولا يهتمون بالطمأنينة، عندهم ممكن أن يكون الخشوع مع عدم وجود الطمأنينة، ولذلك ممكن تصلي على طريقة الأحناف، في خلال دقيقة يمكن تكمل الصلاة كلها، وتكون هذه الصلاة ذات خشوع، ويذكرون فضائل الصلاة.

✽ والثالث: العلم والذكر؛ وماذا يعنون بالعلم؟ تعلّم أصول الجماعة وإلا فهم ينفرون من العلم نفرةً كبيرةً ويُنفّرون من التعلّم، وهم مع قولهم: إن المقصود من العلم أن نتعلّم علم الدين حتى نعرف الحقوق والفرائض، ونُميِّز الحلال من الحرام، إنما يحملون العلم الذي يُتعلّم على أصول جماعة التبليغ وعلى كتب جماعة التبليغ، ولذلك هم جماعة تنضبط بالأمير، والأمير من أهم واجباته أن يضبط العلم، ماذا يُعلّم؟ كتب الجماعة وأصول الجماعة، ثم يذكرون فضائل العلم، لا من جهة الحث على العلم بل هم يُنفّرون من العلم، ولكن من جهة الحث على قراءة هذه الكتب.

ومع العلم الذكر، والذكر عندهم يا أخوة هو الذكر الصوفي، وذكر طائفة من الجماعة في المسجد لينزل المدد على أفراد الجماعة بالدعوة، هم عندهم يا أخوة أنه لا بد تبقى جماعة المسجد تذكر، هذه الجماعة التي تذكر ينزل المدد من السماء عليها ثم توجّه المدد إلى الفرق التي ذهبت تدعو.

وكما قلت لكم: هم يستعملون القصص في تقرير ما هم عليه، فمما يُردّدونه دائماً على أتباعهم وخاصة الجدد: أنه مرةً حصل كذا فذهب الأخوة الأحباب يطرقون الأبواب، وكلما طرقتوا باباً طردهم الناس ولم يقبلوا منهم، فتعجّبوا إذ العادة أن القلوب تُفتّح للجماعة ويقبل الناس، لماذا هذا اليوم كلما طرقتوا الباب طردهم الناس، فرجعوا إلى المسجد فوجدوا إخوانهم نائمين، انقطع المدد، هذه تُعطي المرید رسالة أنه لو كُفّف بهذا ما ينام أبداً؛ لأنه هو الدينامو.

فهم يذكرون العلم ويقصرونه على ما عندهم ويُنفّرون عما عاده، ويذكرون الذكر ويقصرونه على ذكر الصوفية وعلى الذكر المخصوص عند الجماعة على ما هو معروف عندهم من أجزاء الأذكار، أنا الآن أتكلّم باختصار؛ لأن الوقت ضاع، وقد نعود إن شاء الله يوم السبت كما ذكرنا في جماعة

الإخوان نذكر بعض الأشياء، وسأذكر لكم إن شاء الله الكتب التي أعتمد عليها وما فيها وما عليها؛ لأن بعض الكتب فيها ميزات عظيمة لكن عليها ملحوظات من جهة ما قرّر فيها، وسأذكر لكم هذا إن شاء الله.

✽ إكرام المسلم: يقصدون به كما يقولون: أن نُكْرِمَ إخواننا المسلمين، وأن نحفظ حقوقهم، وأن نكف عن إيذائهم، فنحترم الكبير، ونرحم الصغير، ونوقّر العلماء والمشايخ، ويزكرون النصوص، ولكنهم في الحقيقة لا يُكرمون كل مسلم، فإنهم أعداء لأتباع المنهج السلفي، يُكرمون كل الناس إلا السلفيين، ويُكرمون من يُسمونهم العلماء من الصوفية وغيرهم إلا علماء أهل السنّة والجماعة إلا بالمقدار الذي يستفيدون منه، العلماء المشهورون الذين يُجبههم العامة يُظهرون إكرامهم ليُظهروا أنهم يوافقونهم.

سأذكر لكم بعض الوقائع إن شاء الله.

✽ تصحيح النيّة: يقصدون أن يجعل المسلم نيّته خالصةً لوجه الله تعالى، ويزكرون الفضائل المتعلقة بذلك.

✽ النفر في سبيل الله: وهو الجهاد في سبيل الله، ويُفسّرون الجهاد في سبيل الله بالخروج، يقول إكرام الله جان: "فمقصده أن نخرج في سبيل الله بأموالنا وأنفسنا وندعو الناس إلى الله ورسوله حتى ينتشر ويُحيي الدين في العالم كله" وهم يُرتّبون الخروج ترتيباً منظماً، يعتقدون فضله، وسنذكر إن شاء الله هذا في أساليب دعوتهم، وأوجه النقص في ذلك في مجلسي يوم السبت إن شاء الله الذي سنختم بهما الدورة؛ لأن الوقت قد ضاق، والمقصود هنا أن نبين أن هذه الجماعة لم توافق منهج السلف، ومن خالف منهج السلف في أصل كفى في أن يخرج من أهل السنّة والجماعة، فكيف بمن خالف في أصول كثيرة؟! كثر!

فهذه الجماعة ليست جماعة شرعية وفق ما ذكرناه، وهو قليل مما يتعلق بهذه الجماعة، وإلا هناك أشياء كثيرة ولعلنا نزيد الأمر ذكراً في مجلس السبت إن شاء الله -عزّ وجلّ-، نختم هذا المجلس ونختم هذا الدرس، ولن تكون هناك أسئلة؛ لأن الوقت انتهى، ونأخذ الأسئلة في آخر الدرس الثاني مساءً إن شاء الله ونُجيب عن الأسئلة، أنا أخذت الأوراق معي، أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يُفقهنا في دينه،

وأن يسلكنا في سبيل أنصاره، وأن يجعلنا ممن دعا إليه سبحانه، وأن يكفينا شرَّ البدع وأهلها، والله أعلم وصلَّ الله على نبينا وسلَّم.



[دراسات في المنهج - اللقاء المفتوح]

أنا معي بعض الأوراق، في أسئلة الآن، فنحن ما ندري ما الذي نأخذ:

بـ الأسئلة:

يقول في سؤال أجبنا عنه: إطلاق أهل البدع على العوام، يقول: هل من طرق الترجيح أن نأخذ بالأحوط؟

يا أخوة: يقول العلماء: الأحوط هو موافقة الدليل، فإذا ظهر الدليل فإنه يجب الأخذ به وهو الأحوط، لكن إذا تقاربت الأدلة وتشابهت الأقوال فإن الأخذ بالأحوط الذي تبرأ به الذمة من أسباب الترجيح.

يعني مثلاً: مسألة مس القرآن لغير المتوضىء مسألة خلافية، الأقوال فيها متقاربة والأدلة متقاربة، الله -عز وجل- يقول: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] لكن وقع الخلاف ما المقصود بالضمير: ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ هل هو القرآن ولا اللوح المحفوظ، وما المقصود بـ ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ هل هو الإنسان المسلم المتطهر أو المقصود به الملائكة.

النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «لَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلَّا طَاهِرٌ» لكن وقع الخلاف في هذا الحديث: ما المقصود بالطاهر هنا؟ هل المقصود به المؤمن فيخرج الكافر؛ لأن «الْمُؤْمِنَ لَا يَنْجَسُ» كما قال النبى -صلى الله عليه وسلم-، أو المقصود به الملائكة، أو ما المقصود به؟ اختلف العلماء في هذا؛ فالأدلة متقاربة.

هنا يُرَجَّح بالأبرأ للذمة والأسلم من الإثم، ولا شك أن الأحوط هنا ألا يمس المسلم القرآن إلا وهو متوضىء، طبعاً يُستثنى من ذلك عند العلماء الأطفال، الأطفال ما يُشترط في مسهم للمصحف الوضوء، نعم يؤمرون بالوضوء لكن أنت ما تستطيع أن تملك الأطفال، يتوضأ الآن وينقض وضوءه بعد قليل، فهذا مستثنى عند العلماء، لكن الكبار لا شك أن الأحوط أن المسلم لا يمس القرآن مساً إلا وهو طاهر.

مسألة دخول الحائض إلى المسجد مسألة خلافية بين أهل العلم، والأدلة محتملة؛ يعني مثلاً كون النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما أمر بإخراج الحيض في مصلى العيد قال: **«وَيَعْتَزُّلُ الْحَيْضُ الْمُصَلَّى»** فقال القائلون: بأن الحائض لا تدخل المسجد إذا كانت الحائض مأمورة بأن تعتزل مصلى العيد وهو ليس مسجداً فمن باب أولى أن تؤمر بالتزام المسجد.

المخالفون لهم قالوا: لا، المصلى هنا يعني الصلاة، فيعتزل الحيض الصلاة، ما يُصلين، واختلفوا في حديث: **«لَا أُحِلُّ الْمَسْجِدَ لِحَائِضٍ وَلَا جُنُبٍ»** هل هو ثابت أو غير ثابت، فتقاربت الأقوال واشتبهت الأدلة فهنا يُرَجَّح بالأحوط والسلامة كما قال الإمام أحمد: "السلامة لا يعدلها شيء" ولا شك أن الأحوط والأسلم أن الحائض لا تدخل المسجد.

إذن انتبهوا لهذه القضية يا أخوة: الاحتياط هو الأخذ بالدليل، ليس الأخذ بالشدة، الاحتياط هو الأخذ بالدليل؛ فإن اشتبهت الأدلة وتقاربت فإنه يُرَجَّح بالأحوط والأحوط هنا هو الذي تسلم به الذمّة من الإثم فيرجح به.

في بعض الأسئلة كنت أجبت عليها قبل ذلك.

يقول الأخ: ما الموقف من عبارة "اتفاقهم حُجَّةٌ قاطعة واختلافهم رحمةٌ واسعة؟"

نقول: أما الاتفاق والإجماع فلا شك أنه حُجَّةٌ، وأما كونه حُجَّةً قاطعة فهذا بحسب الإجماع؛ لأن الإجماع:

- قد يكون قطعياً.
- وقد يكون ظنياً.

فإن كان الاجتماع قطعياً: فهو حُجَّةٌ قاطعة.

وإن كان الإجماع ظنياً: فهو حُجَّةٌ وإن لم يكن حجةً قاطعة.

وأما الاختلاف: فلا شك أن الاختلاف في أصله ليس رحمة؛ إذ لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق عذاباً، ولا شك في بطلان هذا الأمر، بل الرحمة في الاتفاق، والواجب على المسلمين أن يسعوا إلى الاتفاق، فإذا وقع الاختلاف وجب عليهم الرد إلى الدليل حتى يتفقوا، فإن تعذر ذلك

لاختلاف الأفهام في المسائل التي يسوغ فيها الاختلاف، ما هو في العقيدة، ولا في أصول المنهج، ولكن في الفقه إذا تعذر الاتفاق فالواجب أن نجعل الاختلاف مهذبًا، نُهذَّب الاختلاف وذلك بأمرين:

الأمر الأول: ألا يُترك الدليل من أجل الاختلاف، وألا يُجعل الاختلاف حُجَّة، بعض الناس يأتي يقول: يا أخي؛ اختلف العلماء على قولين فأنا آخذ بأحد القولين، المسألة فيها خلاف فأنا آخذ بأحد القولين ويترك الدليل من أجل الخلاف، نقول: هذا ما يجوز، يجب الأخذ بالدليل.

والأمر الثاني: ألا يترتب على الخلاف اختلاف القلوب، فالمسائل الخلافية ما يترتب عليها التباعد واختلاف القلوب، ما يجوز، بل نختلف ونكون أخوة، نحن الآن نصلي واحد منا يقبض بعد الركوع وواحد مسلم، هذا يعتقد أن القبض سنة، وهذا يعتقد أن السدل بعد الركوع هو السنة، ما يجوز أن تختلف قلوبنا من أجل هذا الأمر، بل نبقي أخوة يُحب بعضنا بعضًا، ولا بأس من النقاش العلمي فأقول لك: لا يا أخي السنة كذا، وتقول لي: لا يا أخي السنة كذا، وقد نشدت في النقاش لكن علميًا بأدب، ولكن تبقى القلوب صافية.

أبو بكر الصدي يقول: "ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته مرة في مسألة -يعني اختلفنا- فلقيني من الغد فأخذ بيدي وقال: يا أبا عبد الله؛ ألا يستقيم أن نكون أخوة وإن اختلفنا في مسألة؟! " يونس الصدي يقول له الشافعي: "ألا يستقيم أن نكون أخوة وإن اختلفنا في مسألة؟! ".

جاء أحد العلماء إلى الإمام أحمد واختلفا في مسألة حتى ارتفعت أصواتهما، يقول أحد الحضور: حتى خشيت أن يقع بينهما شيء من قوة المناظرة، قال: "فلما قام هذا العالم الذي ناظر الإمام أحمد، قام الإمام أحمد وأخذ بركابه حتى ركب على دابته" مع أنهما اختلفا.

والإمام الشافعي خالف الإمام أحمد في كثير من المسائل وتناظرا، ومع ذلك كان الإمام أحمد يبحث من معه على الأخذ عن الشافعي، وكان إذا ذهب إلى مكة عندما كان الشافعي في مكة يقول: "عليكم بفقهِ هذا الشاب القرشي، فإن الحديث تجدونه في كل مكان، ولكن عقل هذا الفتى إذا فاتكم لا تجدونه".

وكان يقول لتلاميذه: "إذا أردت العلم فالزم هذا".

وكان يقول: "إني أدعو للشافعي في سجودي" مع ما بينهم من الخلاف في بعض المسائل. ونُسب إلى الشافعي أبيات قيلت: لا، وقيلت: إنها لغيره؛

قَالُوا: يَزُورُكَ «أَحْمَدُ» وَتَزُورُهُ قُلْتُ: الْفَضَائِلُ لَا تُفَارِقُ مَنْزِلَهُ
 إِنَّ زَارِنِي فَبِفَضْلِهِ أَوْ زُرْتَهُ فَلِفَضْلِهِ وَالْفَضْلُ فِي الْحَالَيْنِ لَهُ
 (قَالُوا: يَزُورُكَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَتَزُورُهُ)... (قُلْتُ: الْفَضَائِلُ لَا تُفَارِقُ مَنْزِلَهُ).

(إِنَّ زَارِنِي هُوَ فَهَذَا بِفَضْلِهِ هُوَ) فضل منه أنه يزورني، أو زرته هو فلفضله هو أنا أزوره، (وَالْفَضْلُ فِي الْحَالَيْنِ لَهُ).

وحتى في زماننا القريب الإمام ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ- والإمام الألباني -رَحِمَهُ اللهُ- اختلفا في كثير من المسائل الفقهية ومنها مسألة القبض بعض الركوع؛

▪ الشيخ ابن باز يقول: سنّة نبوية.

▪ والألباني يقول: بدعة حجازية.

ومع ذلك الشيخ ابن باز يُثني على الألباني، والألباني يُثني على الشيخ ابن باز.

فحتى لا يكون الاختلاف شرًّا يجب كما قلت أولاً: أن نسعى إلى إزالته إلى الاتفاق، بالرد إلى الأدلة، فإن أمكن هذا فالحمد لله، وإن لم يُمكن إنا نُهدِّب الخلاف بالأمرين:

▪ ألا يلزم منه ترك الدليل وجعل الخلاف حُجَّةً.

▪ ألا يلزم منه تباعد القلوب وتباغض القلوب.

وهذا في الخلاف السائغ.

يقول: إذا تقدّم الشخص وكان إمامًا للناس وهو يرى أن البسمة لا يُجهر بها في الصلاة، ولكنه

يجهر بها مراعاةً للناس، هل يأثم بترك ما اعتقده؟

الإمام إذا كان يعتقد أن الأفضل والسنة شيء، وكان في تركه تأليفٌ لقلوب الناس يُشرع له ذلك،

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية يُمثّل لهذا: "مَنْ كَانَ يَرَى أَنَّ فَصْلَ الْوَتْرِ أَفْضَلُ" ما معنى فصل الوتر؟

يعني يُصلي ركعتين ويُسلم ثم يقوم ويأتي بركعة، "مَنْ كَانَ يَرَى أَنَّ فَصْلَ الْوَتْرِ أَفْضَلُ فَصَلِّ"

بجماعة يرون أن وصل الوتر أفضل - يعني أن يُصلي ثلاث ركعات ليست المغرب، ثلاث ركعات لا يفصل بينها بجلوس، وما يُصلي ركعتين ويجلس ثم يقوم، لا، منهى عن أن نجعل النافذة مثل الفرض، لكن يصلها ثلاثاً بدون تشهد بينهما، وإنما يتشهد في آخرها ويُسلم - فإن الأفضل أن يصل الوتر تأليفاً لقلوب الناس، فإن مصلحة تأليف القلوب مصلحة عظيمة".

فإذا كان الإنسان يرى أن السنة عدم الجهر بالبسملة، لكن جاء نازلاً على قوم يرون الجهر بالبسملة، فلا حرج عليه في أن يجهر بالبسملة لتأليف قلوب الناس.

يقول الأخ: هنا قائل يقول: إن مسألة المولد مسألة خلافية بين العلماء؟

وكذلك كون القرآن كلام الله مسألة خلافية.

هذا الأمر الأول: الخلاف لا يكون معتبراً إذا تقدّمه إجماع، بل يكون مهذباً ولا يُلتفت إليه، ومن ذلك الاختلاف فيما ذكرنا، نعم من الأمة بل ممن يُعدّون من العلماء وإن كانوا ليسوا من أهل السنّة من خالف في مسألة كلام الله وقالوا: كلام الله مخلوق، وقالوا: القرآن مخلوق، لكن هذا الخلاف مسبوq بإجماع السلف، فإن السلف مجمعون على أن كلام الله غير مخلوق، فهذا الخلاف غير معتبر.

كذلك المولد نعم من المتأخرين من يرى المولد النبوي ويحث عليه، لكن تقدّم ذلك إجماع، فإن الصحابة - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - لم يروا المولد النبوي في حياة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولا بعد موت النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكذلك بالنسبة للتابعين، وكذلك بالنسبة لأتباع التابعين، وكذلك بالنسبة للأئمة الأربعة، وإنما ظهر المولد على يد الفاطميين، فحدث في القرن الرابع أو الخامس، وما قبل ذلك كان مجمّعاً على تركه؛ فهذا الخلاف عند المتأخرين لا اعتبار به؛ لأنه مسبوq بالإجماع.

كذلك الاختلاف لا اعتبار به إذا خالف الدليل والأصول الشرعية، فليس الخلاف حُجّة ولا عبرة وإنما العبرة بالدليل، فإذا خالف أقوام وكان خلافهم يُعارض الدليل ويُخالف الأصول فإنه لا عبرة بهذا الخلاف، وإنما العبرة بما دلّ عليه الدليل ودلّت عليه الأصول الشرعية.

فعدنا أصل شرعي قاطع قاله النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ»، «مَنْ أَحَدَّثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» فالذي يأتينا ويقول: المولد ونقيم المولد نقول له: ما الدليل؟ فإن أتى به ولن يأتي وإلا ردنا خلافه بالأصل الشرعي فإن هذا الخلاف مخالفٌ للأصل الشرعي.

هذه مسألة وإن كانت في الحقيقة من مسائل النوازل لكن أنا سأذكر الثمرة الشرعية، طبعاً الأخ هنا يقول: ما الموقف الصحيح إذا وليت المرأة لتكون رئيسة في القرية أو المنطقة أو أعلى من ذلك؟ أنا لن أتكلم عن ولاية المرأة، أنا أتكلم عن أصل شرعي: إذا تولَّى الوالي واستقرَّ له الحكم فإن الأحكام الشرعية تثبت له وإن وصل إلى ذلك بطريق غير شرعي، ومثال ذلك عند السلف المتقدمين: الحاكم المتغلب بالسيف، إذا خرج شخص على الحاكم فالخروج حرام، لكن خرج وتغلب بالسيف وصار والياً واستقر له الحكم وحصلت له البيعة فإنه تثبت له الأحكام الشرعية لتستقيم مصالح الناس، وتحسن أحوالهم؛ فإذا تولَّى من تولَّى وحصلت له الولاية فإننا نتعامل معه بإيصال الحقوق الشرعية للولاية والعمل بهذا.

يقول الأخ: هل هناك فرق بين النصيحة لولي الأمر وإنكار المنكر الواقع من ولي الأمر؟

نعم النصيحة الموجهة لولي الأمر تكون موجهة لولي الأمر، والواجب على القادرين من العلماء أن يُنصحوها ولاية الأمر بما يُناسب مقامهم ولا يُذهب هيبتهم، وهذا يا أخوة أصل معروف: كل إنسان يُنصح بما يليق بمقامه؛ أنت عندما تنصح ولدك مثلاً لست كما تنصح العامة، تحتاج إلى أسلوب مع الأب يُناسب مقام الأب.

والنصيحة لولي الأمر تكون بالأسلوب المناسب وتكون سرّاً بينك وبينه، تأخذ بيده وتنصحه؛ فإن قبلها فالحمد لله، وإن لم يقبلها فقد أدت ما عليك، إلا في حالة واحدة لا يُشترط فيها السرية في نصيحة ولي الأمر وهي: أن يكون الأمر بحضور ولي الأمر، وأن يكون الإنكار من عالم له مكانة، وأن تؤمن الفتنة على العامة.

- أن يكون المنكر بحضرة ولي الأمر وهو موجود.
 - وأن يكون المنكر عالمًا له مكانه بحيث يؤمن البطش والفتنة.
 - وأن تؤمن الفتنة على العامة.
- إذ ذلك يجوز الإنكار علنًا، وهذا هو الذي وقع من بعض الصحابة -رَضْوَانُ اللهُ عَلَيْهِمْ-.
- قولنا: (أن يكون ولي الأمر حاضرًا) هذا يُخْرِجُ المنكرات التي تقع في غيبة ولي الأمر؛ لأنه ما يكون في إنكار عليّ أبدًا على ولي الأمر، سَأَتِي إِلَى إنكار المنكر بعد قليل.
- وقولنا: (أن يكون المنكر عالمًا له مكانه) هذا يُخْرِجُ من ليس كذلك؛ لأن الذي ليس كذلك إذا أنكر علنًا على ولي الأمر يُصِيبُ وقد يُطِشُ به.
- وقوله: (أن تؤمن الفتنة على العامة) هذا يُخْرِجُ ما إذا عَلِمَ الإنسان أنه لو أنكر علنًا ستهيج الرعية على الحاكم وتحدث فتنة فإنه لا يُنْكَرُ عليه علنًا.
- أما إنكار المنكر فله شعبتان:
- الشعبة الأولى: الإنكار على ولي الأمر نفسه وهذه هي نصيحة ولي الأمر التي قلنا: إن الأصل فيها أن تكون سرًّا ولا يُسْتَشْنَى من ذلك إلا حالة واحدة.
- والشعبة الثانية: إنكار المنكر نفسه وليس على ولي الأمر، فهذا يُنْكَرُ وَيُبَيِّنُ للعامة من غير ربطٍ له بولي الأمر.
- أعطيكُم مثلاً: مسألة الربا والبنوك الربوية، الإنكار هنا له شعبتان:
- الإنكار على ولي الأمر ودعوته إلى ترك هذا الربا، وهذا يكون على طريق النصيحة لولي الأمر، وليس في الخطب والمحاضرات والمظاهرات والعنتريات، هذا ما يجوز شرعًا.
 - والشعبة الثانية: إنكار التعامل مع البنوك، فيجب على العالم أن يُبَيِّنَ للعامة أنه لا يجوز لهم أن يتعاملوا بالربا مع هذه البنوك، وأن التعامل بالربا حرام ومنكر عظيم، وهذا هو منهج العلماء.
- هناك فرق بين إنكار المنكر على ولي الأمر، وبين إنكار المنكر الذي وقع من الدولة بالنسبة للعامة، فإنه يُنْكَرُ عليهم هذا الفعل ويُقال لهم: هذا حرام ولا تفعلوه، وتُقام الأدلة على ذلك.

هذا السؤال ونترك الباقي إلى اللقاء القادم، يقول: ما علاقة الكي بكمال التوحيد؟

طبعاً هو يُشير إلى ما ذكرته من المرتبة العليا: وهي تحقيق كمال التوحيد، العلاقة أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جعله كذلك، فإنه لما ذكر السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قال: **«وَلَا يَكْتُونُ»** وهذا يدل على كمال تعلق قلوبهم بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، حتى أنهم يتركون بعض الأمور النافعة لما فيها، فيتركون الكي الذي هو شيء بالنار مع أنه جائز وبعض أهل العلم يرى أنه مكروه، لكن يتركونه لأنه كي بالنار بتمام تعلق قلوبهم بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ فمن هنا كان من كمال التوحيد، وكان من صفات السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

نسأل الله أن يغفر لنا أجمعين، وأن يكفيننا شر أنفسنا والشياطين، وأن يجعلنا مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولعلنا نختم مجالس هذا اليوم يوم الثلاثاء بخير وبركة، ونسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعل فيها خيراً وبركة، ولنا لقاء غداً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- بمجالس أربعة مثل مجالس اليوم وعلى نفس الترتيب، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلّى الله على نبينا وسلّم.

يقول الأخ هنا: هل إذا قام أحدٌ بالمظاهرات نصفه بأنه من الخوارج مطلقاً؟

طبعاً المظاهرات نوع من أنواع خروج الخوارج القعدة، ليست الخروج بالسلاح والتكفير والتدمير، ولكنها نوع من خروج الخوارج القعدة الذين يخرجون على الحاكم ويُزيّنون الخروج عليه من غير استخدام السلاح، هذا رأيي في مسألة المظاهرات.

ما توجيهكم لفعل بعض الصحابة أنهم أنكروا على ولي الأمر لحضوره أمام الناس؟

أنت أجبت عن هذا وقلنا: إن الأصل الذي جعله النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما جعله أحد أن يكون نصح ولي الأمر سراً وألا يُعلن، هذا أيضاً بما يليق بالأدب معه، وهذا هو فعل الصحابة -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- في مناصحة ولادة الأمر، ويُستثنى من ذلك حالة واحدة بثلاثة شروط: الأمر الأول: أن يكون الحاكم حاضراً، أما إذا كان غائباً فلا يُستثنى أبداً.

- والأمر الثاني: أن يكون المنكر عالمًا له مقامٌ وشأن حتى لا يؤدي هذا إلى البطش والقتل.
 - والأمر الثالث: أن تؤمن الفتنة على العامة، فإذا علم العالم أنه لو أنكر علناً لهاجت العامة وحدث ما لا يؤمن عقابه فإنه لا يجوز له.
- وهذا هو الذي وقع في بعض الصور عن بعض الصحابة -رَضَوَانَ اللهُ عَلَيْهِمْ-.

يقول: ما توجيهكم فيمن يقول: إن جماعة الإخوان المسلمين مجرد حزب سياسي وليست فرقة ذات عقيدة وأصول كغيرها من الفرق؟

أظن بعدما سمعنا ما بقي مجال لهذا السؤال إلا أن تكون مكابرة.

يقول: بل منهم من يقول: إن الإخوان المسلمين من أهل السنة والجماعة؟

بل منهم من يقول: إن الإخوان المسلمين هم أهل السنة والجماعة، ولكن هذه الألقاب لا تنفع أصحابها، كيف يكون من أهل السنة والجماعة بل يكون قريباً من أهل السنة والجماعة من يعتقد ما ذكرناه؟!!

يقول الأخ: ما الكتاب الذي قرأتم في موضوع الإخوان المسلمين؟

هذه كتابة لي أنا جمعتها، أنا إن شاء الله في نهاية الدورة سأذكر لكم ما هي الكتب التي اعتمدها في هذه الدورة وأقرأ منها، سأذكرها لكم إن شاء الله على وجه التفصيل، ومنها ما يتعلق بهذا هذه كتابة أنا جمعتها.

يقول: لو وزع نسخة من الكتاب على صيغة بي دي إف لكان أحسن.

هذا على كل حال نرى، وأنا اقترحت على الأخوة أنه لو قام بعض الأخوة بتفريغ ما ألقى في الدورة وأنا أراجعه وأزيد عليه وأنقحه ثم يُطبع في كتاب لكان ذلك حسناً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-.

يقول: جماعة الإخوان لها تأثير على عامة الناس وعلى الدعاة خاصة، لو سمحتم أن تذكر لنا بعض الدعاة البارزين المتأثرين بهذه الجماعة؟

طبعًا هناك دعاة مشهورون وهم فكر جماعة الإخوان المسلمين ويدعون إليها؛ منهم مثلاً سلمان العودة، ومنهم سفر الحوالي، ومنهم محمد العريفي، هؤلاء على فكر جماعة الإخوان المسلمين، ولذلك لما قامت دولة الإخوان المسلمين في مصر استضافوا محمد العريفي وجعلوه يخطب، ويجعلوه شيئًا عظيمًا في ذلك البلد، نسأل الله أن يهدي الجميع لكن هذا هو الحال والواقع.

يقول الأخ: ما هو الدستور الذي فرضه الإخوان المسلمين ويستحيل معه تحقيق الشريعة؟

الدستور الذي وضع في سنة مرسى، وضعوا دستورًا وتم الاستفتاء عليه واعتمد، هذا الدستور قرأته كاملاً، والحقيقة أنا لا نحكم بالكفر على الأعيان، لكن هذا الدستور فيه كفريات أشد من الدستور الذي قبله، والنصوص التي فيه جعلت من المستحيل أن تُحكّم الشريعة، نسأل الله أن يهدي من ضلّ عن الصراط المستقيم.

يقول: قيل: إن أهل السنّة ينقسمون إلى قسمين: منهم أهل السنّة بالمعنى العام؟

هذا أنا أهملته؛ لأنه ليس الذي نريد أن نتكلم عنه، أهل السنّة والجماعة إذا أُطلقوا يُراد بهم معنيان:

- معنى عام وذلك إذا قُوبلوا بالرافضة، فكل الفرق التي تخالف الرافضة تدخل في هذا المعنى العام، لكن هذا لقب تمييز وليس لقب تشريف، فقط للتمييز عن الرافضة، رافضة وأهل السنّة.

- والمعنى الخاص هو الذي ذكرناه وهو لقب التشريف، وهو لقب أهل منهج السلف الصالح -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ-.

فكونه يُطلق أهل السنّة بالمعنى العام على جميع الفرق التي تُخالف الرافضة هذا صحيح، ولكن المقصود منه التمييز، ولا يُقصد منه التشريف والمدح، وإنما يُميّز الرافضة عن غيرهم، أما لقب المدح والتشريف فهو لقب أهل السنّة والجماعة بالمعنى الخاص.

لعلنا نقف عند هذا القدر ونعود بعد العصر إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- في الساعة الخامسة إلا ربع في موضوعين مهمين كما علمتم البارحة:

■ أصول السلف.

■ وشخصيات شوهت الإسلام.

أسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يرزقنا الإخلاص، وأن يجعل كلامنا نافعاً، وأن يكفي المسلمين شرور الفتن وأهلها، والله أعلم وصلّى الله على نبينا وسلّم.

يقول الأخ -وهذه عبارة معروفة عن الإمام الشافعي-: ذُكر أن الإمام الشافعي ذكر أن الجماعة جماعتان: جماعة الأبدان وجماعة الأفهام، فجماعة المسلمين جماعة الأفهام لا جماعة الأبدان، فما توجيهكم؟

نعم؛ الكلام يُعرّف بسياقه، فالكلام عن الجماعة التي يجب على المسلمين جميعاً لزومها، وهي كما قلنا: الجماعة الدينية التي هي جماعة واحدة فلا حدود لها، ما يجوز للإنسان يأتي من إندونيسيا يقول: أنا من إندونيسيا ولنا سلطان فأنا ما أكون في هذه الجماعة الدينية، نحن لنا خصوصيتنا ولنا إسلام إندونيسي ولنا كذا، هذا حرام ما يجوز، بالإجماع ما يجوز، ولا غيرهم كذلك.

﴿ ولكن هل جماعة الأبدان ليست جماعة شرعية؟ ﴾

لا شك أن جماعة الأبدان التي تجتمع على الإيمان هي جماعة شرعية، ولا شك أن الإمام الشافعي ممن يُقرّرون ذلك، حتى أنه قرّر ولاية الإمام المتغلب بالسيف، ولكن كلامه كان على الجماعة التي يجب على المسلمين جميعاً لزومها وأن يكونوا فيها جماعةً واحدة.

يقول الأخ -بارك الله فيكم-: ما رأيكم بهذه العبارة: إمام جماعة الأبدان هو رئيس الدولة، وإمام الجماعة الدينية الشرعية هو رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟

رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إمام الجميع، حتى رئيس الدولة يجب أن يرجع إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ليس مطلقاً، لا يجوز له أن يحكم بغير ما جاء به النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

وَسَلَّمَ-، ولذلك نحن ندعو ولاية أمور المسلمين في كل مكان بما يليق بمقامهم أن يُحكّموا شرع الله وأن يجتهدوا في ذلك، ولكن في نفس الوقت لا نُسلِّط التكفير على ولاية أمر المسلمين بزعم توحيد الحاكمية؛ لأنه سيأتينا إن شاء الله أن جماعة الإخوان تفسّر التوحيد بتوحيد الحاكمية لتحقيق أهدافها؛ يعني ما عندهم توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات، هذه كلها سهلة، كلُّ كما يريد.

لكن توحيد الحاكمية على معنى أيضاً محرّف، فأهل السنّة والجماعة يدعون ولاية الأمر بما يليق بمقامهم إلى تحكيم شرع الله، وأن يكون رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إماماً لهم في حكمهم، ولكنهم في نفس الوقت لا يُسلِّطون سيف التكفير ويبدرون الفتن في البلدان بحُجّة مسألة الحاكمية كما هو معلوم.

يقول الأخ: ما المقصود بقولنا: المحققون من أهل العلم، ألا يكفي أن نقول: أهل العلم؟

المحققون من أهل العلم وصف زائد على وصف العلم، يقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] شأن المنافقين أنهم إذا جاءهم أمرٌ عظيم أذاعوا به وانفردوا به، وشأن المؤمنين أنهم يردُّونه إلى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حال حياته، وإلى سنّته وأولي الأمر حال وفاته، وأولو الأمر هنا هم العلماء، بعض العلماء يقول: العلماء والحُكّام، لكن هنا خاصة هم العلماء، هذا الراجح؛ فهم علماء.

﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] يعني إلى أولي العلم منهم، لكن قال الله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ هؤلاء المحققون أهل الاستنباط، الأكبر منزلة من غيرهم في العلم، وكما قلت لكم قبل قليل يا أخوة: العلم مراتب، ولكنه مراتب في التفاضل، والتفاضل لا يستلزم نقصاً، إذا قلت: فلان أعلم من فلان مدحت الأعلم ولم تدمّ الأقل، هذه يا أخوة قاعدة في التفاضل، التفاضل في الكمال لا يستلزم نقصاً.

ولذلك أهل السنّة والجماعة يقولون: كلام الله وهو من صفات الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يتفاضل، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي، هل هذا يعني نقصاً في بقية الآيات؟ الجواب: لا، هذا تفاضل في الكمال، أهل الجنة يتفاضلون -أسأل الله أن يجعلني وإياكم ومن نُحِب من أهل الجنة- هل هذا يعني نقصاً؟ الجواب: لا، وإنما هو تفاضل في الكلام، الكل في نعيم لكن هذا أعظم نعيمًا، هل الذي دونه ناقص؟ الجواب: لا؛ فهذه قاعدة في التفاضل.

﴿التفاضل بين الأنبياء، متى يجوز التفضيل بين الأنبياء ومتى لا يجوز؟﴾

التفاضل بين الأنبياء يجوز إذا كان في باب التفاضل في الكمال، فنقول: محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سيّد الأنبياء، وأشرف الأنبياء، وأفضل الأنبياء -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولا شك، لكن لا يجوز في مقام التنقُّص، إذا كان قصد المتكلم أن هذا النبي أنقص ومراده أن يتنقَّص فإنه يكون حرامًا؛ «لا تَفْضَلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى» هذا في باب التنقُّص.

أما التفاضل في الكمال فهو واقع بين الأنبياء، فالأنبياء بعضهم أفضل من بعض، وأفضلهم الخمسة أولو العزم، وأفضل الخمسة إبراهيم ومحمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأفضل الاثنين محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، هل هذا يقتضي نقصاً؟ الجواب: لا، وإنما هو تفاضل في باب الكمال. لعلنا نقف عند هذا الموقف، وملتقي غداً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ- الساعة الثامنة والنصف يبدأ الدرس الأول إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وأما بقية الأسئلة فسيكون نصيبها إن شاء الله في اللقاء المفتوح غداً إن شاء الله -عَزَّ وَجَلَّ-، والله أعلم، وصلّى الله على نبينا وسلّم.

هذا ليس في صلب موضوعنا لكن لا بأس نُجيب عنه باختصار، يقول الأخ: ما نصيحتكم لنا بالنسبة

للمذاهب الأربعة، فهل نحن مطالبون باتباع مذهبٍ معين فلا بد من التقليد أو ماذا؟

المذاهب الأربعة تُنسب إلى الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، وهذه المذاهب الأربعة أئمتها علماء ومن أهل السنّة والجماعة، وقد أقمت دورة في الإمارات وطُبعت في كتاب عن الكلام عن الأئمة الأربعة ورد

بعض الشُّبه المتعلقة ببعضهم، فالأئمة الأربعة أئمة وعلماء، وأجمعت الأمة على أنهم أئمة في الفقه، ومذاهبهم لم ينحصر فيها الحق فإن الحق كان موجوداً قبلهم، وكان للمسلمين أئمة قبلهم. والحق في هذه القضية الوسط والاعتدال؛ فليس التمدُّب بدعةً مذمومةً يُذمُّ أصحابها، بل التمدُّب أمر سلَّم به العلماء بالإجماع، وليس فرضاً لازماً يجب على الأمة وإنما هو جائزٌ بشرطه، التمدُّب جائزٌ بشرطه هو عدم رد الحق من أجله.

- يجوز للإنسان أن يتمدُّب فيكون شافعيًّا، مالكيًّا، حنفيًّا، حنبليًّا، أو غير ذلك حتى من المذاهب الأربعة، ولكن بشرط وهو عدم رد الحق من أجل المذهب.
- ويجوز للإنسان ألا يتمدُّب، يجوز للإنسان أن يقول: أنا لا أنسب نفسي إلى مذهب معين، يجوز هذا ويجوز هذا لكن بالشرط الذي ذكرناه؛ وهو عدم رد الحق من أجل المذاهب.

﴿ ثم ما الواجب علينا نحن من جهة الفقه والعمل؟ ﴾

الواجب على كل مسلم أن يأخذ بما دلَّ عليه الدليل، فإذا دلَّ الدليل على قولٍ وجب الأخذ به ولو لم يكن من المذهب الموجود في البلد أو الذي ينتسب إليه الإنسان، والناس هنا في الجملة أصلاً ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مجتهد قد اجتمعت فيه شروط الاجتهاد وهذا يأخذ من الكتاب والسنة ولا يُقلِّد أحداً ولا يجوز له أن يُقلِّد أحداً، لكن الكتاب والسنة ليست مستباحة لكل أحد، فيأتي أناس يقولون: نحن لا نأخذ من الأئمة ولا نقرأ للأئمة، نحن بأنفسنا نقرأ من القرآن ونعرف الأحكام، ونقرأ [صحيح البخاري] ونعرف الأحكام، هذا غير صحيح.

وتربية الشباب على هذا تربية فاسدة باطلة، وتجربة الشباب على الأخذ من الكتاب والسنة بأنفسهم تربية منحرفة ليست من طريقة العلماء الربانيين، وإنما الذي يجوز أن يأخذ بنفسه من الكتاب والسنة هو العالم المجتهد، وهو كذلك مشروطٌ بشرطٍ: وهو ألا يُخالف الأقوال التي سبقته، فلا يجوز إحداث قول جديد، بل لا بد أن يكون له في الأقوال السابقة إمام، وإن كان يجتهد

في النوازل بأقوال جديدة هذا ما فيه إشكال، لكن ليس له أن يجتهد في مسألة قد اجتهد فيها المتقدمون ويأتي بقول جديد.

وهذا لا يعيننا نحن، فنحن لسنا مجتهدين وننظر إلى المجتهدين كما ينظر الإنسان من الأرض إلى الشمس، والمجتهدون في كل زمان علماء قلة، نعم الاجتهاد لم ينقطع ولم يُسد باب الاجتهاد ولن يُسد إلى يوم القيامة، لكن ليس كل من قرأ كتبًا كان مجتهدًا، بل لا بد من شروط، والعلماء دائمًا يدفعون عن أنفسهم الاجتهاد يقول: أنا لست مجتهدًا تواضعًا وإلا قد يكون من أهل الاجتهاد.

القسم الثاني: من يعرف أصول الفقه ويعرف الأدلة؛ لأن يا أخوة كل قول لا بد له من دليل ثابت، ولا بد له من وجه دلالة، ولا بد من أن يسلم من معارضة مثله أو أقوى منه، ليست المسألة أن تحفظ حديثًا فتقول: هذا دليل، لا بد من ثلاثة أمور:

- لا بد من دليل ثابت، ليس كل دليل ادّعي في الفقه كان ثابتًا.
- ولا بد من وجه دلالة؛ يعني التي يُسميها العلماء كيفية دلالة الدليل على الحكم.
- ولا بد من أن يسلم الدليل من معارضة مثله أو أقوى منه.

فمن كان عارفًا بهذا فكان يُميز الأدلة ويعرف أصول الفقه فيعرف كيفية دلالة الدليل على الحكم، ويعرف أوجه التعارض والترجيح، فهذا الواجب عليه أن يُرجح بين أقوال الأئمة وألا يقلد واحدًا بعينه، فينظر في أقوال الأئمة المعروفة المثبتة وينظر في أدلتها ويُرجح ويأخذ بالراجح، وهذه عند المحققين منزلة الاتباع، ليست اجتهادًا ولا تقليدًا.

والقسم الثالث: مَنْ لا يُميز بين الأدلة ولا يعرف كيفية الدلالة، ولا يعرف التعارض والترجيح والجمع بين الأدلة كيف يكون، فهذا حقه التقليد؛ فإما أن يُقلد إمامًا من الأئمة الأربعة أو يُقلد عالمًا من العلماء المعاصرين المعروفين بالفقه والعلم، فيُقلد الألباني مثلًا -رَحِمَهُ اللهُ-، أو يُقلد ابن باز -رَحِمَهُ اللهُ-، ما في عيب في هذا، أو يُقلد مالكا، أو يُقلد الشافعي، أو يُقلد أحمد، أو يُقلد أبا حنيفة، أو غيرهم من أئمة الإسلام؛ لأن هذا فرضه.

هو ما يعرف الأدلة فنقول له: لا بد أن ترجح، لو جئت له ببطيخة وحديث ما يُميز، ما عنده قدرة، ما يعرف الحديث من قول الصحابي من قول التابعي من قول الإمام، أو إن كان يعرف الأدلة لكن

ما يعرف وجه الدلالة، ما يعرف طرق دلالة الأدلة على الأحكام، هذا ليس بفقيه، هذا حافظ، ولذلك النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: «قَرَّبَ حَامِلٍ فَفَقِهَ لَيْسَ بِفَقِيهِ» هو حافظ الحديث لكنه لا يعرف كيفية دلالة الدليل على الأحكام، هذا ليس بفقيه، لا يكون فقيهاً إلا إذا كان يعلم الدليل، وكيفية دلالة الدليل، والتعارض والترجيح كيف يكون، فإذا عرفنا هذا يسهل علينا إدراك الأمر.

أنت يا طالب العلم قد تكون في مسألة من المسائل من أهل الاتباع، وفي مسألة من المسائل من أهل التقليد؛ فتكون في مسألة قد درستها وكلام العلماء وعرفت كذا وكذا، وأصبحت تستطيع الوصول إلى الراجح، أنت فيها من أهل الاتباع، يجب عليك أن تأخذ بالراجح، وفي مسألة ما كان عندك الآلة فإنك تكون من أهل التقليد وتقلد عالماً من أهل الذكر الذين شهدت لهم الأمة بالفقه.

يقول الأخ وإن كان هذه ليست من هذا: ما معنى قوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْعَصْرِ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»؟

بعض أهل العلم يحملون الحديث على ظاهره ويقولون: من ترك صلاة واحدة متعمداً غير ناوٍ قضاءها فإنه يكفر ويخرج من ملة الإسلام، وسمعت شيخنا الشيخ ابن باز - رَحِمَهُ اللهُ - يرى هذا الرأي، ن ترك صلاة واحدة متعمداً الترك غير ناوٍ قضاءها؛ يعني ناوي تركها بالكلية حتى خرج وقتها فإنه يكفر بهذا، وقالوا: لا خصوصية لصلاة العصر وإنما ذكرت صلاة العصر؛ لأن الغالب أن هذا يقع فيها أكثر من غيرها.

وبعض أهل العلم قال: هذا من نصوص الوعيد ولا يعني الكفر، وإنما هذا وعيدٌ بأن يحبط عمله بسبب هذا الذنب الذي فعله، وهذا الحبوط بالمغالبة لا بالإذهاب.

☞ ما معنى هذا الكلام؟

يا أخوة: القاعدة: أن السيئة لا تذهب الحسنة والحسنة تذهب السيئة، لكن من فعل سيئة وقد فعل حسنات فهذه السيئة قد تكون كبيرة حتى تغلب الحسنات، فتكون الحسنات كأنها غير موجودة من جهة المغالبة وإلا فهي موجودة، فهذا اجتهاد العلماء في تفسير هذا الحديث.

لعلنا نقف عند هذه النقطة ونعود إن شاء الله الساعة العاشرة والنصف للدرس الثاني.

يقول: ما حكم من يُرشح نفسه لمنصب؛ لأنه لا يرى أحدًا يصلح في قيام المسؤولية إلا هو؟

أولاً: لا بد أن ننظر إلى هذا المنصف هل يجوز أن يتولاه المسلم أو لا يجوز، هذا أول مناط المسألة، ما حكم هذا المنصف؟ ما حكم هذه الوظيفة؟ هل تولي هذه الوظيفة حلال أو تولي هذه الوظيفة حرام بالأدلة الشرعية؟

■ فإذا تبين أن تولي هذه الوظيفة في هذا الحال حرام فإنه لا يجوز للإنسان أن يرشح نفسه مطلقاً.

■ ثم إذا تبين أن تولي هذه الوظيفة حلال -يعني نتكلم على المنصب- تولي هذا المنصب حلال في مثل هذه الحال بالنظر والسؤال.

يعني قد يكون الإنسان ليس أهلاً لمعرفة الحكم يرجع إلى العلماء، يقول: ما حكم تولي هذا المنصب في هذه الحال التي نعيشه؟ فإذا قال له العلماء: حرام لا يجوز أن يتقدم أصلاً. وإذا تبين أن تولي هذا المنصب في هذه الحال حلال فهل يجوز له أن يرشح نفسه لهذا المنصب؟ ننظر هل الوسيلة للترشيح حلال أو ليست حلالاً؛

■ فإن كانت الوسيلة مثلاً عرض نفسه على المسؤول كأن يرفع أوراقه لرئيس الدولة وسيرته الذاتية، ويولي بناءً على ذلك الأصل فهذا جائز أن يطلب التأمر والمنصب الذي يجوز اعتلاؤه بوسيلة مباحة؛ لأنه يعلم من نفسه الصلاحية وأنه أصلح من يكون لهذا فإنه يجوز، كما طلب يوسف -عليه السلام- من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فهذا جائز.

■ أما إذا كثر من يصلح لهذا المنصب فإن طلب التأمر منه عنده، ولا شك أن الإمارة كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «نعمت المُرْضِعَةُ، وبئست الفاطمة».

أقل ما فيها كما قال بعض الحكماء: المنصب تدخله كارهاً وتخرج منه مكروهاً؛ يعني الإنسان الورع يدخل المنصب كارهاً؛ لأنه مسؤولية وسؤال ورعاية، وفي خلال المدة يكسر الألف ويحفر الواو ويضيف الميم حتى يصبح مكروهاً؛ لأنك في المنصب الناس تطلب منك وأنت لا تستطيع

أن تُعطي كل الناس، فهذا يطلب مرة فلا تستطيع فيكرهك، وهذا كذا فيكرهك، حتى تخرج مكروهاً، هذا أقل شيء، ولا سيما في زماننا الإنسان يتعرض للفتن ويتعرض للشرور ويتعرض لكثير من المحرّمات.

فإذا كان الناس سواسية أو كان الصالحون كثيرين لهذا المنصب فإنه لا يجوز أو على الأقل نقول: إنه منهي عن أن يطلب الإمارة والترأس والوصول إلى المنصب. هذا إذا كان الطريق حلالاً. أما إذا كان الطريق حراماً: كالانتخابات فيما نراه نحن ونعتقد، فالأصل عدم جواز الترشح بهذا الطريق، وأن يجتنب الإنسان هذا الطريق، إلا إذا علم أن في تركه مفسدة عظيمة على المسلمين، فيتقدم من باب دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، فهذا جائز، لكن تذكروا يا أخوة أن هذا في أمرٍ يجوز أصلاً ابتداءً، ولو عُرف هذا التسلسل الذي ذكرته لعرفنا فقه كثيرٍ من المسائل المتعلقة بهذا الباب.

فهذا جواب هذا السؤال من هذه الجهة، وأنا ما تكلمت عما يتعلق بالانتخابات والتفصيل فيها، وأظن أني مرّة فصّلت في هذا، لكن أنا أتكلم الآن عن جواب هذا السؤال.

يقول الأخ: لو بال طفل في سجّاد المسجد فهل يُكتفى بصبّ دلوٍ من الماء عليه؟

النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إنما أمر بصب دلوٍ من الماء على بول الأعرابي؛ لأنه كان في التراب، وإذا صبّ عليه الماء فإن هذا يُزيله، أما في السجّاد فالأصل أن صب الماء عليه في مكانه يُفسده ويجعله يتعفن ولا يُزيل البول، فالواجب هو غسله وليس صب الماء عليه، فالواجب أن يُغسل؛

- فإن أمكن أن يُحمّل ويُغسل ويُجفف ثم يُرد هذا الواجب.
- وإن لم يمكن لثقله أو كبره لاتساعه فإنه يُغسل غسلًا في مكانه، يُغسل ويُدلك ويُجفف في مكانه.

هذا الواجب بالنسبة للسجّاد ولا يُقاس على الأرض.

يقول الأخ: صبّ علينا أن نجمع بين التيسير وعدم التساهل؟

سبحان الله! اعمل بالكتاب والسنة جمعت بين التيسير وعدم التساهل، انتهينا، أما إذا كان الأمر إلى رأيك وأنت الذي تشهيه نعم ما تستطيع؛ لأن التشهي تساهل ولا يمكن أن يكون تيسيراً، لكن اعمل بالكتاب والسنة، ومما في الكتاب والسنة مما يتعلق بالتيسير أنه في الواجبات تفعل الواجب ما استطعت، وفي المحرمات تترك المحرم دائماً إلا إذا اضطرت؛ لأن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ» ولم يقل: ما استطعتم، وحالة الضرورة حالة استثنائية نادرة الوقوع.

أما إذا كان الأمر بالخيار فالأفضل في العبادات أن تفعلها، والأفضل في غيرها أن تختار أيسرها، الأفضل في العبادات إذا كنت بالخيار أن تفعل العبادات من غير مشقة على النفس، يعني مثلاً لا شك أن قيام الليل نافلة، والإنسان مخير فيه بين أن ينام وبين أن يقوم، ما يأتي شخص يقول: النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما، والأيسر أن أنام فأنا أختار النوم والسنة أن أنام، لا، الأفضل أن تقوم الليل ولو كان الأيسر أن تنام.

يقول الإنسان في صيام النوافل: أنا والله النافلة هذه مخير فيه، والنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما فأنا أقتصر على صيام رمضان، نقول: لا، الأفضل أن تصوم، لكن من غير مشقة زائدة على النفس؛ يعني لا بد أن تراعي عدم المشقة على النفس، لكن المشقة الزائدة، أما مشقة العمل فهذه معتادة أنك والله تقوم من النوم وتترك اللحاف الدافئ، وتتوضأ وتنصب لله في آخر الليل، لا شك فيه مشقة، لكن هذه مشقة معتادة مع العمل، لكن المشقة الزائدة الإنسان يتجنبها في النوافل، أما في غير ذلك فالتيسير أن تختار الأيسر؛ في معاملتك لزوجتك، في معاملتك لأولادك، في معاملتك لتلاميذك.

إذا كنت مخيراً فالسنة أن تختار الأيسر ما لم يكن إثماً، فالأمر في غاية السهولة، إذا عرفت التيسير الصحيح وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة، فضده التساهل، وبه تكون جمعت بين التيسير وعدم التساهل، وهذا الذي عليه علماء الإسلام.

طبعاً هذا السؤال الحقيقي لكن سأجيب عليه: هل الشيخ ربيع من المتشددين؟

الشيخ ربيع عرفناه ونحن صغار، أنا أعرف الشيخ ربيع وأنا صغير جداً وأراه في المسجد النبوي، وأراه في الجماعة؛ لأنني أدرس في الجماعة منذ أن كان عمري أحد عشر عاماً التحقت بالمعهد المتوسط في الجامعة، وكنت أرى العلماء والمشايخ في الجامعة، والشيخ ربيع عرفناه بالعلم عالم، وعرفنا بالغيرة على التوحيد والسنة، وببذل وقته وجهده في هذا وفي النصيحة، وعرفناه بالرقّة فهو بكاءً ويبيكي على حال المسلمين ويبيكي، ويأمر بالجماعة دائماً والاجتماع وعدم الفرقة، وبالرفق بين السلفيين أهل السنة، وقد يشتد على المخالفين.

فوصف الشيخ ربيع بالتشدد هكذا هذا ظلم، لكن قد يكون مثلاً أنت سمعت له قولاً أو في موقف من المواقف هو قال قولاً فيه شدة في رأيه، هذا يكون من الإنسان، ولا يعني هذا أن العالم السني السلفي مصيبٌ في كل ما يقول، لا يعني أنه مصيبٌ في كل ما يقول، لكن قول العالم لا يُردُّ إلا بقول عالم، ما يسلط الأصاغر على الأكابر.

ولا يعني هذا أن العالم متشدد وقد يختلف الناس في الأسانيد مع اتفاقهم على الأصول، لا يعني أن هذا العالم الذي اتخذ أسلوباً وهو من أهل السنة ومن علماء السنة مميع أو متساهل، ولا يعني أن هذا العالم من علماء أهل السنة الذي اتخذ أسلوباً متشدد أو غالي، ومن نظر في أساليب الشيوخ الثلاثة بالذات: ابن باز، والألباني، والوادعي، وجد اختلاف في أساليبهم.

لو كان الميزان صحيحاً هكذا وليس بصحيح لقلنا: الشيخ مقبل متشدد، والشيخ الألباني بالنسبة للشيخ ابن باز متشدد، والله لا الشيخ مقبل متشدد، ولا الشيخ الألباني متشدد، ولا الشيخ ابن باز متشدد، ولكنها اختلاف أساليب مع اتفاق في الأصول، وقد يكون الحال هو الذي دعا إلى هذا الاختلاف.

فما يصلح أن يأتي بعض الأخوة كما أسمع فيقولون: منهج الشيخ مقبل هو المنهج الصحيح، ومنهج الشيخ الألباني وابن باز وكذا هذا المنهج فيه تساهل، فيه لين، لا ما يجوز، ولا يجوز أيضاً أن يأتينا فيقولون: منهج الشيخ مقبل منهج وعر وشديد؛ لأنه في الجبال، هذا ما يصلح، أنا أقول: هذا اختلاف أساليب وقد يكون الحال اقتضى هذا، والإنسان في كل حال يعمل بما يظهر له.

أما التسلُّط على علماء أهل السنَّة؛ إما نصرة لمن نحب أو نحو ذلك بالألقاب فيجب أن نجتنبه، وأما أن نوافق على كل قول فلا، الذي نوافق عليه هو الذي نعلم ونعتقد بالأدلة أنه الحق، وإذا علمنا أنه ليس حقاً تركناه وعذرنا الفاضل الذي قال به، فأهل السنَّة كما قلت لكم يا أخوة: ينتصرون للحق ويعرفون لأهل الفضل فضلهم، فهم يدورون مع الحق ولا يتركونه لفضل فاضلٍ أبداً، ولكن لا يُهدرون فضل الفاضل؛ لأنه يُختار في مسألة غير الذي اختاره، على أنه يُلحظ ما قلته أن قول العالم وتقرير العالم لا يُترك إلا لقول عالم وتقرير عالم، وإلا لزمنا أن نتبع قول العالم؛ لأنه يُعتبر من الإجماع السكوتي.

هذا باختصار، وأنا يا أخوة أنصح نفسي وإخواني بالبُعد الشديد عن النيل من علماء أهل السنَّة والجماعة، نبتعد عن ذلك لا نُلقبهم، ولا نصفهم بالأوصاف التي فيها تنقص، ودور مع الحق حيث دار، وهذا الذي فيه سلامة القلوب، وهذا الذي فيه اجتماع الكلمة، وهذا الذي فيه البعد عن تحقيق مآرب المخالفين للسلفيين في السلفيين.

فأنا أقول: اعرفوا لعلماء أهل السنَّة فضلهم وقدرهم، وأحبوهم على جهادهم وبيانهم، وذُوبوا عن أعراضهم ما يُنسب إليهم مما ليس فيهم، وأمسكوا ألسنتكم عنهم، ودوروا مع الحق حيث دار، هذا باختصار.

أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يهدينا جميعاً إلى سواء السبيل، والله أعلم وصلَّى الله على نبينا وسلَّم، ونلتقي إن شاء الله في الدرس الثاني.

يقول الأخ -طبعا هذا ليس من صلب مسألتنا نحن ذكرناه عرضاً-: نرجو التوجيه لما ذُكر عن ابن

تيمية أنه لازم ورداً في كل صباح وذلك في تحزيباته؟

نقول: إن التزام وقتٍ معين لا يخلو من حالين:

الحال الأولي: أن يكون ذلك لاعتقاد فضله وأن الذكر فيه أفضل من غيره، فهذا إذا كان لم يرد به الدليل فإنه بدعة؛ يعني لو كان الإنسان يقول: أنا أقرأ كل يوم في الضحى جزءاً من القرآن، نسأله

لماذا؟ قال: لأن قراءة القرآن في الضحى أفضل من بقية الأوقات، نقول له: ما الدليل؟ فإن جاءنا بالدليل فعلى الرأس والعين، وإن لم يأت بالدليل قلنا له: هذه بدعة، وهذه يا أخوة هي البدعة الإضافية؛ لأن قراءة القرآن أصلاً ليست بدعة، لكن كونها أُضيفت إلى وقت لاعتقاد فضله وعظيم أثره فهذه بدعة.

والحالة الثانية: أن يلتزم هذا الوقت؛ لأنه متيسر له أو لأنه يكون نشيطاً فيه.

إنسان قال: أنا كل يوم بعد الفجر أقرأ وردني من القرآن كل يوم، قلنا له: لماذا؟ قال: لأن هذا هو الوقت الذي أستطيع أن أقرأ فيه، بقية اليوم أنا مشغول، نقول: لا بأس يجوز وهو إعانة على الخير، أو قال مثلاً: بأن ذهني في الصباح متقد فأنا أتدبر بخلاف بقية النهار ينشغل ذهني فهذا أنشط لي، نقول: لا بأس يجوز، وهذا هو الذي ورد عن بعض السلف ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية، ما كانوا يعتقدون أن الذكر في هذا الوقت أفضل من غيره؛ لأن هذا لا يكون إلا بدليل، وإنما لأنه الوقت المتيسر أو الأنشط.

يعني لو جاءنا إنسان وقال: أنا سأصوم كل أربعمائة من الأسبوع، قلنا له: لماذا يا أخي تصوم الأربعمائة؟ قال: لأن صيام الأربعمائة فيه فضيلة، ماذا نقول له؟ ما الدليل؟ فإن جاء بالدليل ولا دليل قبلنا، وإن لم يأت بالدليل قلنا: هذه بدعة، لكن لو قال لنا: لأنني أنا أعمل كل أيام الأسبوع إلا يوم الأربعمائة أنا يوم الأربعمائة عندي إجازة ويصعب عليّ أن أصوم مع العمل فأنا أحب الصيام وأريد أن أصوم كل أربعمائة؛ لأنه يوم الإجازة، نقول: طيب، بارك الله فيك، تقبل الله منك، هذا شيء طيب؛ لأنه ما خصه لفضيلة الزمان، وإنما لأنه المتيسر له.

ولعل في هذا كفاية، ونقف هنا، ونعود للمجلس الأخير اليوم يوم الثلاثاء الساعة السابعة إن شاء الله -عزَّ وجلَّ-، أسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعل في مجالسنا الخير والبركة، وأن يجعل فيها زيادة علم وإيمان، والله تعالى أعلى وأعلم، وصلَّ الله على نبينا وسلَّم.

يقول الأخ: لو أهدي لنا طعام المولد فماذا نفعل به؟

الطعام الذي يُهدى إليك في أيام المولد لا يخلو من حالين:
الحالة الأولى: أنه لا يُصنع إلا للمولد، هذا الطعام بعينه ما يُصنع إلا للمولد وفي أيام المولد، يعني هو لا يصنع إلا للمولد وأُهدي إليك في أيام المولد، فهنا:

- إن أمكنك إن ترده فإن الواجب أن ترده؛ لأن هذا من أنكار البدعة وعدم المشاركة فيها.
- أما إذا لم يمكنك أن ترده سيترتب على ذلك فتن، فإنك تأخذه ولا تستعمله، تُعطيه دابة أو بهيمة أو نحو ذلك.

الحالة الثانية: إذا كان هذا الطعام يُصنع في المولد وغير المولد مثل الأرز ونحو ذلك وأُهدي إليك، فالذي قرره كثير من علمائنا من علماء أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا أنه يجوز قبوله ويجوز ردُّه، ما دام أنه ليس طعامًا هو شعار للمولد لكن أُهدي إليك يوم المولد، يجوز أن تقبله ويجوز أن ترده، هذا الذي فهمته من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من العلماء في هذه المسألة.

يقول الأخ: هل كل من فعل بدعة حُكِم عليه بأنه مبتدع أو لا بد من توفر الشروط وانتفاء الموانع؟

طبعًا بعض مشايخنا وعلمائنا يقولون: من فعل البدعة فهو مبتدع ابتداءً، وبعض العلماء يقولون: إن مخرج التكفير والتبديع سواء، فلا بد من اجتماع الشروط وانتفاء الموانع، هذا من حيث الوصف.

أما من حيث ترتيب الأحكام: فلا شك أنه لا بد من وجود الشروط وانتفاء الموانع حتى يُرتب على ذلك الأحكام المتعلقة بأهل البدع.

طبعًا يا أخوة: قضية الوصف ما يتصور هذا في الدعاة الكبار مثلاً يقال: لا لا، أنا ما أصفهم بأنهم من أهل البدع حتى تجتمع الشروط وتنتفي الموانع، هم يُزعم أنهم من أهل العلم ويسمعون كلام أهل السنة ولكنهم معرضون، فهؤلاء الكبار الدعاة يوصفون بأنهم أهل بدعة ومبتدعة بأعيانهم بدون النظر إلى هذه الأمور، لكن عامة الناس أنا أرى والله أعلم أنه حتى في وصفهم بأنهم من أهل

البدع لا بد من وجود الشروط وانتفاء الموانع إلا بالوصف العام؛ لأن الوصف العام يُلحق بالفعل نفسه حتى في الشرك؛

- فنقول: مشركون يعني بالوصف العام، لكن فلان مشرك لا بد من اجتماع الشروط وانتفاء الموانع.

- نقول: أهل البدع بالوصف العام، لكن فلان مبتدع منهم بعينه ونُرتب عليه أحكام المبتدع لا بد من وجود الشروط وانتفاء الموانع.

لكن مثل هذا لا يصح أن يُقال في أعلام الدعوة إلى البدع مع أن هذا ما عُرِف عن السلف الصالح - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - بل من عُرِف بالدعوة إلى البدع وصمومه بكونه مبتدعًا وحدّروا منه، ولم يتوقفوا في هذا الباب حتى تجتمع الشروط وتنتفي الموانع.

ولعلنا نقف عند هذا الموقف ونُصلي المغرب إن شاء الله، ثم الساعة السابعة نعود للموضوع الأخير في المجالس وهو: [شخصيات شوهدت الإسلام]، والدرس الأخير لعلنا إن شاء الله نتكلم فيه في خمسين دقيقة ونُجيب في ربع ساعة تخفيفًا؛ لأنه آخر الوقت وفي شيء من الإجهاد في آخر الوقت، فإن شاء الله من الساعة السابعة إلى الساعة السابعة وخمسين دقيقة نلقي عليكم مادة تتعلق بهذا، ثم لمدة ربع ساعة نجيب عن الأسئلة إن شاء الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأسأل الله ولكم التوفيق، والله أعلم وصلّى الله على نبينا وسلّم.

يقول الأخ: ما أفضل الشروحات لنواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

لا شك أن كتاب [نواقض الإسلام] من أنفع الكتب وأهم الكتب، لكن لا بد أن يُفهم فهمًا صحيحًا حتى لا ينحرف الإنسان في فهم كلام العلماء، و[نواقض الإسلام] عليه شروحات كثيرة؛ منها شرح للشيخ ابن باز - رَحِمَهُ اللَّهُ -، ومنها شرح للشيخ عبد الرزاق البدر، وأنا من الله عليّ فشرحتها وطبع الكتاب، وهو موجود في السوق، وأرجو أن يكون من أنفع الشروح؛ لأنني استفدت من شروح السابقين وأضفت إلى ذلك بعض الأمور التي يُحتاج إليها.

يقول الأخ: ما هو القول الفصل في مسألة العذر بالجهل؟

الدارس للمسألة دراسةً شرعيةً بعيدةً عن التأثيرات بالأشخاص يُدرك أن الجهل إذا تحقق فهو عذرٌ، وهذا في حقيقة الأمر عند جميع العلماء؛ لأن الذين يقولون من العلماء: إنه لا عذر بالجهل في مسائل العقيدة يستثنون من ذلك: من نشأ في بادية بعيدة، أو كان حديث العهد بالإسلام، لماذا؟ لأنها بادية ولأنه حديث عهد بالإسلام وإلا لأنه جاهل، فالعذر الجهل متفقٌ عليه ولكن الخلاف هل في جهل أو لا؟

فبعض العلماء يقولون: مسائل العقيدة واضحة في الكتاب والسنة وعليها إجماع المتقدين فليس فيها جهل، إلا إذا قام الدليل على وجود الجهل، متى يقوم الدليل؟ قالوا: إذا كان هذا الرجل أسلم الآن فهذا نعم جاهل، أو كان في بادية بعيدة ما يصل إليها شيء، والذين يقولون بالعذر يقولون: إذا ثبت الجهل كان عذرًا، وإذا انتفى انتفى العذر.

وأنا الذي ظهر لي بدراسة كلام العلماء والأدلة أقول: إن المسائل العقيدة في هذا الباب على قسمين:

- المسائل الكبرى كمسائل أصول التوحيد وأصول الشرك؛ فهذه الأصل العلم بها، ومن ادّعى الجهل حققنا في دعواه؛ فإن ثبت الجهل عذرناه، وإلا فالأصل أنه عالم وأن الناس يعرفونه.
 - ومسائل دون هذه المسائل، فهذه الأصل فيها الجهل، ومن ادّعى الجهل صدّقناه.
- وهذه المسائل يا أخوة تختلف من بلدٍ إلى بلد، فليست السعودية مثل إندونيسيا، وليست إندونيسيا مثل مصر؛ يعني كون المسألة من المسائل الكبرى أو من المسائل الخفية هذا يختلف من بلدٍ إلى بلد، فلا بد من بصيرٍ ينظر في هذه المسألة ليُعرف الأصل: هل هو الأصل العلم فمن ادّعى خلافه لا نصدّقه حتى يقوم الدليل على أنه جاهل؟ أو الأصل فيها الجهل فمن ادّعى الجهل صدّقناه؛ لأنه الأصل، وعلى كل حال: فالجهل متى ما ثبت كان عذرًا.

ولذلك نحن نرى والله أعلم أن أكثر دول الإسلام غلب فيها الجهل في مسائل العقيدة، فلا نُكفّر عوام المسلمين بهذه المخالفات العقديّة، الذين يستغيثون بالقبور ويطلبون الأولياء نحن ما

نُكفّرهم، نعم هذا شرك ونذمّه لكن لا نُكفّر عوام المسلمين؛ لأن هذه المسائل بالنسبة لهم خفية، وإن كان الأصل أن أكثر هذه المسائل مسائل ظاهرة، لكن بالنسبة للمسلمين لما؟ لأنه سيطر على كثير من ديار المسلمين علماء يزعمون أن هذا هو الدين، والعوام إنما هم تبع للعلماء. ولذلك حتى شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رَحِمَهُ اللهُ- لم يكن يُكفّر عوام المسلمين، حتى الذين يطوفون بقبر البدوي والحسين ما كان يُكفّرهم بأعيانهم وإن كان يقول: إن هذا كفر، وأنا أعمل على جمع كتاب أجمع فيه كلام العلماء في هذه المسألة وأُقرب بعضه إلى بعض، ونجمع نصوصًا وقد وجدنا نصوصًا كثيرة لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب في هذه القضية وقضية أنه يعذر بالجهل، وقد وفّقنا بينها وبين بعض عباراته التي قد يُفهم منها أنه لا يرى العذر بالجهل.

فخلاصة المسألة: أنا نقول: إن العذر بالجهل متفقٌ عليه، ولكن النزاع في تحقيق وجود الجهل، فالذي نُقرره أنه إن ثبت الجهل ثبت العذر.

يقول السائل: أحسن الله إليكم؛ هناك من يقول: إن اتخاذ الستار أو الحائل بين المعلم والنساء في مجالس العلم لم يكن في عهد النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، بل الاستمرار والمداومة على اتخاذ الستار بين المعلم والنساء بدعة، فما تعليقكم على هذا القول؟

هذه المسألة يا أخوة مسألة فيها إشكال في فهم مسائل البدع، ما سكت عنه الشرع نوعان بالنسبة للأُمور التي تنسب إلى الدين:

- مصالِح مرسلَة.
- وِبدَع.

والذي يخلط بين الأمرين ينقلب عنده الأمر: قد يُحسّن البدع لما رآه من المصالح المرسلَة، أو يمنع المصالح المرسلَة ظنًا منه أنها بدع، فلا بد أن نعرف هذه القضية.

☞ ما هي المصلحة المرسلَة؟

المصلحة المرسله: هي التي جاء الشرع بجنسها وسكت عن أنواعها، فأنواعها ترجع إلى اجتهاد الأمة، مثال ذلك: جاء الشرع بحفظ القرآن الكريم، لكن كيف يُحفظ القرآن الكريم؟ مصلحة مرسله، ولذلك الصحابة اجتهدوا، جمعوا القرآن مع أنه لم يكن مجموعاً في زمن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، كتبوا القرآن في المصحف ونقّطوا الحروف مع أن هذه النقطة لم تكن موجودة. في زمن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يا أخوة ما كانت الحروف تُنقّط، ما في النقطة فوق النون، ونقطة تحت الباء، ونقطتان فوق التاء، ونقطتان تحت الياء، ونقطة في الجيم، ما كان في، ولذلك تصوروا أن الأمر بقي إلى اليوم هكذا كيف نقرأ؟! لكن اجتهدوا فوضعوا نقاطاً وكتبوا المصحف بهذا وهكذا، هذه مصلحة مرسله.

ومن ذلك هذه القضية التي بين أيدينا فإنها من المصالح المرسله وليست من البدع في شيء؛ لأن الشرع جاء بالفصل بين الرجال والنساء حتى في المسجد من جهتين: **الجهة الأولى:** أنه جُعِلَ بابٌ خاصٌّ في المسجد للنساء، ما يدخل منه إلا النساء ليفصل الرجال عن النساء، وجاء في السنّة: أن خير صفوف النساء آخرها لكي يُبعدن عن الرجال، فالفصل بين الرجال والنساء أصل شرعي ما أمكنهم، لكن كيف يُفصل؟ هذه مصلحة مرسله، وكلما حدث شيء من الفتنة عند الناس وضع له ما يُناسبه.

واليوم هناك تساهل في النساء وتساهل في الرجال، ما نقول: كل الناس هكذا لكن هذا موجود، حتى بعض الصالحات عندهم تساهل وتضحك مع الشيخ، وأكثر النساء مثلاً ما يعتقدين تغطية الوجه، فتأتي كاشفة وجهها وربما تبسم للشيخ وهو يتكلم، والأستاذ وهو يتكلم، وربما تكون جميلة ويصبح طفل ينظر.

وأيضاً حتى الرجال في زماننا ليسوا كالسابق، وقد يكون هناك تساهل في النظر وهذا يؤدي إلى مفسد كثيرة، فوضع الحاجز بين المعلم والطالبات من المصالح المرسله وليس من البدعة في شيء، بل قد يكون واجباً وذلك عند حدوث التساهل ووجود الفتن.

وأنا أقول يا أخوة: الزمن كثر فيه التساهل، ولذلك يجب على المعلمين والأساتيد الحذر، والشيء بالشيء يُذكر في مسائل التواصل الاجتماعي: الواتس ونحو ذلك، يجب الحذر يا أخوة في التعامل

مع النساء، أنا أقول: ينبغي على النساء أن يحذرن، وأنا أرى والله أعلم أنه لا ينبغي للمرأة أن تتواصل مع الشيخ مباشرة في هذه الوسائل، إن أمكن أن تتواصل عن طريق زوجته أو عن طريق أخيها فإنه أبعد عن الشر؛ لأن هذه الوسائل للشيطان فيها مدخل كبير، وفيها قرب أشد من القرب الحسي، وربما أجابها بجواب فقالت: شكرًا وأرسلت وردة، فبدأ الشيطان يلعب حتى قد يقع الشر.

فينبغي الفصل والحزم في هذه المسائل من جهة النساء ومن جهة الأساتيد، لا تقل: أنا؛ **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»** ولا أضرب على أهل العلم من فتنة النساء، والنبى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما خرج يقلب صفيه ومرَّ رجلاً فقال: **«عَلَى رِسْلِكُمْ إِنَّهَا صَفِيَّةٌ»** قال: أو عليك يا رسول الله؟ قَالَ: **«إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ»** فلا تغفل عن الشيطان ولا تجعل للشيطان فرصة على قلبك.

إن كان ولا بد فالزم الجدِّيَّة والرسمية في الكلام، إياك أن تتساهل مقدار شعرة، هه هه هذه اتركها، الورود والرموز ما تعرف لها طريقاً، وحتى الخطاب انتبه للخطاب؛ أنتم، لا لا يا أختي، بخطابات بعيدة وجدِّيَّة ورسمية، ثم بمجرد أن تنتهي احذف الرقم، أما تسجل الرقم وتضع عليه علامة هذا مدخل من مداخل الشيطان.

وأسلم ما عليك أن يسلم قلبك، والقرب من مثل هذه المسائل خطرٌ عظيم، والشيطان حريص، ولذلك أنا أنصح بالحدز الشديد وفي حال الضرورة يتكلم طالب العلم أو الشيخ أو المعلم مع السائلة أو المرأة التي تسأل في وسائل التواصل الاجتماعي وخاصة الوسائل الخفية الخاصة، ما هي علن في الظاهر مثل: الواتس ونحو ذلك بالجدِّيَّة التامة، والرسمية التامة، والوقوف عند الحد، وعدم تجاوز ذلك.

ومن ثمَّ أيضاً هذا الذي أنا أقوله دائماً: لا تحفظ الرقم عندك على الهاتف، ومثلاً قد تقول لك: يا شيخ؛ أنا أحفظ رقمي عندك حتى أتواصل معك في الأسئلة أنفع أخواتي المؤمنات، لا تحتفظ بالرقم، إذا جاءت الضرورة تُقدَّر بقدرها، فأسأل الله أن يهدينا وإخواننا، هذا الباب ليس من البدع

في شيء، واتخاذ السائر أمرٌ محمود وقد يكون واجباً عند وجود الفتن والخوف على النفس أو على الناس من هذه الفتن.

يقول الأخ: ما هي العلاقة أو التلازم بين صحّة العقيدة وصحّة المنهج؟

طبعاً يا أخوة أو عبارة أخرى: ما الفرق بين العقيدة والمنهج؟

المنهج: أعم من العقيدة والعقيدة جزءٌ من المنهج بل هي أصل المنهج ورأس ما يتعلق بالمنهج، المنهج يشمل كل شيء؛ لأن المنهج هو الطريق المستقيم، هو صراط الله المستقيم ويشمل حماية الدين؛ يعني يشمل الدين كله ويشمل حماية الدين؛ كالجرح والتعديل هذه من المنهج؛ لأنه يُحمى بها الدين، ويُميّز بها بين أهل الحق وأهل الباطل.

أما العقيدة: فالعقيدة جزء من المنهج وهي أهم المنهج، وهي تعود في مجملها إلى الإيمان بالله، والملائكة، والرسول، والكتب، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى، وما يتبع ذلك: كحق الصحابة، وكرامات الأولياء، ونحو ذلك، هذه العقيدة، ما تخرج عن هذا، وهي جزءٌ من المنهج، وهي أهم المنهج؛ لأن المنهج متفرّعٌ عليها من جهة بقية الدين، ولأن المقصود من منهج الحماية أن تُحمى العقيدة وأهل العقيدة ويُميّز بين أهل العقيدة وأهل الباطل. هذا الفرق بين المنهج والعقيدة.

هل قول الرجل لصاحبه لما فعل كفراً: يا أخي فعلت كفراً أعد الشهادتين يُعتبر تكفيراً؟

نعم، لو قال له: يا أخي فعلت كفراً وهذا كفر فهذا صحيح بشرط أن يكون كفراً، أما أن يقول له: أعد الشهادتين فماذا؟ لأنه خرج، يُريد أن يدخله مرةً أخرى وهذا تكفيرٌ له ولا يجوز إلا بالطريقة التي ذكرناها، وهذا يا أخوة حتى قاد بعض الناس إلى الوسوسة، واحد من التكفيرين يقول لنا: أنا أغتسل في اليوم عشر مرات عشرين مرة؛ لأنني كلما أقول: أنا كفرت، قل الشهادتين، فأقوم وأغتسل وأقول الشهادتين، وهذا شأن الانحراف عن الصراط المستقيم، لا يقود إلا إلى شر.

يقول: إذا أسلم رجلٌ كافرٌ وشككنا في إسلامه كمن أسلم يُريد النكاح بالمسلمة وبعد دخوله في الإسلام لا يعمل شيئاً؟

إذا أسلم لينكح امرأةً مسلمة هذا مسلمٌ ونحكم له بالإسلام ما دام أتى بالشهادتين، ولكن إذا أتى بناقضٍ بعد ذلك فإنه يكون كافرًا، مثلًا نحن عندنا - هذا الذي أنا أعتقده - إذا ترك الصلاة ما صلّى، علمناه الصلاة وقلنا له: من أركان الإسلام الصلاة وأبى أن يُصلي وبقي مدّة لا يُصلي فإن هذا ينقض إسلامه الذي جاء به، وكذلك إذا أتى بناقض، أما أن نُكفّرهُ ابتداءً بدون أن يأتي بناقضٍ من النواقض فلا، بل نُثبت له الإسلام ما دام أتى بالشهادتين.

يقول الأخ: كيف الجمع بين حديث الوصية بإحراق نفسه بعد الموت وحديث: «مَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»؟

طبعًا كونه أوصى بإحراق نفسه هذا ليس شيئًا طيبًا، ولكن الذي جعله يفعل ذلك هو غلبة الأمر على عقله، غلبة الخوف على عقله، و«مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» هذا عند حضور الأجل، هذا المقصود وإلا كل إنسان ما يُحب الموت، كلنا نكره الموت، لكن ما المقصود: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»؟

■ أن المؤمن إذا حضره الأجل يُبشّر: «يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، أَخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرُوحٍ وَرِيحَانٍ وَرَبِّ غَيْرِ غُضْبَانٍ» فإذا بُشّرت بهذا استبشرت فأحبت لقاء الله، فيُحب الله لقاءها.

■ وأما غيره: فإنه إذا حضره الأجل يُقال: «أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْحَبِيئَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْحَبِيثِ، أَخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَعَسَاقٍ، وَأَخْرَ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاحٌ» فإذا بُشّرت بهذا كرهت لقاء الله؛ لأنه بُشّرت بالنار فيكره الله لقاءها.

إذن هذا الحديث يا أخوة ليس في الدنيا قبل حضور الأجل وإنما عند حضور الأجل عند البشارة؛

■ فمن الناس من يُبشّر فيُحب لقاء الله فيُحب لقاء الله.

■ ومن الناس -والعياذ بالله، نعوذ بالله من سوء الحال- من يُبشِّر فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه.

لعلنا نقف عند هذا الموطن ونلتقي غداً إن شاء الله كما ذكرنا في درس الصباح في ساعتين إن شاء الله، وأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعل فيما نقول خيراً وبركة، وأن يجعل ذلك مما يسرُّنا عند لقائه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، والله تعالى أعلى وأعلم وصلِّ الله على نبينا وسلِّم.

يقول الأخ: هل صحيح أن جماعة الإخوان المسلمين ظهرت ردّة فعل لما ظهر في الحكومة من الأفكار العلمانية وغيرها؟

الحقيقة أن جماعة الإخوان المسلمين هي لا تختلف عن غيرها، وهي تتبنّى نفس الأفكار في الواقع السياسي، لكن هي جماعة قامت على فكر الخروج والسياسة ومنازعة الحُكَّام.

هذا الأخ يقول: ما هي الضوابط الشرعية لاعتبار الدار دار إسلام أو دار كفر؟

طبعا الفقهاء يُقسّمون الأرض إلى:

- دار إسلام ودار كفر.

- أو دولة إسلامية ودار كفر.

والأظهر والله أعلم: أن العبرة باعتبار الدولة إسلامية بالشعب وبالوالي؛

■ فإذا كانت الدولة يسكنها مسلمون ويرأسها حاكمٌ مسلم فهي دولة إسلامية.

■ ولكن إذا لم يكن الشعب مسلماً بل كان الأغلب الكفر، فإن الدار دار كفر ولا يلزم أن

تكون دار حرب؛ لأن الكفار منهم من هو مسالم للمسلمين، ومنهم من هو معادي ومحارب،

وإنما تكون دارهم دار حرب إذا كانوا محاربين للمسلمين، أما إذا كانوا مسالمين للمسلمين أو معاهدين للمسلمين فدارهم دار كفر لا دار حرب.

■ وإذا كان الساكنين والشعب مسلمين وكان حاكمهم كافراً فإن الذي ظهر لي والله أعلم أنها تعتبر دولة إسلامية ولكن يجب على المسلمين إذا كان عندهم قدرة ولا يترتب على تغيير هذا الحاكم مفسدة أعظم ويوجد من هو مؤهل لقيادة الدولة يجب عليهم أن يُغيّروه، وإذا لم يستطيعوا فإنهم يصبرون عليه وتكون الدولة دولةً إسلامية باعتبار الرعيّة.

هذا الذي ظهر لي في دراسة المسألة، وأرجو أن يسمع لي الأخوة بأن نقف هنا؛ لأنني أشعر ببعض التعب، فلعلنا نقف هنا ونلتقي غداً إن شاء في دروس يوم الخميس، والله أعلم وصلّى الله على نبينا وسلّم.